آيات الدعاء في القرآن الكريم

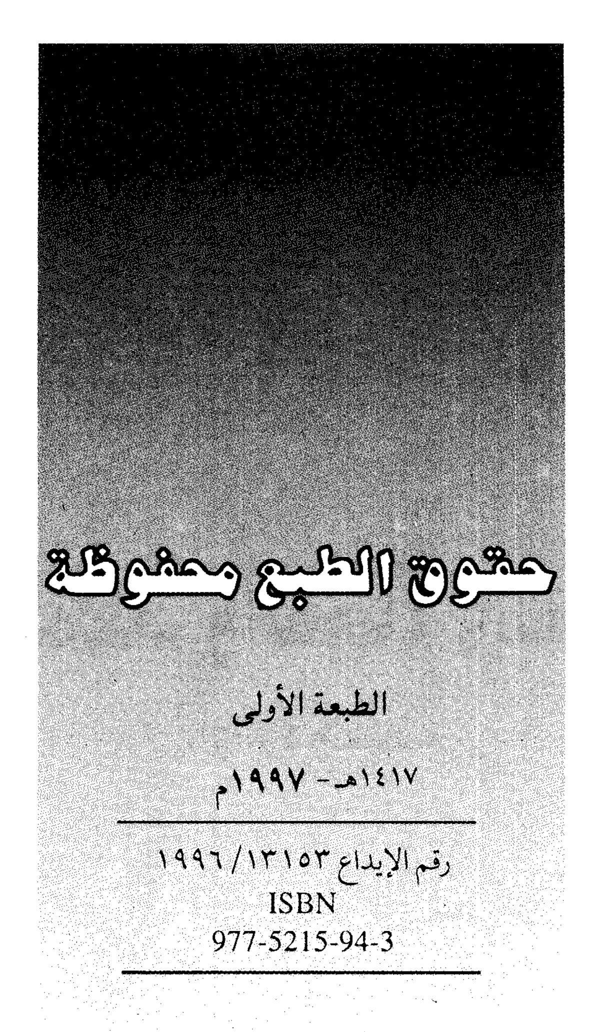
الدُّعاء والقضاء والقدر

أوامره وحكمته

الدكتـور
محمد محمود أحمد

الدكتـور
موسى الخطيب

مركز الكتاب للنشر



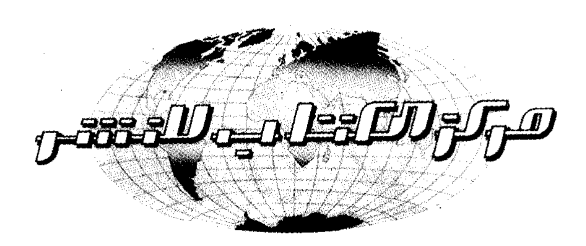
الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

رقم الإيداع ١٣١٥٣/١٩٩٦

ISBN
977-5215-94-3

طبع. أمون
العنوان: ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧



مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس : ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

القضاء والقدر هما علم الله وإرادته وقدرته أى مرجعهما العلم والإرادة والقدرة وهذه الصفات الثلاث ضمن الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله تعالى والتى يجب على كل مسلم ومسلمة الإيمان بها. . ووجوبها عليه يستلزم ايمانه بالقضاء والقدر. . وهذا بدوره يستلزم من المؤمن الجزم بأن كل ما فى الوجود إنما هو بقضاء الله تعالى وقدره فلا دخل فى حقيقة الأمر لعلمه وثمرته. . وقد ترتب على هذا ان فهم بعض الناس خطأ أن يلزم العبد السكون والجمود، وأن يستسلم للقضاء والقدر، وأن يفوض الأمر إليه وأن يتوكل عليه بل يتواكل فلا يباشر عملا ولا يزاول مهنة ولا حرفة لاكتساب قوته وقوت أولاده بل عليه أن ينتظر السماء لتمطره بالذهب والفضه، وأن تسوق إليه طعامه وشرابه، وتمنحه الجميل من الديار، وتلبسه الفاخر من الثياب، وتذلل له خير المطايا، وتشحن عقله بالعلم والثقافات دون أدنى جهد مبذول أو عمل مشكور أو فعل محمود أو استغاثة ودعاء.

وخلاصة القول أن القضاء والقدر قد يتصوره هذا البعض من الناس كفايته للحياة والتوكل على الله دون الأخذ بالأسباب، وإن كان هذا فى حقيقة الأمر ليس توكلا وإنما هو تواكل. . كما يتوهم هذا البعض ايضا، منافاته للعمل وكذا الدعاء الذى لايخرج عن كونه عملا لسانيا أو قلبيا، ويتساءل هؤلاء الناس: لماذا الدعاء ومزاولة الاعمال والحال أن ماشاءه الله كان ومالم يشأه لم يكن!!

ولكنى أقول أن الله تعالى قد أمر عباده بالإيمان بالقضاء والقدر، وأمرهم أيضا بالتوكل عليه كما أمرهم بالعمل والأخذ بالأسباب. . وأمرهم كذلك بالدعاء والتضرع إليه تعالى والاستنجاد به. . فهل هذه الأوامر الأربع: الإيمان بالقضاء والقدر والتوكل والعمل والدعاء متباينة متنافرة أم متعاونة متعانقة. . هذا ما سنحاول الاجابة عليه فى هذا المبحث إنشاء الله تعالى. .

أما حقيقة الدعاء فهى الطلب من الله والتضرع إليه فى تحصيل خير أو الاستزادة منه، وتجنب الضر ودوام دفعه. . ولقد تكلمت فى هذا المجال بما لامزيد عليه فى

صفحات سابقة فلم يبق أمامى هنا إلا أن أربط الصلة بين كل من الدعاء والقضاء والقدر والتوكل والعمل، والذى حملنى على ذلك أحد أمور أربع أو كلها:

الأمر الأول: ظن بعض الناس أن الإيمان بالقضاء والقدر يتنافى مع الإيمان بمزاولة العمل الذى منه الدعاء إذ هو عمل لسانى أو قلبى.

الأمر الثانى: أن الإيمان بالقضاء والقدر يستلزم التوكل والاعتماد على الله تعالى وهذا بدوره يستلزم التواكل المستلزم لترك العمل.

الأمر الثالث: أن الله تعالى كما أمر بالإيمان بالقضاء والقدر أمر بالتوكل والعمل.. ومن شعب العمل الدعاء والاستنجاد بالله والطلب منه..

الأمر الرابع: أن الأوامر الإلهية بالدعاء فى درجة واحدة من حيث الإيمان بها والإلزام فلا فرق بين أمر وآخر منها..

إذا صح لنا هذا ثبت أنه لا تباين ولا تعارض بين هذه الأمور والدعاء، وهذا هو عين الحقيقة والواقع، وجب علينا الوقوف عند كل لتصوره وتحقق أبعاده، ومدى صلته وزثره بالدعاء وتأثره به لهذا رأيت أن أتحدث فى هذا الكتاب عن حقيقة القضاء والقدر لغة واصطلاحا.. الدعاء والتوكل.. الدعاء والعمل.. الدعاء والقضاء والقدر.. آراء العلماء فى نفع الدعاء.. حكم استجابة الدعاء وبيان درجاتها.. وتحدثنا فى القسم الثانى والثالث من هذا الكتاب عن الأوامر الإلهية بالدعاء والحكمة منها.. فلكل أمر من أوامر الله حكم بالغة، وغايات سامية قد استأثر ببعضها، ومنح بعض عباده شيئا منها.. وأوامر الله تعالى الصادرة الى المؤمنين بمزاولة الدعاء لم تخرج عن هذا النمط. هذه الحكم لو استقصيناها لعرفنا أنها تحتاج الى مجلدات تتطامن دونها صفحات هذا الكتاب.. لهذا فإننا أجملنا فيها القول دون تفصيل، وتحدثنا عنها بإيجاز يحمل ثمار الفائدة المرجوة.

وبالله التوفيق

المؤلفان

الباب الأول
صلة الدعاء بالقضاء والقدر

يشتمل على ستة أقسام سنوردها فى سبعة فصول هى:

١ - حقيقة القضاء والقدر..

٢- الدعاء والتوكل..

٣- الدعاء والعمل..

٤- الدعاء والقضاء والقدر..

٥- رأى العلماء فى نفع الدعاء..

٦- أدلة إجابة الدعاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية..

٧ - دعوات مستجابة..

الفصل الأول

حقيقة القضاء والقدر

أولاً ـ فى اللغة (القاموس):

معنى القدر: القضاء والحكم ومبلغ الشيء والطاقة.

معنى القضاء: الحكم والصنع والحتم والبيان.

ثانياً ـ فى الاصطلاح العلمى:

تعددت آراء علماء الكلام فى حقيقة كل من القضاء والقدر، نذكر هنا طرفا منها:

قال الأشاعرة: القضاء هو إرادة الله تعالى أزلا المتعلقة بجميع الأشياء خيرها وشرها على ماهى عليه فيما لا يزال، فمرده الإرادة، والقدر هو إنجاز قضاء الله وإخراجه إلى حيز الوجود فمرده القدرة.

وقال ابن سينا: القضاء هو علم الله تعالى المتعلق بالكل على النظام الأكمل الذى يكون فى الوجود فهو عنده على ضوء هذا التعريف أوسع دائرة من القدر ومرجعه صفة العلم. والقدر عنده هو إفاضة الكائنات على حسب ما فى علمه تعالى.. فالكل صادر من الله، ومعلول له، وكل ذلك بقضاء وقدر.

وبهذا التعريف صار القدر أخص من القضاء لأن مرجعه القدرة الإلهية وهى أخص من العلم.

أما الإمام الغزالى فعرف القدر بقوله: «هو اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر» فهو بهذا التعريف يعتبر موافقا للقائلين بأن القضاء أخص من القدر.. فالقدر عنده أتم والقضاء أخص على عكس ما ذهب إليه ابن سينا.. وكان الغزالى يقول هو اسم لكل ما قدره الله تعالى أولا فى علمه وإرادته فمرجعه العلم والإرادة وهما أوسع مجالا من القدرة التى هى عنده مرجع للقضاء فيكون القضاء خاصا.

مدلولات القضاء و مشتقاته فى القرآن الكريم:

مدلولات القضاء: حصرها الإمام القرطبى فى ستة وهى:

١ - يطلق ويراد به الإرادة لقوله تعالى﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(١)

٢- يطلق ويراد به الفراغ لقوله تعالى ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾(٢).

٣- يطلق ويراد به الحكم لقوله تعالى ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾(٣).

٤- يطلق ويراد به الأمر لقوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾(٤).

٥- يطلق ويراد به الخلق لقوله تعالى ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾(٥).

٦- يطلق ويراد به العهد لقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ ﴾(٦).

أما كلمة (القضاء) فلم ترد بنصها فى القرآن الكريم وإنما وردت مشتقاتها التى بلغت ثلاثا وستين مرة فى سبع وعشرين سورة من سور الكتاب العزيز (البقرة وآل عمران والنساء والأنعام والأنفال ويونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر والإسراء ومريم وطه والحج والنمل والقصص والأحزاب وسبأ وفاطر وغافر والزمر وفصلت والزخرف والجاثية والأحقاف والجمعة وعبس) ويلاحظ القارىء لهذه المشتقات فى سياق آياتها أنها كلها تدور حول معانى الحسم والخلق والإيجاد والإبراز، أى فى صورة الحكم والتنفيذ فهو على هذا الاستنتاج يرجع الى صفة القدرة الواجبة لله تعالى.

مدلولات القدر و مشتقاته فى القرآن الكريم:

١- يطلق ويراد به الغلبة لقوله تعالى ﴿ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾(٧)

٢- يطلق ويراد به الاستطاعة لقوله تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾(٨).

١- آل عمران: ٤٧ — ٢- يوسف: ٤١ — ٣- طه: ٧٢ — ٤- الإسراء: ٢٣
٥- فصلت: ١٢ — ٦- القصص: ٤٤ — ٧- المائدة: ٣٤ — ٨- النحل: ٧٥

٣- يطلق ويراد به التعظيم والمعرفة لقوله تعالى ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[١].

٤- يطلق ويراد به التنفيذ لقوله تعالى ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[٢].

٥- يطلق ويراد به التحديد لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[٣].

٦- يطلق ويراد به التخمين لقوله تعالى ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾[٤].

٧- يطلق ويراد به التضييق لقوله تعالى ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[٥].

وقد ورد القدر ومشتقاته فى ثلاث وخمسين سورة من سور الكتاب العزيز (البقرة وآلا عمران والنساء والمائدة والانعام والأنفال والتوبة ويونس وهود والرعد وإبراهيم والحجر والنحل والإسراء والكهف وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان والعنكبوت والروم والسجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس والزمر وفصلت والشورى والزخرف والأحقاف والفتح والقمر والواقعة والحديد والحشر والممتحنة والتغابن والطلاق والتحريم والملك والمعارج والمزمل والمدثر والقيامة والإنسان والمرسلات وعبس والطارق والبلد والأعلى.

وعلى ضوء ماسبق بيان أقول: إن تقدير الأمور قدر، وسوق هذه الأمور الى حيز الوجود قضاء..

فالقدر هو تقدير الأمر بدأ، والقضاء فصل ذلك الأمر وقطعه كما يقال قضى القاضى، ويمكن لنا أن نتصور القدر على أنه اسباب والقضاء مسببات، فمتى وجدت الأسباب وجدت المسببات، فالنار مثلا سبب للدفء.. فالسبب هو القدر الذى أودعه الله فى الكائنات.. فالأسباب المودعة بقدرة الله تعالى فى الأشياء هى القدر، والمسببات التى تحدث عند تلاقى الأسباب بعضها ببعض هى القضاء وسواء توافقت الأسباب أم تعارضت فهى فى دائرة القدر، أما نتيجة هذا التوافق أو التعارض فهى المسببات أعنى القضاء.

١- الحج: ٧٤ ٢- المؤمنون: ١٨ ٣ - المزمل: ٢٠
٤- المدثر: ١٨ ٥- الفجر: ١٦

فالقدر هو التقدير والتنسيق ووضع الشيء فى موضعه المناسب، فهو تدبير وتصميم، وأسباب لا أثر لها وإنما يكون أثرها عند تحركها بأسباب أخرى، وهذه الأسباب قد تكون تحركها بأسباب أخرى، وهذه الأسباب قد تكون طبيعية وغير طبيعية بحيث يمكن لإرادة الانسان أن تتدخل فيها كالبذرة مثلا سواء أخذناها بمبدأ التلازم بين الأسباب والمسببات أم لا . .

أما مكانة القضاء والقدر فى القرآن والسنة فقد عدهما الإسلام من شعب الإيمان كما ورد فى الحديث النبوى وذلك حينما سأل جبريل رسول الله ﷺ قائلا: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . . وتؤمن بالقدر خيره وشره.

وما روى عن علىّ كرم الله وجهه[1] أنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: يشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله بعثنى بالحق، ويؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره.

ويقول الله تعالى فى الحديث القدسى: (من لم يرض بقضائى، ويصبر على بلوائى فليطلب ربا سواى).

فهذه النصوص جعلت القضاء والقدر من شعب الإيمان.

ومن ثم وجب على كل مسلم أن يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره. . حلوه ومره. . اللهم لا نسألك رد القضاء بل نسألك اللطف فيه اللهم رضنا بقضائك، وبارك لنا فيما قدر لنا حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، واجعلنا ياربنا من الذين إذا أحسنوا أستبشروا، وإذا أساؤا استغفروا، اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى، وتجمع بها أمرى، وتلم بها شعثى، وتصلح بها غائبى،

---

(١) هو أبو الحسن على بن أبى طالب القرشى الهاشمى رضى الله عنه، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ابن عم رسول الله ﷺ وصهره زوج فاطمة رضى الله عنها، وأول من أسلم (من الصبيان)، حصلت فى أيامه فتن بين المسلمين حيث اندلعت بعد مقتل عثمان رضى الله عنه، وقُتل شهيدًا، مرضيًا عنه بالكوفة فى السابع عشر من رمضان سنة (٤٠) هـ ولا يُعرف مكان قبره رضى الله عنه وانظر «شذرات الذهب» لابن العماد ١/ ٢٢١ - ٢٢٧.

وترفع بها شاهدى، وتزكى بها عملى، وتلهمنى بها رشدى، وتردبها ألفتى، وتعصمنى بها من كل سوء وتجمع بها شملى.

اللهم اعطنا ايمانا لا يرتد، ورحمة من عندك لاتنفد، ويقينا ليس بعده كفر، ولا فسوق ولا عصيان، ونسألك رضا من عندك ننال به شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة.

اللهم إنا نسألك الفوز فى القضاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء، انك ربنا سميع مجيب الدعاء.

اللهم انى أنزل بك حاجتى وإن قصر رأيى وضعف عملى أفتقرت إلى رحمتك فأسألك ياقاضى الأمور ويا شافى الصدور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور.

اللهم ماقصر عنه رأيى ولم تبلغه مسألتى من خير وعدته أحداً من خلقك، أو خير أنت معطيه لأحد من عبادك، فإنى أرغب اليك بمثله، وأسألك إياه يا أرحم الراحمين ويارب العالمين. .

اللهم يا ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود والرّكع السجود، الموفين بالعهود، انك رحيم ودود تفعل ماتريد. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثانى
المبحث الأول

الدعاء والتوكل

التوكل لغة هو إظهار العجز والاعتماد على الغير . . أما معناه الاصطلاحى فقد عرفه العالم المحقق الشيخ أحمد المعروف بشاه ولى الله بن عبد الرحيم المحدث الدهلوى فى كتابه : «حجة الله البالغة» .

فقال : التوكل هو أن يغلب على الإنسان اليقين حتى يفتر سعيه فى جلب المنافع ودفع المضار من قبل الأسباب ولكن يمشى على ما سنّه الله تعالى فى عباده من الاكساب من غير اعتماد عليها . .

وطريق تحقيقه يصفه لنا الإمام العارف الشيخ محمد أمين الكردى فى كتابه : «تنوير القلوب فى معاملة عَلاّم الغيوب»[1] فيقول : إن الدواء المحصل للتوكل هو ملازمة خمسة أذكار هى مايلى :

أحدهما : أن يلحظ العبد أن الله تعالى عالم بحاله من جوع ونحوه ولو كان تحت سبع أراضين أو فى أقصى الدنيا .

ثانيهما : اعتقاده كمال قدرته تعالى .

ثالثهما : أن يلحظ أن الله تعالى منزهٌ عن السهو النسيان .

رابعهما : أن يلحظ أن الله تعالى خزائنه لا تنقص أبدا وأنه الكريم الجواد الذى لا ينسى .

والمتوكل ماهو إلا عبد صالح باشر حياته فى ضوء تعاليم ربه فبذل جهده فى كسب قوته بعرق جبينه ، فعف نفسه وأهله من ذل السؤال غير أنه أخذ فى اعتباره أن ما يبذله من طاقة لا توصله إلى مطلوبه إلا إذا أراد الله له ذلك . . ولهذا قرن العمل بالتوكل والاعتماد عليه جلّ شأنه .

---

(١) من كتاب تنوير القلوب للإمام العارف الشيخ محمد أمين الكردى .

روى الشيخان أن النبى ﷺ لماذكر الذين يدخلون الجنة بغير حساب قيل له من هم يارسول الله؟ قال ﷺ: «هم الذين لايرقون ولا يسترقون ولا يطيرون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون».

يقول الإمام الدهلوى: إنما وصفهم النبى ﷺ بهذا إعلاما بأن أثر التوكل ترك الأسباب التى نهى الشرع عنها، لا ترك الأسباب التى سنّها الله تعالى لعباده.

ولهذا أقول أن التوكل من لوازم كمال الإيمان لأنه الاعتماد على الخالق دون رؤية الخلائق، فمن توكل عليه كفاه، ومن انقطع إليه أواه..

يقول الإمام الغزالى فى الإحياء[1]: قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب باليدين، وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاه، وكاللحم على الوضم، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام فى الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل إنما يظهر تأثير التوكل فى حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده.

وسعى العبد باختياره إما يكون لجلب نافع هو هو موجود عنده كالادخار، أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوى من المرض، فمقصود حركات العبد لا يبعد عن هذه الحالات الأربع التى هى:

١- جلب النافع.

٢- أو حفظه.

٣- أو دفع الضار.

٤- أو قطعه.

واجمع القوم على أن التوكل لا ينافى القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا هو بطالة وتوكل فاسد.

---

(١) الأحياء للغزالى: ج٤ ص ٢٥٣.

* الإمام الغزالى: هو محمد بن محمد أبو حامد الطوسى الغزالى، حجة الإسلام، صاحب التصانيف الكثيرة وأشهرها إحياء علوم الدين، جلس للتدريس فى المدرسة النظامية ببغداد، ثم أخذ نفسه بالمجاهدة، توفى بطوس عام ٥٠٥هـ.

يقول ابن القيم [(١)]: إسقاط الأسباب ليس من التوكل.. فطرد الأسباب الدنيوية وجعل وجودها كالعدم يؤدى رلى طرد الأسباب الأخروية وهذا وذاك مفسدة للدنيا والآخرة، ويدفع إلى القول بأن سَبَق العلم والحكم بالسعادة والشقاوة لا يتغير البتة سواء عمل الإنسان الخير أو الشر.. ويؤدى ذلك بدوره إلى تعطيل الأحكام الشرعية والأوامر الإلهية ومنها الدعاء فلا داعى للدعاء لأن العلم والحكم بحصوله حصل سواء دعونا أو لم ندعُ، وهذا فساد عظيم لمخالفته للقرآن والسنة وإجماع السلف، وأئمة المسلمين، بل ومخالف لصريح العقل والحسن والمشاهدة.. ولقد سئُل النبى ﷺ عن اسقاط الأسباب نظرا الى القدر؟ فرد ذلك وألزم القيام بالأسباب كما فى الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة، ومقعده من النار، قالوا يا رسول الله: أفلاندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: لا أعملوا فكل ميسر لما خلق له.

وفى الصحيح عنه ايضا أنه قيل له: يارسول الله أرأيت مايكدح الناس فيه اليوم ويعملون أمر قضى عليهم ومضى، أم فيما يتسقبلون عما آتاهم فيه الحجة؟ فقال: بل شىء قضى عليهم ومضى فيهم.. قالوا يارسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا؟

قال: لا اعملوا فكل ميسّر لما خلق له.

وبالرغم من مكانة الدعاء فى القرآن والسنة وعند العلماء الصالحين وبيان مفهومه الحقيقى وأنه لا تناقض بينه وبين التوكل والتفويض والتسليم نرى بعض الناس يخطىء فى فهمه للتوكل فيظنه أنه أمر مقتض لترك العمل ومنه الدعاء، وداعٍ من الدواعى الدافعة لعدم الأخذ بالأسباب، وعليه فهو يعطل كل مدركاته الحسية والعقلية ويسكن سكون الجماد لأن كل شىء من الله وإلى الله، وكل ماهو دافع فى الحياة إنما هو بقضاء الله تعالى وقدره، فلم يبذل الجهد، ولم يحرك الجوارح، يظن هذا الصنف من الناس أنه بذلك الاعتقاد الخاطىء قد وصلوا الى الكمال المطلق بهذه الفلسفة

(١) الجزء الثالث من مؤلفه مدارج السالكين بتصرف.

* ابن القيم: هو شمس الدين محمد بن أبى بكر وكان أبوه قيّم أى ناظر لمدرسة الجوزية بدمشق تتلمذ على ابن تيمية، له العديد من المؤلفات القيمة توفى عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م.

المريضة.. وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم.. متناقضون، فإن طرد مذهبهم يوجب تعطيل جميع الأسباب فيقال لأحدهم:

* إن كان الشبع والرى قد قُدّرا لك فلا بد من وقوعهما، أكلت أو لم تأكل، وإن لم يُقدرا لم يقعا أكلت أو لم تأكل.

* إن كان الولد قد قُدرّ لك فلابد منه، وطئت الزوجة أو الأمة أو لم تطأ، وإن لم يقدر ذلك لم يكن، فلا حاجة إلى التزوج والتسرى وهلم جرا.

فهل يقول هذا عاقل أو آدمى؟.. بل بهذا التفكير والسلوك يصبح الإنسان أحط مرتبة من الحيوان، إذ غريزة الحيوان تدفعه إلى الحركة والسعى وتناول الطعام والشراب والتوجه إلى ماينفعه، والبعد عما يضره، أى أن الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التى بها قوامه وحياته.

ولو كان التوكل كما فهمه هذا اللفيف من الناس كسل ودعه وتواكل وترك للعمل، لما أمر الله به أنبياءه، ولما حثهم على الالتزام به، ولما مدح الله المتصفين به من عباده، وأثنى عليهم، وكيف يكون الأمر كذلك والرسول ﷺ يقول: «إذا قال العبد باسم الله توكلت على الله ولا قوة إلا بالله قال الحق سبحانه وتعالى: «هُديت وكُفيت» ولذا قال الله تعالى: «ومن يتوكل على الله فهو حَسبْه».

جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال متسائلا: يارسول الله: أرسل ناقتى وأتوكل. وفى رواية الترمذى: اعقل ناقتى وأتوكل أو اطلقها وأتوكل ويرسل ناقته أى يتركها حرة الحركة بدون قيد. بخلاف يعقلها أى يقيدها.

وفى هذا الحديث النبوى توجيه جميل أن نحرص على مافيه الخير لنا، وأن نأخذ فى الأسباب المشروعة لتحصيل الطلب ولا نعجز ونكتفى بالدعاء يقول عمر رضى الله عنه: «لايقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى، فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهبا ولافضة.

ويقول ابن الجوزى: لايكن بينك وبين النهر شبر من الارض.. فلا ترفع الماء وتقوم تصلى صلاة الاستسقاء.

وجزى الله خيراً القائل:

توكــل علــى اللـه فى الأمر كلـه ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألــم تـــر أن اللــه قــال لمريــم إليــك فهـزى الجـذع يسـاقط الرطـب
ولو شاء أحنى الجزع من غير هزه إليهــا، ولكــن كـل شـىء لـه سـبب
وقــد كان حــب الله أولى برزقها كما كان حب الخلق أدعى إلى النَّصَب

كان الله يرزقها فى المحراب بغير نصب لفراغ قلبها له، فلما تعلق قلبها بولدها ردّها إلى العادة فى التعلق بالأسباب.

فالتوكل لا يقف حجر عثرة أمام أهدافنا، ولا يعطل ملكاتنا، ولا يرفع التكاليف المنوطة بنا خصوصا إذا فهمنا ووعينا قول الله تعالى: «فاعبده وتوكل عليه» فكلا العبادة والتوكل اعتماد على الله بعد الأخذ بالأسباب، وقد أمر الله تعالى بهما، والمتوكل على الله حقيقة هو المعتمد عليه، وهو الذى يعمل فى ظل رعايته، وفى طريق هدايته، وسبيل توفيقه.

والتوكل حقيقة هو القوة الدافعة للهمم، الباعثة للعزائم المجددة للأنشطة المرشدة للخير، المؤدية للظفر والنجاح..

أما التواكل فلم يرد لفظه ولا مرادفه، ولا مشتق من مشتقاته فى القرآن الكريم إذ هو ترك العمل، وعدم الأخذ بالأسباب وهذا لايليق بابن آدم الذى خلقه الله على صورته، واستخلفه فى مُلكه وكَرَّمه على سائر خلقه بأن اصبح كل ما عداه مذللا مسخرا له.

والتواكل هو العجز بعينه، والسلبية المقيتة المنتزعة للإيمان من القلوب المتمردة على أوامر الله، والصارفة للانسان عن كل نافع، والنافية له عن كل تقدم مشروع..

ورد فى الأثر أن الله أوحى إلى داود عليه السلام:

«يا داود من دعانى أجبته، ومن استغاثنى أغثته، ومن استنصرنى نصرته، ومن توكل على كفيته.. «أليس الله بكاف عبده».

وقال لقمان لابنه: يابنى إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما اظنك ناجيا.

وقال داود لابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام:

«يابنى إنما يستدل على تقوى الرجل بثلاث:

* حُسن التوكل فيما لم ينل.
* وحُسن الرضا فيما قد نال.
* وحُسن الصبر فيما قد فات..

وقيل ليحيى بن معاذ: متى يكون الرجل معتصما بالله؟ قال: «إذا قطع قلبه عن كل علاقة موجودة أو مفقودة ورضى بالله وكيلا».

وحكى عن جماعة دخلوا على الجنيد رحمه الله.. فقالوا له: نطلب أرزاقنا قال: إن علمتم أين هى فاطلبوها؟! فقالوا: نسأل الله ذلك؟ فقال: إن علمتم أنه ينساكم فذكِّروه!!، فقالوا: ندخل بيوتنا ونتوكل على الله، فقال: التجربة مع الله شك خطر، قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة. ثم قال:

دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحكم فى حركات الفلك
ولا تسألنى الله عن فعله فمن خاض لجة البحر هلك

وروى أن حاتما الأصم كان تلميذا لشقيق البلخى رحمهما الله فقال له يوما: منذكم صحبتنى؟ قال: منذ ثلاث وثلاثين سنة.

قال: فما تعلّمت منى فى هذه المدة؟ قال: ثمان مسائل.

قال: شقيق: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمرى معك ولا تتعلم إلا ثمان مسائل، فما هى؟

فذكر واحدة بعد الأخرى حتى قال الثامنة: نظرت الى هذا الخلق فوجدتهم يتوكل بعضهم على بعض، ويتوكل هذا على تجارته، وهذا على صنعته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق يتوكل على مخلوق، فرجعت الى قول الله عز وجل: «ومن يتوكل على الله فهو حَسْبُه» وتوكلت على الله.. فقال شقيق: وفقك الله يا حاتم فلقد جمعت الأمور كلها.

المبحث الثانى

ثمرة التوكل ومرادفاته

قال بعضهم: من أقبح الذنوب عند الله أن يسأل العبد ربه فى حصول شىء من غير تفويض، ثم إذا أعطاه وحصل له منه ضجر وتعب سأل الله تعالى أن يحوله عنه؟!

فإن الحق تعالى جوده فيّاض على عبده وله أوقات لا يرد فيها سائلا ولو كافراً، والحق تعالى ليس تحت أمرنا ولا طاعتنا حتى نقول له بكرة النهار مثلا افعل لنا كذا ثم آخر النهار نندم ونقول له حول عنا ما أعطيته بكرة النهار.

وقال بعضهم: «إذا خيَّرت الله فى شىء فإيّاك أن تختار، وفرّ من اختيارك إلى اختياره، فإنك جاهل بالعواقب».

قال أبو الدرداء[1] رضى الله عنه: ذروة الإيمان الاخلاص والتوكل والاستسلام للرب عز وجل، وليس فى المقامات أعز من التوكل، فإن التوكل على الله يحبب العبد، وأن التفويض إلى الله يهديه.

ويهدى الله يوافق العبد رضوان الله.. وبموافقة رضوان الله يستوجب العبد كرامة الله.. ومن يتوكل على الله ويسلم لقضائه، ويفوض الأمر إليه، ويرضى بقدره، فقد أقام الدين وأحسن الإيمان واليقين، وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير، وأقام الأخلاق الصالحة التى تُصلح للعبد أمره، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان لأنه مقرون به.. ومن أحب أهل التوكل فقد أحبه الله.. وأول التوكل المعرفة بالوكيل[2] سبحانه وتعالى.

---

(١) هو أبو الدرداء، عويمر، اختلف فى اسم أبيه وجده، الأنصارى الخزرجى، أسلم يوم بدر وشهد أحُد وأبلى فيها، ولاه معاوية عنه قضاء دمشق فى خلافة عمر رضى الله عنه، ومات فى خلافة عثمان رضى الله عنه.

(٢) من كتاب تنوير القلوب: ص ٤٧٥ - ٤٨٤.

الفصل الثالث

الدعاء والعمل

العمل هو بذل بعض الطاقة الذهنية أو الجسدية أو كلها لبلوغ هدف معين بأجر أو بغير أجر مادى أو معنوى . .

ولقد جاءت الشرائع السماوية كلها آمرة بالعمل، وداعية إليه، وحاثة عليه، ذلكم العمل الشريف الذى يؤدى إلى الحصول على لقمة العيش، ويسهم مساهمة فعالة فى إسعاد البشرية ورخائها . . ولقد كان الاسلام منذ فجره ولا يزال هو الدين السماوى الذى جاء بالتشريعات المتعددة والمستوعبة لكل طوائف العمل وأنواعه، أمر ودعا وحرض على مزاولته كمصدر رزق، حفاظا على الوقت من الضياع، واسهاما فى بلوغ البشرية أسمى درجات الرقى والرفاهية، وامتطاء الدنيا كمركبة ذلول أو غير ذلول لأنها مزرعة الآخرة وطريقها . . ولقد ناشد القرآن الكريم الانسانية كلها فى مزاولة المهن والحرف المختلفة وغيرها، وحثهم عليها حثا، وأبان لهم وجه الصواب والخير فى ممارستها، وأُحيط العباد علمًا، بأن الله يرى أعمالهم ورسوله المصطفى والصالحون من عباده فقال عز من قائل: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾[1].

فينبغى أن تخالط هذه الرؤية شغاف قلب كل مؤمن ليقف على شرف حقيقتها التى لاشرف بعدها، ولا شيء يدانيها . . ولقد سلكت السنة المطهرة عين الطريق، ونفس السبيل، وأوضح الرسول فى أكثر من حديث أن اليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى وإن كان فى كل خير .

ولكى تقف على حقيقة العمل، وبيان فضله وأثره وفائدته، ينبغى أن تعلم أن لفظ العمل ومشتقاته قد وردت فى القرآن الكريم مائة وإحدى وتسعين مرة منبثة فى ثمان وستين سورة وفى أكثر من (٢٥) جزءاً من القرآن الكريم . . كما يفهم من هذا ايضا مدى اهتمام الاسلام بالعمل اهتماما بالغا حتى أنه شمل معظم سور القرآن فتارةً يدعو

---

(١) التوبة: ١٠٥

إلى العمل، وأخرى يحث عليه، وثالثة يظهر فضله وثوابه، والذى تجدر الاشارة إليه صيغة الأمر بالعمل حيث بلغت احدى عشرة آية (فى سبع سور من الكتاب العزيز) ومن ثم نتعرف عليها فى مواطنها، ونقف عندها ولو قليلا لنرى ماتهدف اليه . .

١ـ جاء الأمر بالعمل للانجاز فى سورة سبأ، قال تعالى ﴿ **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ** ﴾[١].

٢ـ جاء الأمر للتهكم فى سورة فصلت، قال تعالى ﴿ **وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ** ﴾[٢].

٣ـ جاء الأمر بالعمل للتهديد فى سورة الانعام، قال تعالى ﴿ **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾[٣].

٤ـ جاء الأمر بالعمل فى سورة فصلت، قال تعالى ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[٤].

٥ـ جاء الأمر بالعمل للحث عليه فى سورة التوبة. قوله تعالى ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾[٥].

٦ـ جاء الأمر بالعمل لتعظيمه فى سورة المؤمنون. قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا** ﴾[٦].

٧ـ جاء الأمر بالعمل للشرك فى سورة سبأ قوله تعالى ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾[٧].

ولاتخرج معانى الاحدى عشرة آية التى جاءت بصيغة الأمر عن هذه المعانى سالفة الذكر . . فهذا دليل على أن الله أمر بالعمل، وحثّ عليه، وأثنى على القائمين به، وأثابهم فى الدنيا، ووعدهم عليه فى الآخر خيراً كثيراً.

١- سبأ: ١١ ٢- فصلت: ٥ ٣- الأنعام: ١٣٥ ٤- فصلت: ٤٠
٥- التوبة: ١٠٥ ٦- المؤمنون: ٥١ ٧- سبأ: ١٣

وشأن الدعاء هو شأن العمل فالله أمر المسلمين بهما، وصلة الدعاء بالعمل صلة النوع بجنسه فأنواع العمل كثيرة ومنها الدعاء غير أن الدعاء هو أفضلها واعظمها.. أو من صلة الخاص بالعام أو من صلة الجزء بالكل إذ الدعاء عمل خاص داخل فى نطاق العمل بمفهومه العام والعمل نوعان ظاهر وهو عمل الحواس وباطن وهو عمل النفس والقلب ولا تنافى أبدا بين أن يعمل الانسان وبين أن يأخذ بالأسباب لكسب المال وبين أن يدعو ربه فى أن يرزقه المال الحلال وأن يوسع عليه دخله.. كما أنه لاتنافى بين العمل والقضاء والقدر وبخاصة بعد أن أمطنا اللثام عن حقيقتهما فيما سبق.

ومن حرص الإسلام أنه لم يحدد يوما فى الاسبوع ليكون عطلة للراحة بل ترك للمسلمين الحرية فى أن يختاروا اليوم الذى يرونه ملائما من غير تشبه بأحد إلا أنه اشترط عليهم إذا هم اختاروا غير يوم الجمعة يوم راحتهم أن يحرصوا على أداء الجمعة فى وقتها وأن ينصرفوا اليها تاركين كل شىء حتى مصدر قوتهم وهو البيع والشراء فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[(١)].

فقد أعطى الاسلام للعمل الدنيوى من الاهتمام ما اعطاه لصلاة الجمعة إذ الحياة من غير تجمل لا يستقيم حالها ولا ينتظم أمرها.

أما أحاديث الرسول ﷺ فى الحث على العمل ودعوة المؤمنين الى مزاولته فكثيرة جدا نورد منها ما تيسَّر لنا جمعه من الصحاح والمسانيد.

روى البخارى وأحمد وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال:

«ما أكل أحد طعاما قط خيرا له من أن يأكل من عمل يده وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده».

---

(١) الجمعة: ٩ - ١٠

وروى أحمد والحاكم أن النبى ﷺ قال: «أطيب الكسب عمل الرجل بيده».. بل ان الأحاديث النبوية جعلت السعى على تحصيل لقمة العيش كالجهاد فى سبيل الله من حيث الأجر والثواب.

فقد روى الطبرانى[1] والبيهقى أن رجلا مر على النبى ﷺ فرأى أصحاب رسول الله من جَلَدَه ونشَاطَه، فقالوا يا رسول الله، لو كان هذا فى سبيل الله! فقال رسول الله ﷺ: إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله.. وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفّها فهو فى سبيل الله.. وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو ليس فى سبيل الله».

ولذا قال الرسول ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» رواه مسلم وأبو داود وقوله ﷺ: «أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع» رواه ابن حبان فى صحيحه وقال عليه الصلاة والسلام: «والرجل راع فى بيت أهله ومسئول عن رعيته» رواه البخارى ومسلم وغيرهما..

ولقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأل شيئا من المال وهو قوى معافى، فقال له الرسول ﷺ أما فى بيتك شىء؟ قال بلى، حلس «كساء غليظ» نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب «نشرب فيه الماء، فقال الرسول: ائتنى بهما، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله بيده وقال: من يشترى هذين؟ قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله من يزيد على الدهم؟ مرتين أو ثلاثا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما

(١) الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبرانى أحد الأئمة المعروفين، والحفاظ المكثرين، والطلاب الرحالين الجوالين، والمشايخ المعمِّرين، والمصنفين والمحدثين، والثقات الإثبات المعدلين، سمع بالشام والعراق، وصنَّف المعجم الكبير فى أسماء الصحابة الكرام، والأوسط فى غرائب شيخوخه، والصغير فى أسماء شيوخه، وغير ذلك من الكتب، وروى عنه الكثيرون. قال ابن العميد: ما كنت أظن فى الدنيا حلاوة ألذ من الرياسة والوزارة التى أنا فيها حتى شاهدت مذاكرة سليمان بن أحمد الطبرانى.. وتمنى ابن العميد فى عبارة طويلة له أن يكون فى مكان الطبرانى بدل الوزارة والرياسة. وولد الطبرانى بطبرية من بلاد العجم سنة ستين ومائتين وتوفى بأصبهان سنة ستين وثلاثمائة، فعمره مائة سنة كاملة رضى الله عنه.

إياه، وأخذ الدرهمين فاعطاهما الانصارى، وقال له: اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى اهلك، واشتر بالآخر قدوما فائتنى به، فأتاه فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده، ثم قال: اذهب فاحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوما، ففعل فجاء وقد اصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا، وببعضها طعاما، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من أن تجيء والمسألة نكتة «علامة» فى وجهك يوم القيامة، أن المسألة لا تصلح إلا لذى ثلاث: لذى فقر مدقع شديد الفقر، أو لذى غرم مفظع «كثير الدين» أو لذى دم موجع والدم الموجع هو الذى يتحمل دية عن قريبه القاتل يدفعها إلى أولياء المقتول ولو لم يفعل قتل قريبه الذى يتوجع لقتله».

رواه أبو داود والبيهقى والترمذى.

ولقد روى عن رسول الله ﷺ ما يحث على العمل بما لا مزيد عليه فقد قال رسول الله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى» والعُليا هى المنفقة والسفلى هى السائلة.

الفصل الرابع

الدعاء والقضاء والقدر

الدعاء كما عرفنا سابقا. . هو الطلب على سبيل التضرع والابتهال الى الله تعالى بالسؤال فى جلب خير أو دفع ضر أو شكر نعمة أو دوامها، أو مناجاة لله تعالى أو هو استدعاء العبد ربه ليدفع عنه ضرا أو يجلب له خيرا أو يديم عليه نعمة فتعاريف الدعاء كثيرة غير أنها لاتخرج عن كونها طلبا مصوراً بصورة «ما» يرفعه العبد طولاه رجاء التفضل عليه بالقبول والاجابة وكذا مشتقاته ومدلولاته وكذلك القضاء والقدر ما هما إلا علم الله أزلا بالأكوان على ماهى عليه أو إرادته تعالى الأكوان على ماهى عليه أو إيجاد الأكوان على الهيئة والصورة التى عليها. . فلا منافاة بين الدعاء كطلب وبين كل من القضاء والقدر كعلم لله أو إرادة له أو قدرة. . غير أن المقام هذا لايكتفى فيه بالاشارة بل لابد فيه من الايضاح والتبيين لأن الأمر عظيم وكم هوت فيه أقدام وزلت آراء. والله المستعان.

أما صلة الدعاء بكل من القضاء والقدر فتوضحها أحاديث رسول الله ﷺ والتى نوردها فيلما يلى:

١- روى ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر، وأن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» رواه ابن حبان(١) فى صحيحه والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد».

٢- عن عائشة رضى الله قالت قال رسول الله ﷺ:

«لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وأن البلاء لينزل

---

(١) هو الفقيه أبو عبد الله بن يحى بن حبان منقذ بن عمرو المازنى الأنصارى، كانت له حلقة فى مسجد النبى ﷺ، وتوفى سنة إحدى وعشرين ومائة.

فيلقاه الدعاء فيعتلجان» (يتصارعان ويتدافعان الى يوم القيامة».

رواه البزار[١] والطبرانى[٢] والحاكم[٣] وقال صحيح الإسناد.

٣- وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر».

رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب..

فهذه الأحاديث الشريفة وما جاء على منوالها تبين الصلة الوثيقة بين الدعاء وكل من القضاء والقدر.

إذ فى حديث ثوبان بين الرسول أن القدر لا يرده إلا الدعاء..

وفى رواية سلمان[٤] بين المصطفى أن القضاء لا يرده إلا الدعاء.. فالقضاء حكم معد للنفاذ.

والدعاء رجاء من العبد مرفوع منه إلى مولاه للحد أو التخفيف من هذا الحكم الشامل بالنفاذ.

ولذلك يوضح الحديث الأول والثالث أن الدعاء من اعظم النعم الالهية على البشر بل وليس من نعم الله تعالى على الانسانية مثل الدعاء إذ هو وحده الذى يستطيع فقط أن يرد القضاء أما غيره من العبادات فلا..

ويصور الحديث الثانى كيفية رد الدعاء لكل من القدر والقضاء... فيقول

---

(١) هو الإمام أبو على الحسن بن الصباح البزاز، سمع سفيان بن عيبه، وأبا معاوية وطبقتهما، وكان أحمد بن حنبل يرفع قدره ويجله ويحترمه، وروى عنه البخارى، وقال أبو حاتم: صدوق. وكانت له جلالة عجيبة، توفى رحمه الله ببغداد سنة تسع وأربعين ومائتين.

(٢) الطبرانى سبقت ترجمته.

(٣) الحاكم: هو الإمام الحاكم أبو عبدالله النيابورى المتوفى سنة خمس وأربعمائة، وقد قال عنه ابن خلدون: «وقد ألف الناس فى علوم الحديث وأكثروا، ومن فحول علمائه وأئمته أبو عبد الله الحاكم وتآليفه فيه مشهورة، وهو الذى هذبه، وأظهر محاسنه».

(٤) هو أبو عبد الله سلمان الفارسى، ويُقال له: سلمان بن الإسلام، وسلمان الخير، عاش (٢٥٠) سنة وكان أول مشاهده الخندق، توفى رضى الله عنه بالمدائن سنة (٣٦) هـ.

الرسول ﷺ: «وأن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة».

وتعبير المصطفى عن هذا التنازع بالاعتلاج والتصارع لهو دليل حى على أثر مفعول الدعاء فى القضاء.

إذ هو بهذا البيان يصور القضاء على أنه سهم بارز الى دائرة التنفيذ كاد أن يصل هذا السهم الى هدفه لولا لقاء الدعاء به بين السماء والأرض ولذلك استطاع الدعاء ايقاف التنفيذ لا إيطال الحكم إذ الحكم فى طريق التنفيذ لكن هذا الطريق طويل فقد يبطل سهم القضاء إذا كان فى علم الله تعلق بطلانه على هذا الدعاء المستجاب أو يكون فى علم الله أزلا شل حركة ذلك القضاء أو تخفيف وطأته أو يكون فى علم الله أزلا تصارعهما وتنازعهما على امتداد الزمن إلى يوم القيامة وذلك ما توضحه وتثبته أحاديث رسول ﷺ التى على منوال هذا الحديث الثانى.

ولهذا كان من الأحاديث المحمدية المأثورة: «اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه»..

ولقد وفق القاضى أبو بكر العربى فى تفسير أحاديث رسول الله ﷺ الواردة فى هذا المقام والحاملة لهذه المعانى توفيقا ممتازا حيث أبان الصلة التى تربط الدعاء بالقضاء فقال:

الدعاء مناجاة الله تعالى لما يريد العبد من جلب منفعة أو دفع مضرة.. ومن القضاء رد البلاء بالدعاء فهو سبب لذلك واستجلاب لرحمة المولى كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب خروج النبات من الأرض والدعاء سلاح المؤمن.

فإذا كان العبد دائم الذكر والدعاء والتضرع إلى الله تعالى فإن الملائكة تحفظه من جميع المكاره فإذا جاءه ضرر أو مكروه من أحد المخلوقين منعته الملائكة وصدت عن وجهه المكاره فلا يزال محفوظا من جميع الجهات إلا من جهة فوق فان القضاء والقدر اسلمته الملائكة لذلك فينبغى أن تحرس جهة فوق بالعمل الصالح فانه لابد لكل عبد طريق إلى السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه ومنه تقبر روحه ومنه تصعد..

فإذا كان العبد مواظبا على الطاعات كثير الدعاء مملوءة سبله بالخيرات فيحتبس

ذلك البلاء عند النزول ولا يجد منفذا إليه فيكون دعاؤه وعمله قد حجبا عنه البلاء لأن الدعاء من الله تعالى بالمكان العالى فيتصادم البلاء والدعاء فتارة يغلب الدعاء وتارة يغلب البلاء فهما كالمتصارعين.. فإن غلب الدعاء رفُع البلاء وخرق السموات وارتقى إلى الله تعالى..

وإن غلب البلاء أزال الدعاء ونزل على العبد واليه الاشارة بقوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾(١)

وقال عليه الصلاة والسلام: «لايزال البلاء والدعاء يقتتلان إلى يوم القيامة».. فهذا معنى كون الدعاء سببا لرد البلاء..

ويُفهم من تفسير القاضى أبى بكر العربى للتصارع بين الدعاء والقضاء أن الظفر لا يكون إلا حيث يريد الله تعالى لأحدهما الغلبة على الآخر فإن قُبل الدعاء واستجيب عند الله فتبرزه المشيئة الآلهية فى صورة المنتصر على البلاء.

وإن رُفض الدعاء ولم يستجب لدى الله تبرزه المشيئة فى صورة المغلوب على أمره بانتصار البلاء عليه..

وبناء على ذلك يفهم أن كل دعاء ليس مستجاب البتة فقد يستجاب وقد لايستجاب.

هل الدعاء أفضل أم تركه والاستسلام للقضاء أفضل؟

اختلف العلماء فى ذلك إلى رأيين اثنين:

الرأى الأول: رأى الجمهور وهم القائلون بأن الدعاء افضل من تركه والركون إلى الاستسلام للقضاء والقدر.. ثم ساقوا أدلتهم فى هذا المقام.

١- قال الرسول ﷺ «الدعاء مخ العبادة».

(أخرجه الترمذى من حديث أنس يرفعه)

---

(٢) يوسف : ٢١

٢- قال الرسول ﷺ «من لم يسأل الله يغضب عليه»

(أخرجه الترمذى وصححه ابن حبان والحاكم).

٣- قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

«إنى لا أحمل هّم الاجابة ولكن هّم الدعاء فإذا أتممت الدعاء علمت أن الاجابة معه».

وفى هذا المعنى يقول الشاعر:

لو لم ترد نيل ما أرجو وآمله   من جود كفك ما عودتنى الطلبا

ثم قال هذا الفريق لقد تواترت الأخبار عن الرسول ﷺ بالترغيب فى الدعاء والحث عليه..

فالله سبحانه يحب تذلل عباده بين يديه وسؤالهم إياه وطلبهم حوائجهم منه وشكواهم منه إليه وعياذتهم به منه وفرارهم منه إليه.

كما قيل:

قالوا اتشكـوا إليـــه   ماليس يخفى عليه

فقلت ربـى يرضـى   ذل العبـيد لديــه

الرأى الثانى: هو من رأى أن الاستسلام للقضاء والقدر أفضل من الدعاء واستدلوا على صحة رأيهم هذا بقول الله تعالى:

﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[1].

قائلين بأن آخر الآية دل على أن المراد بالدعاء هو العبادة.

(رد الشيخ تقى الدين السبكى)

غير أن االشيخ تقى الدين السبكى[2] تعقبهم ورد عليهم وعلى من سار على

---

(١) غافر : ٦٠.

(٢) السبكى نسبة الى سُبك، احدى قرى المنوفية حيث ولد عام ٦٨٣هـ، وقد ألف فى التفسير والسيرة والمعاملات. توفى عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م.

دربهم بقوله حمل الدعاء فى الآية على ظاهره أولى:

ثم عرج على قولهم فى الاستدلال بأن الله ذكر فى آخر الآية ما يدل على أن المراد من الدعاء هو العبادة وهو قوله تعالى:

﴿الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]

قائلا أما وجه الربط بين الدعاء والعبادة.. فهو أن الدعاء أخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء وعلى هذا فالوعيد فيه إنما هو فى حق من ترك الدعاء استكبارا ومن فعل ذلك كفر.

وأما من تركه لقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور.. وإن كنا نرى أن ملازمة الدعاء والاستكثار منه أرجح من القول بتركه لكثرة الأدلة الواردة فيه..

(رأى الإمام القشيرى فى الرسالة)[2]

ثم ذكر القشيرى فى الرسالة ملخصا موجزا عن الرأيين ودليل كل متسائلا أى الأمرين أولى: الدعاء أو السكوت والرضا فقال:

(أ) قيل الدعاء والذى ينبغى ترجيحه لكثرة الأدلة ولما فيه من إظهار الخضوع والافتقار.

(ب) وقيل السكوت والرضا أولى لما فى التسليم من الفضل ثم ذكر شبهة هؤلاء قائلا:

إن كان الداعى لا يعرف ما قدر له فدعاؤه إن كان على وفق القدر فهو تحصيل الحاصل وإن كان على خلافه فهو معاند.. ثم ذكر الرد على هذا التلازم قائلا: إن اعتقد أنه لايقع إلا ما قدّره الله تعالى كان إذعانا لا معاندة ولأن فائدة الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الأمر ولاحتمال أن يكون المدعو به موقوفا على الدعاء لأن الله خلق الأسباب والمسببات.

---

(١) غافر: ٦٠

(٢) القشيرى هو عبد الكريم بن هوازن شيخ خراسان فى عصره. من مصنفاته لطائف الاشارات فى التفسير، والرسالة القشيرية/ توفى عام ٤٦٥/ ١٠٧٣م

ولقد ذكر الامام النووى فى مؤلفه الأذكار كلاما حسنا نقلا عن رسالة الامام القشيرى أحببت ذكره فى هذا المقام قال:

اختلف الناس فى أن الافضل الدعاء أم السكوت والرضا؟

فمنهم من قال: الدعاء عبادة للحديث السابق «الدعاء هو العبادة»

ولأن الدعاء إظهار الافتقار الى الله تعالى:

وقالت طائفة: السكوت والخمود تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق به القدر أولى..

وقال قوم: يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه ليأتى بالأمرين جميعا..

ثم قال القشيرى: والأولى أن يُقال الأوقات مختلفة.

(أ) ففى بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب.

(ب) وفى بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب.

وإنما يُعرف ذلك بالوقت فإذا وجد فى قلبه إشارة الى الدعاء فالدعاء أولى به، وإذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت أتم.. ثم قال: ويصح أن يُقال ما كان للمسلمين فيه نصيب، أو لله سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء أولى، لكونه عبادة وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم[1].

وقالوا فى هذا لأن الخير المتعدى أولى من الخير القاصر على واحد.

والمتأمل لدعوة نبى الله زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾[2]. يجد أنها لحق الحق وليست لحظ نفس زكريا عليه السلام ولذلك استجاب الله له.

---

(١) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ٧/ ٢٣٥

(٢) مريم: ٦.

عن أنس بن مالك[١] رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال «عجبا لأمر المؤمن، لايقضى الله له شيئا إلا كان خيراً له»[٢].

وروى مسلم عن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن اصابته سراء شكر وكان خيراً له. وإن اصابته ضراء صبر فكان خيراً له[٣]

---

(١) أنس بن مالك: هو الصحابى الجليل أبو حمز أنس بن مالك الأنصارى البخارى خادم رسول الله ﷺ، وقد قدم إلى المدينة وهو ابن عشر سنين، والتحق بخدمة الرسول، ودعا له الرسول بكثرة المال والولد، والبركة فيهما وفيما أوتى، فكان نخله يثمر فى العام مرتين، وتوفى رضى الله عنه سنة ثلاث وتسعين على الراجح، وقيل سنة تسعين أو إحدى أو اثنتين وتسعين.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ٥/ ٢٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث رقم ١٤٨.

(٣) رواه أحمد ومسلم عن صهيب/ صحيح.

الفصل الخامس

رأى العلماء فى نفع الدعاء

مذهب أهل السُّنة وما عليه جمهور العلماء يقولون بنفع الدعاء مطلقا، واستدلوا على ذلك بما يلى:

أما دليلهم العقلى فينحصر فى قولهم: «لو لم يكن الدعاء نافعا ما أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين به، لكنه أمرهم به فثبت أنه نافع ومفيد، ولهذا دعا الرسل وفى مقدمتهم المصطفى ﷺ وسار على نهجه فى الدعاء صحابته رضوان الله عليهم والتابعون والأولياء الصالحون.. والكتب السماوية مليئة بالأدعية وبخاصة القرآن الكريم، وكذا أحاديث الرسول ﷺ.

وأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كانوا يجتهدون فى الدعاء. وقد حكى القرآن الكريم لنا نماذج متنوعة من دعواتهم فهذا ابراهيم يدعو الله فيقول ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾(١)

وهذا موسى عليه السلام يضرع الى الله فيقول ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨)** ﴾(٢)

وهؤلاء الصالحون من عباد الله يكثرون من التضرع اليه فيقولون: ﴿ **رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)** ﴾(٣)

فعلينا أن نتأسى بهؤلاء الأخيار، فنكثر من الدعاء بجد واخلاص لكى نفوز كما

---

(١) إبراهيم: ٤٠، ٤١.
(٢) طه: ٢٥ ـ ٢٨.
(٣) البقرة: ٢٨٦.

فازوا، ونتال رضا الله كما نالوا، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم[1].

ثم قالوا: تتميما للدليل العقلى؛ ينقسم القضاء بحسب اللوح المحفوظ، لا بحسب علم الله تعالى، الى قسمين: قضاء معلق على الدعاء أو غيره، وقضاء مبرم والدعاء ينفع فيهما على السواء.. أما نفعه فى القضاء المعلق عليه فأمره ظاهر لا يحتاج الى ايضاح إذ لا استحالة فى رفع القضاء فى هذه الحالة إذا حصل الدعاء واستجيب.

كما لا استحالة فى نزول القضاء المعلق على الدعاء إذا حصل الدعاء..

أما كون الدعاء ينفع فى القضاء المبرم فهذا ما يحتاج الى ايضاح، إذ كيف يكون مبرما، وينفع الدعاء فيه. قال أهل السنة: الدعاء لا يرفع القضاء المبرم، وإنما يرفع درجات المدعو له، أو يصير القضاء المبرم بطيئا فى سيره وتنفيذه، ويجعله مخففا سهلا مطاقا وذلك من لُطْف الله ورحمته.

أما أدلتهم النقلية فكثيرة منها: قوله تعالى: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ وفى الحديث الشريف ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «من فُتح له منكم باب الدعاء فتحت له ابواب الجنة، وما سُئل الله شيئا يعنى أحب إليه من أن يُسأل العافية»[2].

وعنه أيضا قال رسول الله ﷺ: «أن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء»[3].

٢- قوله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض[3].

٣- كما استدلوا أيضا برواية ثوبان عن الرسول ﷺ والذى مرّ بيانه آنفا والذى أوله: «لا يرد القدر إلا الدعاء».

وقد أجمع السلف والخلف على نفع الدعاء فى كل شيء[4].

(١) من كتاب الدعاء لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد السيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر. ص ٦٤.

(٢) رواه الترمذى والحاكم وكلاهما من رواية عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى وهو رواى الحديث عن موسى بن عقبة عن نافع عنه.. وقال الترمذى حديث غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٣) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، ورواه أبو يعلى من حديث على.

(٤) من كتاب (مذكرات التوحيد) ص ٣٥ لفضيلة الشيخ حسين عبد الرحيم مكى.

قال الإمام الغزلى رحمه الله: «فإن قلت: فما فائدة الدعاء والقضاء لا مردّ له؟ فأعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض. فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لايحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[1] وأن لا نسقى الأرض بعد بذر البذر، فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت. بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر، أو هو أقرب، والذى قدر الخير قدره بسبب، والذى قدر الشر لدفعه سببا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته»[2].

وخلاصة ذلك: أنه لاتناقض اطلاقا بين الدعاء وبين القضاء والقدر، لأن الدعاء ماهو إلا سبب من الأسباب التى تقضى ببركتها أمور، وتتحقق آمال، وتدفع كروب.

وإن مثل الدعاء كمثل الدواء فكما أنه لايصح للمريض أن يترك التداوى اتكالا على ماكتبه الله عليه سيحدث سواء تناول الدواء أو تركه، فكذلك لايصح للمسلم أن يهجر الدعاء للذى هو مخ العبادة اعتماداً على أن ما قُدرّ فسوف يكون.

لأن العاقل من الناس هو الذى يتعاطى الأسباب بعزم وإخلاص، ثم بعد ذلك يترك النتائج لله الواحد القهّار.

وأدعم حديثى سالف الذكر بما ذكره ابن قيم الجوزية[3] قال: والله سبحانه وتعالى يحب تذلل عبيده بين يديه، وسؤالهم إياه، وطلبهم حوائجهم منه، وشكواهم اليه، وعياذهم به منه، وفرارهم منه إليه، كما قيل:

قالوا أتشكوا إليه ... ما ليس يخفى عليه

فقلت ربى يرضى ... ذل العبيد لديه

وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا عبد الوهاب عن اسحاق عن مطرف بن عبد الله قال: «تذاكرت: ما جماع الخير فإذا الخير كثير: الصيام والصلاة.. وإذا هو فى يد الله تعالى، وإذا أنت لاتقدر على مافى يد الله إلا أن تسأله فيعطيك فإذا جماع الخير الدعاء.

---

(١) النساء: ٧١.

(٢) احياء علوم الدين جـ١ ص ٣٣٦.

(٣) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ص ١٠٣، ١٠٤.

الفصل السادس
المبحث الأول

أدلة إجابة الدعاء

فى القرآن الكريم والسنة النبوية

يمكن القول بوجوب إجابة أدعية الداعين عقلا وشرعا على أى صورة كان حصولها وفى أى مكان أو زمان وذلك لتضافر الأدلة القرآنية والنبوية وبخاصة إذا استكمل الدعاء أركانه وشروطه وآدابه وسائر مؤهلات قبوله.

(أ) **الأدلة القرآنية**: = خمسة أنواع

١- **النوع الأول**:- هى الآمرة بالدعاء وكل أمر من الله تعالى للعباد يحظون بالثواب عليه إذا التزموا به وعملوا بمقتضاه ويتعرضون للمساءلة والعقاب عليه إذا أخلوا به وتجنبوا مزاولته.. كالصلاة والزكاة. ومن هذا اللون من الأوامر قوله تعالى:

﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي..** ﴾(١).

﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾(٢).

٢- **النوع الثانى**: هى الآيات المشيرة الى غضب الله تعالى على من ترك الدعاء وغضبه تعالى على هؤلاء دليل على حبه لاستنجاد عباده به وهذا مستلزم لرضاه المستلزم لاجابة الداعى وتحقيق مبتغاه.

ومن هذا اللون قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا..** ﴾(٣)

---

(١) البقرة: ١٨٦

(٢) غافر: ٦٠

(٣) الأنعام: ٤٣

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ﴾(١).

٣- النوع الثالث: الأدعية التى لم ينسبها القرآن الكريم لأحد والتى تعتبر بحق نماذج إلهية للدعاء ساقها الله تعالى لتكون خير قدوة يقتدى بها البشر فى صياغة أدعيتهم، ونماذج ينسجون على منوالها، ولعل الحكمة الإلهية من هذه الأسوة هو قبول ما قدموا من دعاء والاستجابة لما طلبوا من رغبات.. من هذا اللون قوله تعالى:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾(٢)

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا .. ﴾(٣)

٤- النوع الرابع: الآيات القرآنية التى نصت على استجابة الله لمن دعاه من سائر الخلق، وهذه الاستجابة دليل واضح على وفاء الله تعالى بوعده فى الاستجابة لمن دعاه فاستجاب للخليل ابراهيم حينما قال:

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ .. ﴾(٤).

واستجاب لموسى الكليم حينما قال: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ ﴾(٥).

واستجاب لجند طالوت حينما قالوا: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾(٦)

٥- النوع الخامس: الآيات القرآنية التى وضعت مواصفات وشروطا لقبول الأدعية ولا يتأتى هذا الاهتمام بالدعاء إلا إذا كانت الاجابة جديرة بالتنفيذ من هذااللون قوله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾(٧)

﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا .. ﴾(٨).

---

(١) المؤمنون: ٧٦.
(٢) الفاتحة: ٦.
(٣) البقرة: ٢٨٦.
(٤) البقرة: ١٢٩.
(٥) يونس: ٨٨.
(٦) البقرة: ٢٥٠
(٧) الأعراف: ٥٥
(٨) الأعراف: ٥٦

هذه الأنواع الخمسة دالة على أن الله تعالى لا يخلف وعده الذى قطعه فى قرآنه المجيد من استجابته لمن رفع اليه أكف الضراعة مستنجدا وسائلا.

(ب) الأدلة القدسية:

ورد فى «باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة» من «كتاب الرقاق» من صحيح مسلم شرح النووى ص ١٧ من الأحاديث القدسية التى تؤيد وقوع الاجابة وتحقيقها؛ من هذه الأحاديث مايلى:

قال مسلم فى صحيحه: «حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة يحدث عن أبى موسى[١] عن النبى ﷺ قال أن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

قال مسلم فى صحيحه: «حدثنى عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد ابن سلمة عن اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ. فيما يحكى عن ربه عز وجل - قال أذنب عبدى ذنبا فقال اللهم اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال أى رب أغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ماشئت فقد غفرت لك».

فقال عبد الأعلى لا أدرى أقال فى الثالثة أو الرابعة أعمل ماشئت.

قال أبو احمد حدثنى محمد بن زنجوية القرشى القشيرى حدثنا عبد الاعلى بن حماد النمرسى بهذا الاسناد.

---

(١) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن الأشعر (وهو نبة بن أود) لقب بالأشعر لأنه وُلد على بدنه شعر، فالأشعريون منسوبون إليه، وهو إمام كبير، صاحب رسول الله ﷺ، التميمى الفقيه المقرئ، قرأ على النبى ﷺ، وأقرأ أهل البصرة وفقّهم فى دينهم، استعمله النبى ﷺ على اليمن، وولى أمرة الكوفة لعمر رضى الله عنه، وغزا وجاهد مع النبى ﷺ وحمل عنه علمًا كثيرًا، وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، توفى رضى الله عنه بالكوفة، وقيل بمكة سنة (٥٠) هـ، وقيل غير ذلك.

(جـ) الأدلة النبوية:

الأحاديث المحمدية الشريفة فى هذا المقام كثيرة جدا وكلها جازمة بوقوع اجابة دعاء الداعى إذا توفرت فيه مقاوماته وقبوله وسوف نكتفى هنا بنماذج معدودة دون التعرض لشرحها.

١- فى شرح البخارى لابن أبى جمرة[١] عن النبى ﷺ أنه قال: «من فتح له باب الدعاء فتحت له الخيرات».

ومن أهم هذه الخيرات إجابة الداعى وتلبية دعوته.

٢- وفى الترغيب والترهيب عن النبى ﷺ قال:

«من فتح له منكم باب الدعاء فقد فتحت له أبواب الرحمة»

وأن من أعظم هذه الرحمات للداعى أن يستجاب دعاؤه.

٣- وفى مسند ابن ماجه[٢] فى رواية له عن النبى ﷺ قال: «من لم يدع الله سبحانه غضب عليه».

ويتضح مدى أثر غضب الله تعالى فيما ذكره النبى ﷺ على لسان الحق جل وعلا فى حديثه القدسى:

«أنا الله لا إله إلا أنا، إذا رضيت باركت وليس لبركتى منتهى، وإذا غضبت لعنت ولعنتى تبلغ السابع من الولد»[٣].

٤- قال مسلم فى صحيحه[٤] حدثنى ابراهيم بن عبيد بن رفاعة عن محمد بن

---

(١) ابن أبى جمره: هو عبد الله بن سعد الأزدى الأندلسى، من علماء الحديث، اشتهر بكتابة جمع النهاية الذى اختصر به صحيح البخارى، ثم شرح هذا المختصر فى كتابه الرائع «بهجة النفوس» وتحليها بمعرف ما لها وما عليها، توفى رحمه الله عام ٦٩٥هـ/١٢٩٦م.

(٢) ابن ماجه: جـ٢ ص ١٢٥٨.

(٣) الداء والدواء لابن القيم: ص ١٩.

(٤) صيح مسلم كتاب التوبة جـ ١٧.

كعب القرظى عن أبى حيرمة عن أبى أيوب الانصارى[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم».

٥- ومن أصرح الأقوال المنسوبة الى رسول الله ﷺ والدالة على أن اجابة الله تعالى لمن دعاه واقعة لاشك فيها ما رواه ابو هريرة رضى الله عنه -حيث قال قال رسول الله ﷺ:

«ما أذن الله تعالى لعبد فى الدعاء حتى أذن له فى الاجابة» وقوله عنه أيضا: (ليس شىء أكرم على الله من الدعاء) وكون الدعاء أكرم الاشياء على الله تعالى دليل على اجابة من زاوله.

(د) ان من أهم الآثار الدالة على إجابة الله تعالى للدعاء مايلى:

١- قال عمر بن الخطاب[1] رضى الله عنه لأصحابه لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء فإذا الهمتم الدعاء فإن الاجابة معه قال تعالى:

---

(١) هو الصحابى الجليل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى، من السابقين إلى الإسلام، وممن شهدوا العقبة، ومناقبه كثيرة، وموضع بيته بالمدينة هو المكان الذى نزل به رسول الله ﷺ يوم الهجرة، وفيه بركت ناقته، ولذلك يوجد به موضع يُقال له «الميرك»، وهم يعنون ميرك الناقة، وقد توفى أبو أيوب الأنصارى سنة إحدى وخمسين للهجرة أو اثنتين وخمسين والأول أرجح، وكانت وفاته بالقسطنطينية حينما كان مع أصحابه يحاصرونها وقبره كما ذكر ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب تحت سورها يُستسقى به وتبرك.

(٢) * عمر بن الخطاب: هو أبو حفص أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب القرشى العدوى الخليفة الثانى من الخلفاء الراشدين، مضرب المثل فى العدل، والشدة فى الحق والحرص على الدين والصدع بالصدق، ويجتمع نسبه مع الرسول فى كعب، وهو أول من سُمى بأمير المؤمنين، وأول من وضع التاريخ الهجرى، ودون الدواوين ومصّر الأمصار، ونظم الدولة الإسلامية الواسعة، وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم، وصفاته ومناقبه أكثر من أن تُذكر هنا، وكان إذا وقع بالمسلمين أمر يكاد يهلك اهتمامًا بأمرهم. وكان يأتى المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشترى لحمًا يومين متتابعين يضربه بالدرة، ويقول له: هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك؟ . وكان إذا حصل بالناس هم يخلع ثيابه ويلبس ثوبًا قصيرًا لا يكاد يبلغ ركبتيه، ثم يرفع صوته بالبكاء والاستغفار وعيناه تندفان حتى يغشى عليه، وكان فى آخر حياته يكثر من ترديد هذا الدعاء «اللهم كبرت سنى، وضعفت قوتى، وقلت حيلتى، وانتشرت رعيتى، فاقبضنى إليك غير مطيّع ولا مفرط، اللهم ارزقنى الشهادة فى سبيلك، واجل موتى فى بلد رسولك عليه الصلاة والسلام». واستمرت خلافته أكثر من عشر سنين، ثم مات شهيدًا، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، واستشهد وله ثلاث وستون سنة، ودُفن مع صاحبيه بإذن عائشة رضى الله عنها وسيرته مبسوطة مشهورة.

﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2].

٢-وعنه ايضا قال: «إنى لا أحمل هم الاجابة ولكن أحمل همّ الدعاء. فإذا ألهمت الدعاء علمت أن الاجابة معه».

٣- قال رجل لرسول الله ﷺ أوصنى قال أوصيك بالدعاء فإن معه الاجابة وعليك بالشكر فإن معه الزيادة وأنهاك عن المكر فإنه لايحيق إلا بأهله».

٤- عن الحسن[3] أنه دخل على أبى عثمان النهدى[4] يعوده وهو مريض فقيل لأبى عثمان يا أبا عثمان ادع الله بدعوات فقد بلغت فى دعاء المريض ماقيل فيه، قال الحمد لله وأثنى عليه وتلا آيات من كتاب الله تعالى وصلى على النبى ﷺ ثم رفع يده ورفعنا أيدينا فدعا فلما وضعنا أيدينا قال أبشروا فو الله لقد استجاب الله لكم فقال الحسن أتأتلى على الله؟! قال نعم يا حسن لوحدثتنى بحديث لصدقتك فكيف لا أصدقه وهو يقول: ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

فلما خرجوا قال الحسن انه لأفقه منى.

٥- روى أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال أى ساعة أدعوك يارب فتستجيب لى فيها فقال أنت عبدى وأنا ربك فمتى دعوتنى استجب، فعاوده مراراً فقال له ربه ادعنى فى كبد الليل فإنى استجيب وإن دعانى فيها عشارى[5].

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) هو الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى أبو محمد، سبط رسول الله ﷺ، وريحانة أمير المؤمنين ولد سنة ثلاث من الهجرة. روى عن النبى ﷺ أحاديث حفظها عنه، منها حديث القنوت فى الوتر، وكان يشبه رسول الله ﷺ، بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه على رضى الله عنه، ثم تنازل عنها لمعاوية بن أبى سفيان لما رأى أن جيشه وجيش معاوية سيتقتلان «إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» وقد كان كذلك، مات رضى الله عنه بالمدينة المنورة ودُفن بالبقيع، وأختُلف فى سنة وفاته، فقيل سنة تسع وأربعين، وقيل خمسين، وقيل غير ذلك.

(٤) ** أبو عثمان النهدى: هو عبد الرحمن بن مل. مخضرم من كبار التابعين، محدث ثقه عابد، مات سنة ٩٥ هـ وقيل بعدها (تقريب التهذيب).

(٥) كتاب تنبيه الغافلين للشيخ نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى: باب الدعاء ص ١٤٤.

٦- وقال بعض العارفين أقرب الدعاء من الاجابة.

الدعاء الخالى وهو أن يكون صاحبه مضطرا لابد له أن يدعو من أجل مانزل به، ويفسر ابن عطاء الصفة التى يكون عليها المضطر فيقول كأن يكون العبد كالغريق وكالملقى فى مفازة من الأرض وقد اشرف على الهلاك فمن صدق فى الالتجاء إلى الله والاستعانة به أجيبت دعوته فى الحال قال تعالى:

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾[١].

٧- ويقول الشاعر استدلالا على استجابة الله تعالى للدعاء

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه   من جود كفك ما عودتنى الطلبا

٨- ومما يدل على تحقيق الاجابة ما جاء فى كتاب تنبيه الغافلين للمحدث الشيخ نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندى[٢].

قال الفقيه رحمه الله: «يقصد نفسه ولعل اتباعه هم الذين طبعوا هذا الكتاب»

- حدثنا أبى قال حدثنا أبو بكر ابراهيم قال حدثنا سالم بن أبى مقاتل القاضى عن أبى معشر عن محمد بن كعب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال من رزق خمسا لم يحرم خمسا:

- من رُزق الشكر لم يحرم الزيادة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣].

(ب) ومن رُزق الصبر لم يحرم الثواب لقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤].

---

(١) النمل: ٦٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) إبراهيم: ٧.

(٤) الزمر: ١٠.

(جـ) ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى:

﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾[1].

(د) ومن رزق الاستغفار لم يُحرم المغفرة لقوله تعالى:

﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً** ﴾[2].

(هـ) ومن رزق الدعاء لم يحرم الاجابة لقوله تعالى:

﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[3].

وقد روى السادس وهو ﴿ **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ** ﴾[4].

---

(١) الشورى: ٢٥.

(٢) نوح: ١٠.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) سبأ: ٣٩.

المبحث الثانى

أنواع إجابة الدعاء ودليلها

ثبت من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية سالفة الذكر أن الله تعالى يجيب دعوة الداعين والمستغيثين به وبالرغم من يقين المسلم بذلك غير أنه تتوارد على نفسه تساؤلات من أهمها:

(أ) لماذا نجد الكثير من الخلق يدعون ولا صدى لاستجابة دعائهم ظاهر؟!

(ب) كيف يمكن التوفيق بين الجزم بوقوع الاجابة وعدم حصول بعضها فى واقع الحال؟

(جـ) على أى صورة تقع الاجابة؟ هل بتحقيق المطلوب بعينه أم لا؟ وهل على الفور أو التراخى؟

هذه التساؤلات وما على دربها توضحها وتجيب عليها الأحاديث النبوية الآتية:

الحديث الأول:

١- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال - قال رسول الله ﷺ:

«ما من رجل يدعو الله إلا استجاب له، فإما أن يعجل له فى الدنيا وإما أن يدخر له فى الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل»(١) هذا الحديث الشريف يوضح لنا أن اجابة الله دعاء من استنجد به تتمثل فى احدى صور ثلاث:

الصورة الأولى: عبر عنها الحديث بقوله: «فإما أن يعجّل له فى الدنيا»

وذلك بتحقيق كل ما طلب أو بعضه أو ما يماثله على الفور أو التراخى.

الصورة الثانية: وهى المُعبّر عنها فى الحديث بقوله: «وإما أن يدخر له فى الآخرة» وما قلناه فى الصورة الأولى يقال فى هذه غير أن تلك للدنيا وهذه للآخرة.

---

(١) رواه الترمذى ومسلم.

الصورة الثالثة: هي قوله في الحديث: «وإما أن يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا «ولكن ما المراد بالذنوب؟ هل هي المتعلقة بحق العباد أم بحق الله تعالى؟ فإن كانت الأولى فلا تكفير لها بدليل الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا المقام والمثبتة بأن حقوق العباد على العباد لاتسقط بالتوبة بل بالتسامح وإن كانت الثانية فهل المراد بها الصغائر أم الكبائر؟

فإن كانت الأولى فليس تكفيرها متوقف على إجابة الدعاء فحسب بل لها طريق آخر يشير إليه قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُو إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[1].

والمراد بها الصغائر وقد قال بها معظم العلماء، وهي التي لم يرد فيها قصاص ولا حد ولا وعيد شديد أو غضب الله تعالى وإن كانت الثانية أي الذنوب والكبائر فالله لايكفرها باستجابة الدعاء وإلا لكان الدعاء ذريعة لارتكاب الفحشاء والمنكر وسببا من أهم اسباب انتشار الإجرام والفوضى ولا تقتضي حكمة الله تعالى ذلك.

والذي نراه من تكفير الذنوب في هذا الحديث أحد أمرين:

أولها: إما عدم المؤاخذة على الذنوب ولو كانت كبائر مادام قد اقتص من صاحبها وهذا على الرأي القائل بأن الحدود زواجر لا جوابر.

ثانيهما: أن يُراد سترها عن أعين الناس حتى لا يُعيَّر بها مرتكبها وهذه الصور الثلاث اشترط الحديث في تحقيق كل منها ثلاثة أمور: أولها ألا يدعو الانسان بإثم كقوله اللهم مكني من فلان.. ثانيها ألا يدعو المرء بقطيعة رحم «كرهني في أهلي وباعد بيني».. ثالثها ألا يستعجل الاجابة فيقول: «دعوت فلم يستجب لي».

وهذه الثلاث أشار إليها الحديث بقوله: «ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل».

ومما تجدر الإشارة إليه أن حديثا نبويا آخر قد تضمن خصلة رابعة تضاف إلى الخصال الثلاث سالفة الذكر لاستجابة الدعاء.

---

(١) النساء: ٣١.

وهذه الخصلة هى: «أن يدفع الله عن الداعى من البلاء والمصائب بقدر مادعا».

الحديث الثانى:

ما رواه جابر بن عبد الله[١] عن النبى ﷺ حيث قال قال رسول الله ﷺ «يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول له عبدى: إنى أمرتك بالدعاء ووعدتك أن استجيب لك فهل كنت تدعونى فيقول نعم يارب، أما أنت لن تدعونى بدعوة إلا استجيب لك، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن افرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يارب فيقول انى عجلتها لك فى الدنيا، ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجا قال نعم يارب فيقول إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ودعوتنى فى حاجة أن اقضيها لك فى يوم كذا وكذا قضيتها لك فيقول نعم يارب فيقول إنى عجلتها لك فى الدنيا، ودعوتنى يوم كذا وكذا لحاجة اقضيها لك فلم تر قضاءها فيقول نعم يارب فيقول إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا قال ﷺ لايدع الله دعوة دعا به عبده إلا بين له إما أن يكون عجل له بها فى الدنيا، وإما أن يكون ادخر له بها فى الآخرة فيقول المؤمن فى ذلك المقام ياليته لم يكن عجل له شىء فى الدنيا من دعائه» ويدل على وقوع الاجابة أيضًا ما أثر عن موسى الكليم عليه السلام أنه خاطب ربه قائلا:

«يارب إذا دعاك المصلى والصائم والمجاهد فبماذا تجيبهم قال أقول لبيك، قال: يارب فإذا دعاك العاصى قال أقول لبيك لبيك لبيك قال يارب تجيبه بالتلبية ثلاث مرات؟ قال لأنه اعتمد على كرمى وغيره أعتمد على عمله أ.هـ.

---

(١) هو الصحابى الجليل أبو عبد الله وأبو محمد وأبو عبد الرحمن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى الأنصارى المدنى، صحابى مشهور، روى أحاديث كثيرة، وهو ممن شهد العقبة، وغزا تسع عشرة غزوة. قال جابر: استغفر لى رسول الله ﷺ ليلة البعير خمسا وعشرين مرة، وهو آخر من مات من أهل العقبة، وهو من أهل بيعة الرضوان، وأهل السوابق والسبق فى الإسلام، وكان كثير العلم، ومناقبه عديدة، توفى رضى الله عنه بالمدينة ثمان وسبعين، وعمره أربع وسبعون سنة، وفى الشذرات أن عمره أربع وتسعون سنة.

المبحث الثالث

أسباب إجابة الدعاء

قال مؤلف اقتضاء الصراط المستقيم:(١)

وأما إجابة الدعاء فقد يكون سببه إصرار الداعي وصدق التجائه، وقد يكون سببه مجرد رحمة الله تعالى، وقد يكون أمرا قضاه الله له لأجل دعائه، وقد يكون له أسباب أخرى، وإن كانت فتنة فى حق الداعى فإنا نعلم أن الكفار قد يستجاب لهم فيسقون، وينصرون ويعافون ويرزقون مع دعائهم عند أوثانهم وتوسلهم.

وقد قال الله تعالى:

﴿ **كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً** ﴿٢٠﴾ ﴾(٢).

وقال تعالى:

﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴿٦﴾ ﴾(٣).

ثم قال واسباب المقدورات فيها أمور يطول تعدادها أ. هـ

وعلى الداعى أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة المحبوبة كيوم عرفة، ويوم الجمعة، ووقت السحر. قال تعالى: ﴿ **وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴿١٨﴾ ﴾(٤) وأن يغتنم الأحوال الشريفة كزحف الصفوف فى الجهاد وعقب الوضوء وعند الآذان وعند إقامة الصلاة وبين الآذان والاقامة وفى السجود وبعد الصلاة وعند نزول الغيث وعند صياح الديكة، ويومى الاثنين والخميس وليلة النصف من شعبان والأيام العشر (أى عشر ذى الحجة) والأيام البيض(٥) وشهر رمضان وعند احتضار الميت وفى مجالس الذكر وعند اقشعرار الجلود. وأن يتخيّر لدعائه الأماكن المباركة حيث تحل بركاتها بالداعى. يقول

---

(١) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم: ص٣٢

(٢) الاسراء: ٢٠

(٣) الجن: ٦

(٤) الذاريات: ١٨

(٥) عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن كنت صائما فعليك بالغر البيض: ثلاث عشرة، واربع عشرة وخمس عشرة» رواه النسائى عن أبى ذر حسن، وإن كنت صائمًا أى صيام نفل، وسميت الليالى البيض لأن القمر فيها يكون من أول الليل الى آخره.

الإمام الشوكانى[١] بخصوص الأماكن المباركة: وجه ذلك أن يكون فى هذه المواضع المباركة مزيد الاختصاص، فقد يكون مالها من الشرف والبركة فقضيا لعود بركتها على الداعى فيها. وفضل الله واسع، وعطاؤه جم. والحديث «هم القوم لايشقى بهم جليسهم، فجعل جليس أولئك القوم مثلهم مع أنه ليس منهم، وإنما عادت عليه بركتهم فاصر كواحد منهم، فلا يبعد أن تكون المواضع المباركة هكذا، فيصير الكائن فيها، الداعى لربه عندها مشمولا بالبركة التى جعلها الله فيها، فلا يشقى حينئذ بعدم قبول دعائه[٢].

والبركة هى ثبوت الخير الإلهى فى الشىء. ولما كان الخير الإلهى يصدر من حيث لا يحس ولا يدرك قيل لكل ما فيه زيادة هو مبارك وفيه بركة.

عن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «أُتىَ بضم الهمزة أى جاءه الملك) فى معرسه (أى موضع نزوله) بذى الحليفة. فقيل له انك ببطحاء مباركة[٣].

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يتحرى الأماكن التى كان ينزل بها رسول الله ﷺ ويصلى فيها. فعن نافع[٤] قال: كان ابن عمر ينيخ بالبطحاء بذى الحليفة التى كان رسول الله ﷺ ينيخ بها ويصلى.

قال القاضى عياض[٥]: ليس النزول بالبطحاء بزى الحليفة (فى رجوع الحاج) من مناسك الحج، وانما فعله من فعله من أهل المدينة تبرّكا بآثار النبى ﷺ. ولأنها بطحاء مباركة، واستحب الإمام مالك[١] النزول والصلاة فيه، وأن لايتجاوز حتى يصلى

---

(١) الإمام الشوكانى هو محمد بن على الشوكانى من أهل صنعاء. فقيه مجتهد، كان يرى تحريم التقليد، بلغت مؤلفاته ١١٤ مؤلفًا، من أشهرها نيل الأوطار وهو شرح على متنقى الأخبار لمجد الدين بن تيمية المتوفى عام ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م، وفتح القدير فى التفسير، توفى الشوكانى عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٢٤م.

(٢) تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين للشوكانى: ٤٤.

(٣) رواه مسلم فى كتاب الحج.

(٤) حديث نافع رواه مسلم فى كتاب الحج.

(٥) القاضى عياض مغربى الأصل، ألف العديد من الكتب فى علوم الدين والتاريخ، ومن أشهر كتبه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) توفى بمراكش ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م.

فيه، وإن كان فى غير وقت الصلاة انتظر حتى يدخل وقت الصلاة فيصلى.

وقد جاءت الأحاديث النبوية فى فضل وبركة بعض الأماكن منها قوله ﷺ «اللهم اجعل بالمدينة ضعف ما جعلت بمكة من البركة»[٢] وقوله عليه السلام «صلاة فى مسجدى أفضل من الف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة الف صلاة فيما سواه»[٣].

وقال ابن عمر[٤] رضى الله عنه: كان رسول الله ﷺ يزور مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا ويصلى فيه ركعتين[٥]. وقوله ﷺ «من خرج حتى يأتى هذا المسجد (مسجد قباء) فيصلى فيه كان له عدل عُمْرة.[٦]

ومن الأماكن التى تجاب فيها الدعوات: البيت الحرام، وعند الوقوف على الصفا والمروة وعند رمى الجمار. أخرج مسلم حديث طويل رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ أتى الصفا وصلى عليه حتى نظر الى البيت ورفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو ما شاء الله أن يدعو.

---

(١) الإمام مالك: هو أبو عبد الله مالك بن أنس الحميرى، إمام دار الهجرة وهو أحد الأئمة الأربعة له كتاب الموطأ، توفى عام ١٧٩هـ.

(٢) رواه الشيخان وأحمد عن أنس.

(٣) رواه أحمد وابن ماجد عن جابر/ صحيح.

(٤) عبد الله بن عمر: هو السيد الجليل الفقيه العابد أبو عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب العدوى، كان من زهاد الصحابة وأكثرهم اتباعًا للسنن، فأبعدهم عن الفتن، وتم له ذلك الابتعاد إلى أن مات، قيل: ويروى أن الرسول الله ﷺ قال فيه: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل» فكان بعد ذلك لا يرقد من الليل إلا قليلاً، وقيل أنه اعتمر قريبًا من ألف عُمرة، وقال مالك: بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة أفتى فى سنين منها، وروى أنه لم يضع لبنة على لبنة، ولا غرس شجرة منذ مات النبى ﷺ، وكان يقول: يا ابن آدم، صحاب الدنيا ببدنك وفارقها بقلبك وهمتك، ويقول: لا يكون الرجل من أهل العلم حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من تحته، ولا يبتغى بالعلم ثمنًا، وتوفى رضى الله عنه فى سنة أربع وسبعين، وكان أمر أن يدفنوه ليلاً، ولا يُعلموا الحجاج لئلا يصلى عليه، ودُفن فى «ذات آذاخر» وهى قرية فوق قرية «العابدة»، وقيل بل دُفن فى الجبل الذى فوق البستان على يمين الخارج من مكة إلى المحصب.

(٥) رواه الشيخان والنسائى وزبو دادود ومالك عن ابن عمر.

(٦) رواه أحمد والنسائى والحاكم عن سهل بن حنيف / صحيح.

وعند الطبرانى[1] من حديث حذيفة بن أسيد رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا نظر الى البيت قال: «اللهم زد بيتك هذا تعظيما وتشريفا وتكريما وبراً ومهابة». وفيه أيضا من حديث ابن عباس[2] رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «ما بين الركن والمقام ملتزم، ما يدعو به صاحب عاهة إلا برىء. وثبت فى صحيح البخارى وغيره أن النبى ﷺ كان يرفع يديه عند رمى الجمار ويدعو. وفى حديث آخر (فى المساجد الثلاثة، وبين الجلالتين من سورة الأنعام، وفى الطوف وعند الملتزم». وقد عدد الحسن البصرى[3] فى رسالة الى أهل مكة الأماكن التى يستجاب فيها الدعاء هناك وهى خمسة عشر موضوعا: ١) فى الطواف، ٢) عند الملتزم، ٣) تحت الميزاب، ٤) فى البيت، ٥) عند زمزم، ٦) على الصفا، ٧)على المروة، ٨) فى المشعر، ١٠) فى عرفات، ١١) فى المزدلفة، ١٢) فى منى، ١٣) عند الجمرة الأولى، ١٤) عند الجمرة الثانية، ١٥) عند الجمرة الثالثة.

هذه المواضع سالفة الذكر كلها مباركة ولها مزيد اختصاص من الشرف

ولعل ذلك يكون مقتضيًا لعود بركتها على الداعى فيها.

اللهم ألهمنا الدعاء النافع ويسّره لنا وتقبّله منا

اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحُسْن عبادتك.. آمين

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير.

(٣) الحسن البصرى هو أبو سعيد الحسن بن يسار من كبار التابعين، ولد بالمدينة عام ٢١هـ وعاش بالبصرة ومات بها عام ١١٠هـ. وهو غير أبى الحسن على بن محمد البصرى الماوردى صاحب كتاب «أدب الدنيا والدين» والمتوفى عام ٤٥٠هـ.

الفصل السابع

المبحث الأول

دعوات مستجابة

١- المضطر: يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[١].

وحديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فإنهم مضطرون وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وغيرهما.

٢- المظلوم: اخرج الترمذي وحسنه قال قال رسول الله ﷺ «ثلاث دعوات لاشك في اجابتها: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده» واخرجه ايضا ابو داود والبزار. وأخرجه أيضًا أحمد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ «ثلاث تستجاب دعوتهم: الوالد، والمسافر، والمظلوم» - واخرج نحوه الهبيقي في شعب الإيمان وكذلك البزار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ بعث معاذا إلى اليمن فقال: اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب».

واخرج أبو داود الطيالسي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه».. ونحوه حديث أنس رضي الله عنه عند أحمد «وإن كان فاجرا».. واخرجه أيضا البزار، قال المنذري والهيثمي[٢] وإسناده حسن، وأخرجه أحمد وابن حبان بلفظ «ولو كان فاجرا».

٣- الإمام العادل: أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الامام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم» وحسنه الترمذي.

---

(١) النمل: ٦٢.

(٢) ابن حجر الهيثمي: هو أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري ولُد في محلة أبي الهيثم بمحافظة الغربية، ففيه باحث، ألف العديد من الكتب. توفي بمكة سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٧م.

٤- الولد البار بوالديه: أخرج البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى ليرفع للرجل الدرجة فيقول: أنى لى هذه «فيقول بدعاء ولدك» قال الهيثمى ورجاله رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة، ويدل على هذا حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله بصالح أعمالهم وكان احدهم بارا بوالديه فتوسل إلى الله تعالى بذلك فأجاب دعاءه وهذا الحديث فى الصحيح مطولا.

٥- المسلم لأخيه يظهر الغيب: أخرج مسلم وغيره من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملَك ولك مثل ذلك».

وأخرج أبو داود والترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوتان ليس دونهما حجاب دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه المسلم بظهر الغيب» وفى لفظ المنذرى: «ليس بينهما وبين الله حجاب».

وأخرج أبو داود والترمذى من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال استأذنت النبى ﷺ فى العمرة فاذن لى وقال اشركنا يا أخى فى دعائك ولا تنسنا فقال كلمه مايسرنى أن لى بها الدنيا».

٦- المستغفر للمؤمنين والمؤمنات: أخرج الطبرانى فى الكبير من حديث أبى الدرداء(١) قال النبى ﷺ:

«من استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين أو خمسا وعشرين مرة، أحد العددين كان من الذين يستجاب دعاؤهم ويرزق بهم أهل الأرض».

ولعل التنصيص على هذين العددين لحكمة اختص بعلمها رسول الله ﷺ فينبغى الاقتصار على احدهما من دون زيادة ولا نقصان وقد ترتب على ذلك فضيلة وهى أن المستغفر بما ذكر يكون من الذين يستجاب دعاؤهم وممن يرزق بهم أهل الارض وهم الصالحون من عباد الله تعالى.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير. قال الهيثمى فيه عثمان بن عاتكة، وثقة غير واحد وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات.

وفى هذا المقام يقول ابن الحاج[1].

وبالجملة فالدعاء له أركان وأجنحة وأسباب وأوقات.

فإن صادف أركانه قوى ومن أركانه الاضطرار.

وإن صادف أجنحته طار فى السماء وأجنحته قوة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه ويخالفه.

وإن صادف أسبابه نجح وأسبابه الصلاة على النبى ﷺ.

وإن صادف أوقاته فاز وأوقاته السّحر.

---

(١) المدخل لابن الحاج ص ١٣٥.

* ابن الحاج: هو أبو عبد الله محمد العبدرى فقيه جليل نزح إلى مصر وأقام بها، اشتهر بكتابه (المدخل) وسماه (المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التى انتحلت وبيان شناعتها وقبحها).

المبحث الثانى

بعض النصوص التى يجاب بها الدعاء ودليل ذلك:

١- اخرج البخارى من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من تعار» هب من نومه مع صوت من الليل، أى استيقظ فقال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم أغفر لى، ويدعو يستجب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته».. واخرجه ايضا من حديث احمد والدارمى وأبو داود والترمذى وابن ماجه[(١)]** والطبرانى.

٢- أخرج الطبرانى فى الكبير وهو من حديث معاوية[(٢)]، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئا إلا اعطاه، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شىء قدير.

لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله[(٣)].

٣ - أخرج الترمذى من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه وقال حديث حسن. قال سمع النبى ﷺ رجلا يقول: «ياذا الجلال والاكرام، فقال قد استجيب لك فسل» فى هذا الحديث دليل على أن استفتاح الدعاء بقول الداعى ياذا الجلال والاكرام يكون سببا فى الاجابة.

---

(١) ** ابن ماجه: هو أبو عبد الله محمد بن ماجه القزدينى صاحب السنن فى الحديث توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

(٢) هو معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمين بن عبد شمس بن عبد مناف بن فصى القرشى الأموى،أسلم عام الفتح، وكان إسلامه قبل أبيه، وكتب للنبى ﷺ، وروى أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرها، وكان حليما وكريمًا، وأحد دهاة العرب ولاه عمر بن الخطاب على الشام، وكذلك ولاه عثمان بن عفان على الديار الشامية، وكانت فى أيامه فتوحات، فلما تولى الخلافة أمير المؤمنين على رضى الله عنه عزله عن الإمارة، فنشبت بينهما حروب طاحنة، ثم كان م أمر التحكيم ما كان، وكذلك ما بعده إلى أن تنازل الحسن بن على رضى الله عنه له عن الخلافة، فكانت بعد ذلك فتوحات، ثم عهد إلى ابنه يزيد من بعده ولم يقره على ذلك كبار الصحابة، وتوفى سنة (٦٠)هـ ودفن بدمشق واختلف فى مكان دفنه.

(٣) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد حسن.

٤- أخرج الترمذى وابن حبان من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم ادخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار اللهم أجره من النار»[١].

٥- اخرج الحاكم فى المستدرك من حديث أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أن لله ملكاً موكلاً بمن يقول يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاث مرات قال له الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل»[٢].

٦- أخرج الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه -واللفظ له- قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين: فانه لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له»[٣].

وأخرجه ايضا النسائى[٤]* وقال الحاكم صحيح الإسناد، وزاد فى طريق عنده، فقال رجل: يا رسول الله: هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ ألا تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٨٨﴾﴾[٥]

---

(١) أخرجه الترمذى وابن حبان والنسائى فى الاستعادة فى كل يوم وليلة، وابن ماجه فى الزهد وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يتعقبه الذهبى وكذا صححه ابن حبان.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وتعقبه الذهبى بأنه من حديث كامل بن طلحج عن فضاله.

(٣) أخرجه الترمذى واللفظ له والحاكم فى المستدرك وأحمد فى مسنده.

(٤) النسائى: هو الإمام والأعلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بر بن دينار النسائى نسبه إلى (نسا) مدينة بخراسان، وهو صاحب المصنفات، وصاحب السنن، فى الحديث، ولد سنة وخمس وعشرين ومائتين، ونشأو ورعاتقيا حافظًا حجة، رئيسًا نبيلا حسن البزة كبير القدر له أربع زوجات يقم لهن، ولا يخلو من سرية لفحولته، ومع ذلك كان يصوم صوم داود ويتجهد، ورحل إلى الشام والحجاز والعراق ومصر والجزيرة، وكان فى الغزو شهمًا شجاعًا ومتحرزًا، وكان أفقه مشايخ مصر فى عصره وأعلمهم بالحديث، بعد أن استوطن فيها وأمام بزقاق القناديل (بمصر) وكان يتشيع، وقد توفى شهيدًا فى ثالث صفر - وقيل فى شعبان - بفلسطين، وقيل بالرملة، ودفن ببيت المقدس وقيل بمكة، وقال الدارقطنى: خرج حاجًا فامتحن بمدمشق، وادرك الشهادة وقال: احملونى إلى مكة فحُمل وتوفى بها فى شعبان، وهو مدفون بين الصفا والمروة رضى الله عنه.

(٥) الأنبياء: ٨٨.

٧- أخرج أحمد من حديث جابر بن عبد الله بن حرام قال: قال النبى ﷺ: «من قال حين ينادى المنادى: «اللهم رب هذه الدعوة القائمة والصلاة النافعة صل على سيدنا محمد وارض عنى رضا لا تسخط بعده إلا استجاب الله دعوته»(١).

٨- واخرج الحاكم من حديث أبى أمامة رضى الله عنه وفيه مايقول السامع للنداء، ثم يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة الصادقة المستجاب لها دعوة الحق، وكلمة التقوى، أحينا عليها وأمتنا عليها وابعثنا عليها، واجعلنا من خيار أهلها أحياء وأمواتا ثم يسأل الله حاجته»(٢).

٩- وأخرج البخارى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة»(٣).

١٠- الاسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى.

وتجده منشوراً فى الاحاديث النبوية الشريفة السابقة فى مثل قوله ﷺ «يا أرحم الراحمين»، ودعوة ذى النون(٤) ﴿**لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾(٥) وغيرها وقد فصلنا ذلك بما لا مزيد عليه فى كتابنا «الدعاء مفتاح السعادة» فارجع اليه إن شئت.

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده والطبرانى فى الأوسط.

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٣) اخرجه البخارى فى صحيحه وأهل السنن.

(٤) سيدنا يونس من منى عليه السلام.

(٥) الأنبياء: ٨٧.

المبحث الثالث

علامات الاستجابة للدعاء

أورد الإمام الشوكانى فى مؤلفه القيم «تحفة الذاكرين» علامات الاستجابة للدعاء كما يلى:

١- الخشية.

٢- البكاء.

٣- القشعريرة.

٤- ربما ترافقها رعدة.

٥- الغشى والغيبة.

ثم قال ويكون عقب هذا سكون القلب وبرد الجأش وظهور النشاط باطنا والخفية ظاهرا، وحتى يظن الداعى أنه كان على كتفيه حملة ثقيلة فوضعها عنه. وحينئذ لايغفل عن التوجه والإقبال والصدقة والافضال والحمد والابتهال. وأن يقول الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

ثم قال الشوكانى وهذه العلامات التى ذكرها المصنف «أى مصنف الحصن الحصين» هى تجريبية فلا تحتاج الى الاستدلال.

ثم قال: - وكل فرد من افراد الداعين إذا حصل له القبول، وتفضل الله تعالى عليه بالإجابة لابد أن يجد شيئا من ذلك.

ما ينبغى أن يقوله المستجاب له:

قال رسول الله ﷺ: «ما يمنع أحدكم إذا عرف الاجابة من نفسه فشفى من مرض أو قدم من سفر أن يقول الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات».

---

(١) تحفة الذاكرين بشرح عدة الحصن الحصين للإمام الشوكانى.

هذا الحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك وهو من حديث عائشة رضى الله عنها وأخرجه أيضا ابن ماجه وابن السنى. قال فى الاذكار واسناده جيد وحسنة السيوطى وقال الحاكم صحيح الاسناد. وهذا اللفظ هو أحد الفاظ الحديث عند الحاكم، ولفظه عند الآخرين.

وعند الحاكم أيضا فى رواية أخري هو «أن النبى ﷺ كان إذا رأى ما يحب قال: «الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال» وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إذا سأل أحدكم ربه مسألة فعرف الاستجابة فليقل الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات، ومن أبطأ عليه من ذلك شىء فليقل: «الحمد لله على كل حال» وأخرجه أيضا البزار من حديث على رضى الله عنه.

المبحث الرابع

موانع إجابة الدعاء ودليل ذلك(١)

قيل لبعض الحكماء إنا لندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢).

قال لأن فيكم سبع خصال تمنع دعاءكم من السماء قيل وما هن؟

قال: **أولها:** أنكم اسخطتم ربكم ولم تطلبوا رضاه، يعنى أنكم تعملون أعمالا توجب عليكم السخط من الله ولم ترجعوا عن ذلك ولم تندموا على مافعلتم.

ثانيها: أنكم تقولون نحن عبيد الله ولا تعملون عمل العبيد، يعنى أن العبد يعمل بما أمره سيده ولا يخرج عن أمره.

ثالثها: أنكم تقرأون القرآن ولم تتعاهدوا حروفه، يعنى لا تقرءونه بالتفكير والتعظيم ولا تعملون بما أمر الله فيه.

رابعها: أنكم تقولون نحن أمة محمد ﷺ ولم تعملوا بسنته يعنى أنكم تأكلون الحرام والشبهة ولا ترجعون عنهما.

خامسا: انكم تقولون أن الدنيا عند الله لاتساوى جناح بعوضة وقد اطمأنتم اليها.

سادسها: أنكم تقولون انها زائلة وأعمالكم أعمال المقيمين بها.

سابعها: انكم تقولون أن الآخرة خير من الدنيا ولا تجتهدون فى طلبها وتختارون الدنيا على الآخرة.

ويمكن ايجاز ذلك فيما يلى:

---

(١) كتاب تنبيه الغافلين.

(٢) غافر: ٦٠.

١- عدم التوبة من المعاصى.

٢- تجنب أوامرالله.

٣- ترك العمل بسنة المصطفى.

٤- أكل الحرام وما فيه شبهه.

٥- الاطمئنان إلى الدنيا.

٦- العمل لها.

٧- العزوف عن الآخرة وتفضيل الدينا عليها. . ويضاف إلى ذلك:

٨- الدعاء بالإثم.

٩- وقطيعة الرحم.

١٠- أو بمستحيل.

١١- أو بظلم.

١٢- أو يكون الداعى مستعجلا.

١٣- أو غير جازم بأن يكون شاكا فى الاجابة.

١٤- أو غافلا.

١٥- أو متعاليا متكبرا.

١٦- أو قصد الدعاء عند الاضرحة أولهَا.

وغير ذلك مما يحول بين الدعاء وإجابته ومن جميل ماذكرته رابعة العدوية فى هذا المقام حينما سألها رجل وهى متجهة إلى المقابر قائلا لها: «ادعى الله لى فقالت يرحمك الله أطع الله وادعه فانه يجيب المضطر إذا دعاه».

المبحث الخامس

الدعاء عند القبور أو للقبور

قسّم صاحب مؤلف «اقتضاء الصراط المستقيم»(١) الدعاء عند القبور إلى قسمين:

أحدهما: أن يحصل الدعاء فى البقعة بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها كمن يدعو الله فى طريقه، أو يتفق أن يمر بالقبور، أو أن يزورها فيسلّم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى، كما جاءت به السُّنّة، فهذا أو نحوه لا بأس به.

الثانى: أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه فى غيره، فهذا النوع منهى عنه.. فهو أمر لم يشرعه الله ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة المسلمين، ولا ذكره أحد من العلماء والصالحين المتقدمين» أ. هـ.

ويقول ابن القيم(٢): «إن الأمور المبتدعة عند القبور مراتب أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته، أو يستغيث به فيها، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام كذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله» كما أن إيقاد الشموع على قبر أو ضريح منهى عنه بنص الحديث الشريف فعن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»(٣)، والشموع هنا فى الحديث كالسرج كذلك الطواف حول هذه الأضرحة واستقبالها بدعة نكراء، وكذلك بناء القباب على قبور المشايخ وعمل التوابيت وكسوتها وتعليق المصابيح والقناديل عليها، وكتابة الآيات القرآنية أو كتابة اسم المقبور. فهذه من الكبائر المنهى عنها.. روى مسلم فى صحيحه عن جابر، قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُخصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه(٤) وعن أبى الهياج الأسدى قال: «قال لى على بن أبى

---

(١) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: ص ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) إغاثة اللهفان عن مصايد الشيطان.

(٣) رواه أبو داود والترمذى.

(٤) صحيح مسلم جـ ٢ ص: ٦٦٧ الحديث رق ٩٧٠.

طالب كرّم الله وجهه: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ «لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرقًا إلا سوّيته»[1].

والتاريخ يذكر أن الأضرحة كثرت فى عهد الفاطميين وزادت مبانيها والاحتفالات بموالدها.. يلهون بها المصريين عن اغتصاب المُلك، وتبعهم الناس بعد ذلك لما وجدوا فيها من خيرات وأفراح، حتى صارت عقيدة دينية تُحترم وإن كانت فاسدة ضارة»[2].

ولما كان الشأن فى زيارة القبور.. أن النبى ﷺ كان يزورها ويسلم على أهلها.. «إنى قد نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإن فيها عبرة»[3].. ويقول: أنتم السابقون ونحن بكم لاحقون ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة.

فإن الصالحين من المؤمنين، والمتقين من المسلمين، والأولياء من السابقين الأولين أولى بالتجلة والاحترام والزيارة والاتصال، وكما يفرح الأحياء بإخوانهم الذين يعودونهم فى المرض ويواسونهم فى الشدائد، ويظهرونهم على دخائل قلوبهم من البشر بنعمائهم، والألم لضرائهم فإن الأموات كذلك.. يدركون ويحسون.. والحياة البرزخية ثابتة لا جدال فيها.

غاية ما هنالك أن بعض الناس لهم فى زيارة قبور الأولياء وعند مثولهم بين أيديهم أشياء ربما كان فيها معنى من معانى الوثنية أو الإشراك بالله، وقانا الله عاقبته، وباعد ما بيننا وبينه.. ونحن فى ذلك لا نتحيف الحق.. ولا نجافى الصواب، ولا نخالف ما ندين الله به، ولا نتملق أحدًا فيما يجب أن يكون.. ولا ينكر عاقل ما

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٦٦٦ والحديث برقم ٦٦٩.

(٢) يوميات مفتش تعليم للأستاذ عبد اللطيف بدوى.

(٣) رواه أحمد عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ. ومن الهدى النبوى قوله ﷺ: «أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم.. إن العبد مخافين: بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، والذى نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستغيث، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

- أتانى جبريل فقال يا محمد: عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به.

- البر لا يبكى، والذنب لا ينس، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.

يفعله ضعاف الإيمان من السذّج الذين يقتحمون الأضرحة ويناجون الميت بالشكاية ممن ظلمهم، واستعدائه على من اعتدى عليهم، والانتصار به على مانالهم بمكروه.

وربما زادوا الطين بلة فرفعوا إلى رحابة مكتوبا سجّلوا فيه ما يطلبون وكتبوا فيه ما يحسون، واستصرخوا به استصراخهم بالله الذى يأخذ من الجمّاء للقرناء، وينصف الضعيف من القوى، ويرد الحقوق لأصحابها «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودلو أن بينها وبينه أمداً بعيداً».

إن مثل هذه الأمور لا تجوز بحال، ولا يسندها مقال، أو يفتى بها إنسان، أو يدافع عنها لسان، الهم إلا فى دنيا الباطل، وشريعة الحمقى، ودستور الممرورين، لأن الذى يُلتجأ إليه فى الحاجات، ويُفزع إليه فى الملمات هو الله، الذى يقول فى قرآنه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

ويقول نبيه المصطفى ﷺ: «وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله». وأخلص العبادة لله ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾.

وكذلك نذر النذور باسمهم منهى عنه، لأن النذر لا يكون إلا لله وفى يقيننا أن المسلم لا يلزمه الوفاء به على هذا الشرط الفاسد، ومن الواجب عليه أن ينفقه فى سبيل الله غير متقيد بشكل خاص.. وهو أشبه بالوقف الذى انقطعت جهته ويتحتم صرفه على الفقراء والمساكين.. وإذ صحّ أن يعذر أصحاب الصنيع بجهلهم - ولا عذر فى دار الإسلام كما يقول الفقهاء - فلا يصح أن نلتمس العذر للوعاظ والمرشدين وعلماء القرى والأمصار الى يسكتون عن هذه البدع دون أن يحاربوها حربًا شعواء، ويقضوا عليها القضاء العاجل، ولا سيما صناديق النذور التى تباركها وزارة الأوقاف وتجمع فيها هذه المحرمات.. لتوزعها - بعد ذلك - على سدنة المساجد وخدمها ممن لا تجوز عليهم الصدقة، ولا تُصرف لهم الزكاة.. وقد يقول قائل إن هذا باب من أبواب البر إذا نحن أغلقناه لم نفتح سواه، أو لم نستعص عنه بآخر، وهو ناحية من نواحى البذل الذى لابد منه لصلاح حال الأفراد والجماعات، ومن اللائق أن ننظم إنفاقه

والانتفاع به بدل أن نمنع ما يجيء منه.. ونقول إن الدين الإسلامى يهمه أولاً وقبل كل شيء تصحيح الأوضاع.. لأنها فى ذاتها خير، والعمل علهيا بركة، وإن كان الناس يقولون العبرة بالنتائج، فإن العبرة عنده بالمقدمات السليمة التى لا غبار عليها، والوسائل التى لا تحوم حولها شبهة الباطل «وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر».

إن الإسلام الذى أوجب علينا أن نتخير الصديق والجار وأم الأولاد وأن يكون مقياسنا فى ذلك كله الورع والتقوى، والعفة والزهد والدين والمروءة، والأخلاق والأدب.. فهو كذلك يوجب علينا أن نقاوم الاعوجاج ونقضى على الجور، ونحارب الظلم والطغيان، وأن نتأسى بالقدوة الصالحة.. فاكرام العالم، واحترام التقى، ومجاورة الصالح، وعِشْرة المستقيم على الجادة، والارتباط بأهل الورع والزهد، والدين والخُلُق، والأدب والسلوك.. مما يقضى به الذوق واللياقة، والكتاب والسُّنة، والعقل والشرع.. وويّ الله حين يكون دينه حميدًا، وخُلُقه مجيدًا، ورأيه سديدًا، وفكره رشيدًا واستقامته واضحة، وخيره باديًا، وبره مبدولاً، ومعروفه شاملاً.. يكون احترامه، واعتقاد فضله، وعلوّ منزلته، والاستعانة به من الأشياء التى لا تتنافى مع الإيمان الصحيح، والعقيدة السليمة.. إذ أن الآية الكريمة (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فمتمسّكم النار) تدل بالمقابلة على أن الاختلاط والمصاحبة، والود والألفة، والنسب والمصاهرة والإكرام والتبجيل، إنما هى لهؤلاء الذين طهرت أعراضهم، وسَمَت نفوسهم، وسلمت عقائدهم، وزكت أرواحهم.. وهذه من القضايا البديهية التى لا يكابر فيها إلا معاند، ولا ينكرها إلا أحمق.. وهؤلاء الذين يحاولون تنافر القلوب، وانصراف الأفئدة، والتشكيك فى ولاية الأولياء أقل ما يُقال أنهم مخطئون، وعن الحق والصواب مبتعدون.. وقد يكون عذرهم أنهم يرجون السلامة للناس فى دينهم فلا يحملونهم على التواكل ولا يصرفونهم إلى الضعف، ولا يأخذون بأيديهم إلى التى هى أسوأ.. وبخاصة حين أصبح كثير منهم يتمسح بالولى، ويترأمى على أعتابه، ويتمرغ فى ترابه، ويتوسل إليه، ويطلب منه ماحقه أن يتوجه به إلى الخالق المبدع، والبارئ المصور!!

إلا أنه مع ذلك لا يجب اختلاف الصفوف، وتنازع الأهواء، وتصدع الشمل،

وتنافر القلوب، والنبى ﷺ يطلب دائمًا أبدًا إلى هذه الأمة أن تتلاى على حجة واحدة، وهدف واحد، وينادى بأعلى صوته قائلاً: «إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء» ولا ينبغى أن نتعرض لهذه المسائل بشكل ينبئ عن الخصومة، ويحمل على الخلاف، ويثير الصغائن والعناد.. والأمر لا يعدو أن يكون محل نظر ـ على الأقل ـ أو من قبيل ما يقولون عنه «فيه قولان» وكان الأجدر به أن يُعالج بأسلوب حازم، وطريقة مثلى، ونهج قويم.. لكن الذى ابتلى به المسلمين بالتنازع على الخلافة بعد موت الرسول ﷺ، وابتلاهم بالشيعة والخوارج بعد حادثة التحكيم فى عهد على بن أبى طالب رضى الله عنه.. ابتلاهم بالطائفية والمذهبية، والولوع بالنزاع والرأى إلى حد الأمن والهوس، فصاروا بخلقون من الحبة قبة، ويجادلون فى أن عيش كان رَفْعه إلى السماء بجسمه وروحه أم بروحه فقط، وغير ذلك من كل ما ورد فيه نص يحتمل التأويل كأنهم المعنيون بالآية «ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله» ولو تدبروا بعض التدبر فى قول رب السماوات والأرض «ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذى آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة» لو جدوا أن الباب واسع، والطريق واضح، والمهيع فسيح.. وأن وصف الإيمان والتقوى حرى بأن يجعل سوادًا عظيمًا من الناس فى طبقة الأولياء.. ولهذا فإننا نحب لهذا لنقرض المسلمين ألا يصرفوا من وقتهم هذا الفراغ فى الاعتراض على الأولياء والمحبين لهم، المتردين على بيوتهم، وأن ينفعوا الدين من نواح أخرى فإنه لا يزال فى حاجة إلى الدعاية والإعلان والتنويه والبيان، والشرح والإيضاح، والتطبيق على الحوادث والتصرفات تطبيقًا يدل أعداءه على أنه دين الإنسانية كلها، الذى يعالج الأدواء والأمراض، والأسقام والعلل، ويصلح أن يجارى الزمان والمكان مهما اختلفت المناسبات والمشاكل.. وكأنه ﷺ حين يقول: «هلك المتنطعون.. هل المتنطعون» إنما كان يرمى إلى النهى عن هذا التزمت الفاحش، والتشدد القاسى، والخلاف الأهوج.. وما رأينا فى عصر النبوة مثل هذا مع أنهم كانوا يتباينون فى المأرب والآراء والمنازع والاتجاهات، والعمل وللاعتقاد، وفى كثير من القضايا والمعانى التى أخذوها عن رسول الله ﷺ.

يطيل أحدهم صلاته لأن رأى النبى ﷺ يطيل، ويقصر الآخر لأنه رآه يقصر..

وقد يتناظرون فى ذلك ويذهبون إليه ليقضى بينهم فيقول لكل منهما أنت على حق.

كهذين اللذين ذهبا إليه لينصف المحق من المبطل فى قراءة فى سورة الفرقان، فلم يكن منه إلا أن قال: اقرأ يا فلان، وفى نهاية القراءة قال له: نعم هكذا نزلت، وللثانى: اقرأ، وفى نهاية القراءة قال: «هكذا نزلت» ثم قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف».

وما كان ﷺ يرضى أن يقوم النزاع بين مسلم ومسلم على أمر تافه، أو مشكلة بسيطة، وينهى عن الاختلاف ويقول: «إنما أهلك من كان قبلكم كثرة اختلافهم»، هدانا الله إلى العمل بما جاء به وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

المبحث السادس

خير الدعاء ودليله

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال:

يا نبى الله أى الدعاء أفضل؟ قال أن تسأل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال يانبى الله أى الدعاء أفضل؟ فقال أن تسأل الله ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال مثل ذلك فقال النبى ﷺ إذا أُعطيت العفو والعافية فى الدنيا والآخرة فقد أفلحت».

ومن خير الدعاء أيضًا الأدعية التى أمر الله تعالى نبيه المصطفى بترديدها فى القرآن الكريم وكذلك التى أمر عباده المؤمنين بقولها فى آيات كتابه المجيد ولم ينسبها الى أحد وكذلك ما ورد فيه من أدعية المعصومين والصالحين من الثقلين نسأل الله تعالى أن يلهمنا الإجابة عند كل دعاء بخير إنه سميع قريب مجيب.

الباب الثانى

الأوامر الإلهية بالدعاء وآراء العلماء فيها

يشتمل على ستة أقسام سنوردها فى ستة فصول هى:

١ - الأمر بالدعاء صراحة..

٢- الأمر بالدعاء ضمنا..

٣- الأمر بالدعاء فى صورة التهكم..

٤- الأمر بالدعاء فى سياق مايجب توفره فيه..

٥- الأمر بالدعاء بأسمائه الحسنى.. من شروط..

٦- الأمر بالدعاء فى أجمل صوره وأرقاها..

الفصل الأول

الأمر بالدعاء صراحة

يشير الى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[١]. يرى فريق من العلماء أن الدعاء في هذه الآيه الكريمة يحمل معنى «العبادة» مستدلين بحديث رسول الله ﷺ «الدعاء هو العبادة، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢].

ولقد ذهب أكثر المفسِّرين الى هذا المعنى وهو «واعدونى والمبدونى» ومنهم الجمل فى تفسيره حيث قال: «أطلق الدعاء وأريد به العبادة مجازاً لتضمن العبادة له، لأن الدعاء عبادة خاصة أُريد بها، فى الآية مطلق العبادة وذلك بقرينة مابعدها وهو قوله تعالى: «إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم دآخرين».

ويعضد هذا الرأى مارواه ابن جرير الطبرى[٣] فى تفسيره عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عبادتى دعائى» ثم تلا هذه الآية «وقال ربكم ادعونى استجب لكم. . وعن ثابت رضى الله عنه قال: قلت لأنس: يا أبا حمزة، أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا، بل هو العبادة كلها. . ووافقه السدى فيما ينقله الينا الطبرى فى تفسيره لهذه الآية «إن الذين يستكبرون عن عبادتى» قال: عن دعائى.

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) رواه أحمد فى مسنده والبخارى فى الأدب المفرد والحاكم فى المستدرك عن النعمان بن بشير، ورواه أبو يعلى فى مسنده عن البراء/ صحيح.

(٣) ابن جرير الطبرى: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٥ - ٣١٠هـ)، كان عالما بالعبادات جامعًا للعلوم، أو كما يقولون كان دائرة معارف حية لفروع الثقافة الإسلامية واشتهر بكتابية، الأول تفيره الكبير الذى اسماه «جامع البيان عن تفسير أى القرآن»، والثانى فى التاريخ «تاريخ الأمم والملوك». روى أنه حين شرع فى تأليف كتبه قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثة ألف ورقة، فقالوا: هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه. فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة. ثم قال تنشطون لقراءة التاريخ؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير فأجابوا بمثل ذلك، فقال: أنا لله ما تتت الهم فاختصره فى نحو مما اختصر التفسير. قال عنه أحد السلف «أنه يصف أحد مثله» وذكره أحد العلماء فى عصره فقال «نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم أديم لأرض أعلم من ابن جرير» واستقر ببغداد حتى مات.

ويقول ابن عربى[1]: شارحا حديث رسول الله ﷺ «الدعاء مخ العبادة»[2]، ومخ الشىء خالصه، والدعاء هو العبادة الخالصة، وبالمخ تكون القوة للأعضاء، كذلك الدعاء فى العبادة. . به تقوى عبادة العابدين، فإنه روح العبادة»[3]

ويستدل على ذلك بأمرين:

الدعاء فيه امتثال لأمره تعالى ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾.

الدعاء يتضمن حقيقة العبودية، والاعتراف بغنى الرب وقدرته وعلمه، كما يتضمن اعتراف العبد بافتقاره وعجزه وجهله، وأن العبد حين يدعو ربه يكون قد قطع أمله عما سواه، وأعلن افتقاره اليه فى نوال ما يرجوه، تأمل قول نبى الله موسى عليه السلام حين آوى الى الظل فى أرض مدين ﴿**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾[4] وقالت طائفة إن آخر الآية ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..**﴾ يدل على أن المراد بالدعاء العبادة. وقيل يستأهل الدعاء أن يسمى عباده لدلالته على الاقبال على الله والإعراض عما سواه.

وقالت طائفة: أن الدعاء فى الآية المذكورة أُريد به حقيقته وهى الاستعانة بالله والتضرع اليه، وليس الاستدلال به قطعا كما قال أصحاب الفريق الأول، فهو كالحديث الشريف، الحج عرفة[5] أى أن الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم فى الحج، ومن فاته الوقوف بعرفة فلا حج له. كذلك الدعاء هو أعظم العبادات وأفضلها، وتفوت كل عبادة بفواته خصوصا إن كان تركه استعلاءً وقال العلامة تقى الدين السبكى «الأولى حمل الدعاء فى الآية الكريمة على ظاهرة، وأما قوله تعالى بعد ذلك عن عبادتى، فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء، وعلى ذلك فالوعيد إنما هو فى حق من ترك الدعاء استكباراً ومن فعل ذلك فقد كفر.

---

(١) ابن عربى الحاتمى الصوفى صاحب كتاب الفتوحات المكية، جاء إلى مصر، واختلف أهلها فى أفكاره واحتجزوه لقتله لولا أن تشفّع له البعض فرحل إلى دمشق وعاش بها حتى مات عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م.

(٢) أورده الترمذى فى العدوات عن أنس مرفوعًا، وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، والحديث ضعيف ولم يصح سنده ولكنه جائزة فى العقل لو صحّ النقل.

(٣) الفتوحات المكية / ط. صادر ١٠٠/٥٠٧.

(٤) القصص: ٢٤

(٥) رواه احمد فى مسنده وأبو يعلى فى مسنده والحاكم فى المستدرك عن عبد الرحمن بن يعمر/ صحيح

وقال الحكيم الترمذى[1]: الدعاء سؤال حاجة وافتقار فإنما يظهر على القلب ثم على اللسان، فما على القلب يسمى عبوده، وما على اللسان عبادة لذا قيل: إن المراد من الدعاء فى الآية هو الذكر والدعاء والسؤال.

عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسألن أحدكم ربه حاجته كلها حتى فى شسع نعله إذا انقطع».

وقيل: إن المراد من الدعاء فى الآية هو ترك الذنوب روى ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن الاشجعى قال: قيل لسفيان: أدع الله، قال: إن ترك الذنوب هو الدعاء ونحن نرى أن الدعاء اسم جامع للخيرات مستوعب لكل المعانى السابقة للأدلة التى أوردناها، ولأن من شروط قبول الدعاءالتوبة النصوح، والندم الصادق يزيلان ماران على النفس من صدأ المعاصى، ويغسلان ماحل بها من أدران الذنوب[2]، ويجعلانها مُتلألئة شفافة، تستشف الخير، وتعرف سُبله، وتصل الى ربها من أقرب الطرق وأسهلها فتؤتى ثمارها اليانعة الحين بعد الحين، كاملة غير منقوصة، فتكون لنفسها خيراً، ولغيرها قبساً تضىء للبشرية طريق الحياة. وهذه النفس التى شأنها كذلك، إذا ما التجأت الى الله تعالى بالدعاء، فتح الله لها أبواب السماء، واستجاب لها رب الأرض والسماء.

بقيت واحدة، وهى أن الأمر فى الآية الكريمة ﴿**ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ..**﴾ يُرجّح أن يكون للوجوب سواء كان الدعاء بمعناه الصريح، أو بمعنى العبادة، لأن القصد من الأمر الإلهى الوجوب، ولا يصرفه عن كونه للوجوب إلا بدليل، ولا يوجد معنا دليل فى هذه الآية أو غيرها لصرف الأوامر فيها عن الوجوب الى الندب أو الاستحباب بل الأمر على العكس من هذا.

وحيث أن آيات الدعاء فى القرآن كثيرة، خصوصا الآيات التى معنا فى هذا

---

(١) نوادر الأسول: ١/٦٣٦، والحكيم الترمذي هو أبو عبد الله محمد بن علي فقيه حنفي صوفي من مؤلفاته: ختم الولاية، ونوادر الأصول، توفي في بداية القرن الثالث الهجري، وهو غير الترمذي المحدث (أبو عيسي) صاحب كتابي: السنن والشمائل.

(٢) وفى المسند من حديث ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه». رواه احمد والنسائى وابن ماجه والحاكم عن ثوبان وصحّحه.

الباب، ويحمل معظمها الأمر بالدعاء الاعتناء بشأنه، والحث عليه، وجاءت السُّنة النبوية لتدعم هذا الأمر بأكثر من حديث: فقد جاء فى تفسير ابن كثير مارواه الإمام احمد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدعُ الله عز وجل غضب عليه»، وفى رواية أخرى «من لم يسأل الله يغضب عليه»، ولايكون غضب الله فى أمر مندوب أو مُستحب وإنما يكون فى أمر واجب.

كما أن من رحمة الله تعالى بالعباد أن جعل الأمر بالدعاء واجباً حتى لايتكاسل الناس عن أهم مايربطهم بالله تعالى، ويقوى الصلة بينهم وبين خالقهم خصوصا إذا ادلهّمت بهم الخطوب، وانتباتهم الأعاصير.

الفصل الثانى

الأمر بالدعاء ضمنا (١)

يشير إليه قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾(٢).

المبحث الأول

ربط الآية بما قبلها

ذكر الإمام الرازى(٣) فى تفسيره وجوها ثلاثة ننقلها بتصرف:

١ـ أن الله تعالى: بعد أن فرض الصوم وبين أركانه قال: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٤)، فأمر العبد بالتكبير الذى هو الذكر، كما أمره أيضا بالشكر، بعد ذلك بين أنه سبحانه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع على ذكره وشكره فيسمع دعاءه، ويجيب نداءه.

٢ ـ أن الله تعالى أمر أولا بالتكبير، ثم رغب ثانيا فى الدعاء تبنيها على أن الدعاء لابد وأن يكون مسبوقا بالثناء الجميل، ولقد ضرب الخليل ابراهيم عليه السلام المثل الأعلى فى ذلك، فى سورة الشعراء. فأثنى على الله تعالى أولا فقال: ﴿ الَّذِي

---

(١) ورد الأمر بالدعاء ضمنا فى أربع سور من القرآن الكريم هى البقرة، التحريم، الذاريات، وهى آية سورة البقرة المذكورة، واكتفينا بها لشمولها، يقول اله تعالى ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١) وقوله تعالى ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠] وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨ـ].

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٣) الامام الفخر الرازى: هو محمد بن عمر التيمى القرشى. له عدة مؤلفات اشهرها مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير. ولد بالرى وتوفى بمدينة هراة عام ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م.(٤) سورة البقرة: (٥) و(٦) سورة الشعراء.

(٤) البقرة: ١٨٥.

خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]، وبعد أن قدم الثناء، شرع فى الدعاء قائلا: «رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين»[2].

٣ ـ أن الله تعالي لما فرض علي المسلمين الصيام كما فرضه علي الذين من قبلهم وكان ذلك علي بعضهم حتي عصوا الله في ذلك التكليف ثم ندموا وسألوا النبي ﷺ عن توبتهم ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم.

المبحث الثانى

سبب النزول

لما شرف الله العرب بدخولهم فى دين الإسلام، وانتقلوا بذلك من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان، لم يكونوا يعرفون من شئون الله تعالى إلا ماينزل به القرآن العظيم، أو يبينه لهم الرسول الكريم عن طريق الوحى.

وقد جال بأذهان بعضهم.. وهم قريبوا عهد بالجاهلية.. أن لله مكانا كما كان لآلهتهم، فسأل سائل منهم أين ربنا؟ أو أى ساعة ندعو؟ وكان سؤاله هذا ليعرف من أمر الله تعالى مالم يكن يعرف، ويبنى عقيدته على مايستيقن به من الرسول ﷺ.

وكما سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ هذا السؤال، سأل مثله أعرابى فقال: أقريب ربنا فنناجيه[3] أم بعيد فنناديه[4].

فلهذا كان لابد من وضع حد لأمثال هذا التساؤل حتى يكون المسلمون على بينة من ربهم فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[5].

---

(١) و (٢): الشعراء: ٧٧ - ٨٢.
(٣) أي فندعوه سراً.
(٤) أي فندعوه جهراً.
(٥) البقرة: ١٨٦.

وذكر الإمام الرازى فى تفسيره عن كعب الأحبار قال: قال موسى عليه السلام: يارب، أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك فقال: ياموسى أنا جليس من ذكرنى. قال: يارب فإنا نكون على حالة نجلك أن نذكرك عليها من جنابة أو غائط، قال: ياموسى إذكرنى على كل حال، فلما كان الأمر على هذه الصفة رغب الله تعالى عباده فى ذكره، وفى الرجوع اليه فى جميع الاحوال فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ويتضح من ذلك أن هذه الآية الكريمة نزلت للتجاوب والتوافق مع شريعة موسى عليه السلام، كما أنها توضح الحالة التى يجب على الانسان أن يكون عليها اثناء الدعاء، والطريقة التى يجب على العبد الداعى التزامها أمام ربه ومتى يدعو؟ وأن الله يقبل توبة التائبين.

المبحث الثالث

ما المراد من السؤال فى الآية؟

قد يكون السؤال عن ذات الله من حيث القرب والبعد، وقد يكون عن صفاته من سماعه دعاء الصالحين الداعين، وقد يكون عن كيفية إذنه، هل إذن أن ندعوه بجميع الاسماء أو بأسماء معينة؟ وهل اذن أن ندعوه على أى حال أم على حال معينة؟

غير أن وقائع أسباب النزول تدل على أن السؤال عن أحد الأمور الآتية:

* إما أن يكون السؤال فى الآية «وإذا سألك عبادى..» عن المكان لله تعالى من حيث القرب والبعد؟! أو عن الزمان الذى يصلح الدعاء فيه؟، وقلنا فى المبحث السابق أن بعض الصحابة، وهم قريبو عهد بالجاهلية، قد جال بأذهانهم، أن الله مكانا كما كان لآلهتهم، فسأل مثل هذه الاسئلة: أين ربنا؟ أو أى ساعة ندعو؟ وكان سؤاله ليعرف من أمر الله مالم يكن يعرف، ويبنى عقيدته على مايستيقن به من رسول الله ﷺ.

* أو عن الحال التى ينبغى أن يكون العبد عليها ليكون صالحها للدعاء.

* أو عن كيفية سماع الله تعالى دعاء الداعين.

* أو عن حقيقة قبول توبة العاصى، ايقبلها الله أم لا؟

المبحث الرابع

ما المراد من القُرْب فى الآية «فإنى قريب»؟

هذه الجملة الاسمية «فإنى قريب» تحمل جوابا حاسما وشافيا لكل الاسئلة سالفة الذكر، فهى صالحة لأن تكون جوابا لمن سأل عن مكان الله وعن كيفية سماعه للدعاء، أهو بصوت مرتفع أو بصوت خفيض، وعن زمان الدعاء، والحال التى يكون عليها الداعى، وتوبة العاصى، وكأن المولى جل شأنه يقول أيها السائل عن صحة قبول توبتك، فها أنا ذا أجيبك بأنى قريب منك فاطرق باب التوبة استجب لك.

ويستطيع المتأمل لهذه الجملة الكريمة أن يستنتج منها عدة أمور:

* كونها جوابا مستقلا ومطابقا لكل سؤال من الاسئلة السابقة.

* انه بهذا الجواب الحاسم علموا أن الله تعالى ليس ببعيد عنهم بل هو قريب منهم بعلمه، وإن لم يكن له مكان، لاستحالة المكان على الله تعالى، ولأنه لو كان فى مكان لما كان قريبا من الكل، فإنه إذا قُرب من شىء بعد عن شىء آخر، والجملة الكريمة ناطقة بأنه قريب من كل شىء، وهو سبحانه وتعالى الموجود قبل خلق المكان فوجب أن يكون المراد من القرب أحد أمرين: إما الرؤية والسمع أو العلم والتدبير والحراسة. ومن ثم فان المفاجأة الخافتة لله، والنداء بصوت جمهورى يستويان عنده.

ويلاحظ أن الآية الكريمة خلت من الوساطة المحمدية، وخالفت ما جرت عليه عادة الآيات لقرآن المتضمنة للسؤال، فقد اشتمل القرآن على اثنى عشر سؤالا فيهما ثلاث عشر مسألة (١) كلها واردة على لسان مشركى العرب، فكان أمر الله تعالى لنبيه ﷺ أن يبلغهم رده عليهم، كقوله تعالى:

(١) قال عبد الله بن عباس: مارأيت قوما خيراً من اصحاب محمد ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة كلهن فى القرآن: يسألونك عن المحيض، يسألونك عن الشهر الحرام، يسألونك عن اليتامى، يسألونك عن الأهله، يسألونك عن الانفال، يسألونك ماذا أُحلّ لهم، يسألونك ماذا ينفقون، يسألونك عن الساعة، يسألونك عن الخمر والميسر، يسألونك عن ذى القرنين، يسألونك عن الروح، يسألونك عن الجبال، ماكانوا يسألون إلا عما ينفعهم

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾[1].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾[2].

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[3].

ورفع الوساطة دليل على محبة الله تعالى لعباده العائدين اليه بعدما اقترفوه من ذنوب كما أنها حث للعُصاة على ولوج باب التوبة والاقلاع عن المعصية، والله سبحانه أفرح بتوبة عبده حين يتوب اليه من الفاقد لراحلته التى عليها طعامه وشرابه فى ارض دويّة مهلكة إذا وجدها، كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ قال: «لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل فى ارض دويّة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع الى المكان الذى كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه. فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته»[4]

ومن طريف ما قاله الامام الرازى فى هذه المناسبة: أعلم أن قوله تعالى «فإنى قريب» فيه سر عقلى وهو أن انصاف ماهيات الممكنات بوجوداتها إنما كان بإيجاد الصانع، فكان ايجاد الصانع كالمتوسط بين ماهيات الممكنات وبين وجوداتها، فكان الصنع أقرب الى ماهية كل ممكن من وجود تلك الماهية اليها.

ثم قال بل هلّها كلام من أعلى من ذلك وهو: أن الصائع هو الذى لأجله صارت ماهية الممكنات موجودة، فهو ايضا لأجله كان الجوهر جوهراً، والمواد مواداً، والعقل عقلا، والنفس نفسا، فكما أن بتأثيره وتكونه صارت الماهيات موجودة، فكذلك بتأثيره وتكونه صارت كل ماهية تلك الماهية، فعلى قياس ماسبق، كان الصانع أقرب

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) البقرة: ٢١٩.

(٣) الإسراء: ٧٥.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم طـ. دار الكتب العلمية / جـ ص٩.

الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها. ثم ساق اعتراضا ليتسنى له الرد عليه ودحضه فقال: فإن قيل تكوين الماهية ممتنع، لأنه لايعقل جعل المواد مواداً. فرد قائلا: فنقول: فكذلك ايضا لايمكن جعل الوجود وجوداً لأنه ماهية ولايمكن جعل الموضوعية دالة للماهية فلا تكون بالفاعل، فإذن لم يقع شىء البتة بالفاعل وذلك باطل ظاهر البطلان، فإذا وجب الحكم بأن الكل بالفاعل وهو الله تعالى[١].

المبحث الخامس

ما المراد من الدعوة فى هذه الآية

قد يكون المراد من الدعوة (باعتبارها مصدر دعاء) أحد الامور التالية.

* التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد «يا الله.. الذى لا إله إلا أنت، وسمى هذا النوع دعاء لأن العبد عرف الله تعالى ثم وحده وأثنى عليه، وبهذا التأويل يسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ ومثل ذلك كثير.
* التوبة من الذنوب لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة والاجابة هنا قبول التوبة.
* العبادة لقول رسول الله ﷺ «الدعاء هو العبادة» يدعم ذلك قوله تعالى «ادعونى استجب لكم» فالاجابة على ضوء ذلك تحمل معنى الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب.
* طلب العبد من ربه حوائجه، وعليه تكون الدعوة بمعنى الدعاء والمراد منها التوحيد والثناء والتوبة والعبادة وقضاء الحوائج.

---

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام الفخر الرازى.

المبحث السادس

معنى إجابة «دعوة الداعي»

لإجابة العودة بمعنى الدعاء عدة معان نذكر منها مايلى:

* القبول: إذا كان الدعاء توبة.

* بمعنى «أسمع» لوجود الملازمة بينهما، قاله ابن الأنبارى.

* الإثابة: إذا فسرنا الدعاء بمعنى العبادة.

* الإنجاز: إن كان الدعاء بمعنى السؤال والطلب.

* النجدة: إذا كان الدعاء بمعنى الاستغاثة.

وقال الحسن البصرى: أجيب دعوة الداع إذا دعان، أى أقبل عبادة من عبدنى، فالدعاء بمعنى العبادة والإجابة بمعنى القبول.

وهل هذه الاجابة عامة لكل داع أم خاصة؟.. ذهب المعتزلة الى القول بتخصيصها بالمؤمنين الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلمهم، وحجتهم فى ذلك أن الله وصفهم بما يفيد مدحهم حيث أجاب دعوتهم.

وقال الإمام علىّ رضى الله عنه «ماكان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة، ولاليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة»[1].

---

(١) نهج البلاغة: ٥٥٣.

المبحث السابع

معنى «فليستجيبوا لى»

قال الواحدى: أجاب واستجاب بمعنى واحد ولذلك قال أهل المعنى الاجابة من العبد لله تعالى هى الطاعة، والاجابة من الله تعالى لعبده هى اعطاؤه مايطلبه لأن اجابة كل شىء على وفق مايليق به.

وقد يكون المقصود من الاستجابة «الانقياد والاستسلام لأوامر المولى عز وجل» وهنا دقيقة لطيفة وهى: أن الله ذكر أولا اجابته لعبده ثم ثنى باجابة العبد لله تعالى فقال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾(١).

وفى هذا مايفيد عظم فضل الله تعالى عباده وسعة كرمه يهم، كما يفيد بأن اجابة الله عبده متقدمة على طاعة العبد، وهذا عين الفضل الإلهى على العباد، فهو يعلم أن العبد فقير ومحتاج اليه سبحانه من كل الوجوه، والله غنى عن العالمين.

بقيت ملحوظة تتردد فى جنبات النفس قائلة: إذا كان الله قد قال فى هذه الآية: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

وقال فى آية أخرى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

وقال فى آية ثالثة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(٢).

فلماذا نرى بعض الناس بل الكثير منهم يدعو ويبالغ فى الدعاء الى درجة الالحاح ثم لايستجاب له، الجواب على هذا يتلخص فيما يلى:

---

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) النمل: ٦٢.

١ - عن حذيفة[١] رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عذاباً منه، ثم تدعوته فلا يستجيب لكم» رواه الترمذى.

٢- روى أن أهل البصرة جاءوا الى ابراهيم بن أدهم وقالوا له: قال الله تعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾.

ومالنا منذ دهور ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم فى عشرة أشياء فكيف يستجاب لكم؟: «عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا به، وادعيتم عدواة الشيطان وأطعمتوه ووافقتموه، وتقولون انكم من أُمة محمد ولم تعملوا بسنته، وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها وقلتم إن الجنة حق فلم تعملوا لها، وقلتم إن النار حق ولم تهربوا منها بل رميتم أنفسكم فيها، وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له، وانتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم، ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا».

إذا فعدم استجابة الدعاء إما أن تكون لفقد شرط من الشروط المتقدمة، وعدم الوقوف عند حدود الله تعالى، والتفريط فى أداء الواجبات، وهذا مابينه حديث الرسول ﷺ الذى قال فيه: «يا أيها الناس إن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيباً وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[٢].

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[٣].

---

(١) هو حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حسل، فهو حذيفة بن حسل، ويقال حُسيل، من الأنصار، واليمان لقب لُقِّب به لأنه أصاب دما في قومه فهرب إلي المدينة فحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان، لأنه حالف الأنصار وهم من اليمان. إسلم حذيفة وأبوه، وهاجر إلي رسول الله ﷺ وشهد جميعًا أُحدًا وقُتل أبوه يومئذ، قتله المسلمون خطأ، فوهب له دمه. وكان حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين يعلمهم وحده، كما كان كثير السؤال عن الفتن يسأل رسول الله ﷺ عنها ليتجنبها، توفي بالمدائن سنة (٣٦) هـ بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعين ليلة، ولم يدرك وقعة الجمل.

(٢) المؤمنون: ٥١.

(٣) البقرة: ١٧٢.

ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغبر يمد يديه الى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[(١)].

وإما أن يكون الدعاء مستجاباً فى الواقع ولكنه فى نظر الانسان غير مستجاب، وهذا يحتمل عدة أمور.

أحدهما: أن يكون الدعاء مستجابا ولكنه مؤجل لحكمة يعلمها الله تعالى.

ثانيها: أن يدعو الانسان بشيء لكن الله يبدله بشيء آخر يكون أنفع للعبد، كالشفاء من المرض وغير ذلك من دفع بلاء كان سينزل به، قال على رضى الله عنه: «ارفعوا افواج البلايا بالدعاء» وعن أنس رضى الله عنه يرفعه «لاتعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد».

ثالثها: ادخار ذلك للعبد لينال به الثواب يوم القيامة.

وقد بينت ذلك السّنة الشريفة:

* «منها» عن أبى سعيد الخدرى[(٢)] رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذاً نكثر؟ قال: الله أكثر»[(٣)].

* ومنها مارواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه، فيقول عبدى إنى أمرتك أن تدعونى،

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

(٢) هو الصحابي الجليل أبو سعيد بن شبيان الخدري الأنصاري، وكان من أعين الصحابة وفقهائهم، شهد الخندق وبيعة الرضوان وغيرهما وروي طائفة من الأحاديث، رُوي عنه أنه قال: قتل أبي يوم أُحُد شهيدًا، وتركنا بغير مال، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله شيئًا، فلما رآني قال: من استغني أغناه الله، ومن يستعف أعفه الله، قلت: ما يريد غيري، فرجعت. وروي أنه كان من حُفاظ الحديث المكثيرين، وتوفي سنة أربع وسبعين للهجرة رضي الله عنه يوم الجمعة ودُفن بالبقيع.

(٢) رواه أحمد والبراز وأبو يعلي والحاكم.

ووعدتك أن استجيب لك، فهل كنت تدعونى؟ فيقول: نعم يارب، فيقول: إما أنك لم تدعنى بدعوة إلا استجبت لك، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟ فيقول: نعم يارب، فيقول: إنى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن افرج عنك فلم تر فرجا؟ قال: نعم يارب فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا، ودعوتنى فى حاجة أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها؟ فيقول نعم يارب،فيقول إنى عجّلتها لك فى الدنيا، ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيها لك فلم تَر قضائها؟ فيقول: نعم يارب فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا. . قال رسول الله ﷺ: فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل بها فى الدنيا، وإما أن يكون ادخرها له فى الآخرة. قال: فيقول المؤمن فى ذلك المقام: ياليته لم يكن عجل له شىء من دعائه»[1].

فعلى المؤمن أن يدعو ربه فى كل وقت وفى كل حين، وأن يحقق من نفسه، شروط القبول، وكان يحيى بن معاذ يقول: «من أقرّ لله بإساءته جاد عليه بمغفرته، ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته، ومن أخلص لله فى دعوته مَنّ الله عليه بإجابته».

---

(١) رواه الحاكم.

الفصل الثالث

الأمر بالدعاء فى صورة التهكم

جاء الأمر بالدعاء فى صورة التهكم فى خمس آيات من أربع سور فى القرآن الكريم، هى الأنعام والمؤمنون والفرقان والنمل:

١- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[١].

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة والمشركين ماذا تفعلون إذا حل بكم العذاب أو فاجأتكم الساعة؟ هل كنتم تفعلون شيئا غير التضرع والابتهال وطلب الغوث والنجدة من الله تعالى؟!، واذا كان الامر كذلك، ولامفرّ لكم منه، فلماذا لاتدعون الله أن يوفقكم للحق والصواب، ويتوب عليكم ويهديكم الى الاسلام؟!

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[٢].

المعنى: «ولقد أخذناهم بالعذاب» أى ابتليناهم بالمصائب والشدائد، وبالقحط والجوع «فما استكانوا لربهم» اى ما خضعوا لله ولا تواصعوا لجلاله «ومايتضرعون» أى وما دعوا ربهم لكشف البلاء بل استمروا على العتوّ والاستكبار، والغرض أنه لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله فى الماضى، ولا التجاء الى الله فى المستقبل لشدة جبروتهم وطغيانهم.

٣- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[٣].

المعنى: قل يا محمد لأهل مكة إن الله لايهتم بأمركم لكفركم وشرككم، ولولا دعاؤكم، وتضرّعكم إليه لما أبقى منكم أحداً، فداوموا على الدعاء والاستغاثة به، عسى أن يشملكم بعفوه ورحمته.

---

(١) الأنعام: ٤٠

(٢) المؤمنون: ٧٦

(٣) الفرقان: ٧٧

٤- قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[١].

المعنى: أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو الآيات الدالة على وحدانيته، الناطقة بالبراهين على قدرته وحكمته وفيها مافيها من التبكيت للمشركين والتهكم بهم، وفيها عظة وتذكرة، ومنها هذه الآية.. ينبه المولى جل وعلا أنه المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل فى قوله تعالى: «أمّن يجيب المضطر إذا دعاه» أى من هو الذى لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذى لايكشف ضر المضرورين سواه.

روى الإمام احمد فى مسنده[٢] عن رجل من بلهجيم (لم يذكر اسمه فى هذه الرواية): قال: قلت يارسول الله إلام تدعو؟ قال «أدعو إلى الله وحده الذى إن مسّك ضر فدعوته كشف عنك، والذى إن أضللت بأرض قفز فدعوته رد عليك، والذى إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك، قال: قلت أوصنى.

قال «لاتسبّن أحدا ولاتزهون فى المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى، واتزر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن الله لايحب المخيلة» وفى رواية[٣] قال «أتيت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة وقد وقع هدبها على قدميه فقلت أيكم محمد رسول الله؟ فأومأ بيده إلى نفسه، فقلت يارسول الله أنا من أهل البادية، وفىّ جفاؤهم فأوصنى، قال «لاتحقرنّ من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط، ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى، وإن امرؤ

---

(١) النمل: ٦٢.

(٢) المسند هو المصدر المثبت والكتاب الجامع الذى جمع فيه الإمام الجليل أحمد بن حنبل أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. وقد كان هذا السفر العظيم على الرغم من جلالة قدره وقدر صاحبه غير مرتب على الطريقة المعاصرة فوفق الله لترتيبه وشرحه والتذييل له الرجل التقى الصالح الشيخ عبد الرحمن أحمد الساعاتى وطبعة أنيقة، ثم طُبع بتحقيق المحدث المفضال الشيخ أحمد شاكر، وحديثا بتحقيق الألبانى.

(٣) رواه أحمد فى مسنده عن جابر بن سليم الهجيمى (وهو اسم الصحابى الذى لم يذكره فى الرواية الأولى.

شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فإنه يكون لك أجره وعليه وزره، وإياك وإسبال الإزرار فإن إسبال الإزرار من المخيلة وإن الله لايحب المخيلة»

وقال ابن أبى حاتم فيها يحكيه عن عبيد الله بن أبى صالح قال: دخل علىّ طاووس[1] يعودنى، فقلت له: ادع الله لى يا أبا عبدالرحمن فقال: ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

وقال وهب بن منبه[2] : قرأت فى الكتاب الأول: أن الله تعالى يقول: بعزتى إنه من اعتصم بى فإن كادته السموات بمن فيهن والأرض بمن فيهن، فإنى أجعل له من بين ذلك مخرجا، ومن لم يعتصم بى فإنى أخسف به من تحت قدميه الأرض فاجعله فى الهواء فأكله إلى نفسه. «ويكشف السوء» أى ويكشف عنه الضر والباساء «ويجعلكم خلفاء الأرض» أى ويجعلكم سكان الأرض تعمرونها جيلا بعد جيل، وأمة بعد أمه، وقوما بعد قوم، ولو شاء لأوجدهم كلهم فيى وقت واحد، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل ولو شاء لخلقهم أجمعين كما خلق آدم من تراب، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض، ولكن لايميت أحدا حتى تكون وفاة الجميع فى وقت واحد لكانت تضيق عنهم الأرض، وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة، ويذرؤهم فى الأرض، ويجعلهم قرونا بعد قرون، وأمما بعد أمم حتى ينقضى الأجل وتفرغ البرية كا قدّر ذلك تبارك وتعالى، وكما أحصاها وعدهم عدا، ثم يقيم القيامة، ويوفى كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى: «أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء، الأرض أإله مع الله» أى يقدر على ذلك، أو أإله مع الله يعبد؟ وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لاشريك له، والجمله الكريمة «أإله مع الله» استفهام إنكار وبرهانا ينطق بوحدانية الله وقدرته وحكمته «قليلا ماتذكرون» أى ما أقل تذكركم واعتباركم فيما

(١) طاووس بن كيان: من أعلام النابعين، كان فقيها محدثا، توفى حاجا بمكه قبل يوم التروية بيوم عام ١٠٦

(٢) وهب بن منبه الأنبادى الصنعانى (٣٤ - ١١٤ هـ) كثير الأخبار عن الكتب القديمة، صحب ابن عباس ١٣ عاما. ولاه عمر بن عبدالعزيز قضاء صنعاء ومات بها عام ١١٤ هـ.

تشاهدون؟ ومايرشدكم الى الحق ويهديكم الى الصراط المستقيم.

٥- قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[(١)]

يسوق الله تعالى هذه الآيات تسلية لرسول الله ﷺ ليعلم بأن شأن أمته معه كشأن الأمم السابقة مع رسلها، فيقول الله تعالى فى الآية السابقة على هذه الآيه «ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون» أى لاتضجر يامحمد من حال قومك فإن هذه عادة الأمم قبلهم مع أنبيائهم، فلما كذبوا بما جاءهم به الرسل أخذناهم بالشدة والفقر والآفات والأمراض والأسقام والآلام رجاء ان يرفعوا أكفّ الضراعة الى الله تعالى داعينه أن يكشف عنهم ماحل بهم من المصائب والنكبات

وكيف لايتأتى منهم الدعاء والتضرع بنزول ما حل بهم وقد تأكدت بهم أسباب اللجوء الى الله والاستغاثة به، ولكنهم لم يفعلوا ذلك بل فعلوا نقيضه بأن قست قلوبهم وغلظت أفئدتهم، وتمادوا فى غيهم، فلم ترق قلوبهم ولم تخشع إلى الله تعالى، ولم يتعظوا من البلاء النازل بهم، ولم يرجعو الى ربهم، ونسوا كل ماهم فيه من بؤس وشقاء، منحهم الله النعم استدراجالهم حتى اذا فرحوا بها، واطمانوا وظنوا أنهم فى مأمن من عقاب الله، اخذهم فجأة على حين غفلة منهم، فاذا هم آيسون من رحمة الله مخلدون فى العذاب المقيم، بل قطع الله دابرهم، واستأصل شافتهم ولم يبق منهم احدا.

بلاغة وتنبية

* «لولا» أفادت اللوم والندم والتوبيخ هنا لدخولها على الماضى، كما انها افادت انهم لم يتركوا التضرع لعذر طرأ عليهم بل تركوه عنادا واستكبارا، والعدول عن النفى الصريح الى هذا الأسلوب لافادة أنهم كانوا متمكنين من التضرّع لكنهم لم يفعلوه، وذلك اقوى فى باب اللوم والتقريع، لأن نفى التضرع لا يدل على عدم المانع من

(٣) الأنعام: ٤٣

التضرع، لهذا قال التفتازانى «وذلك انما يجب اذا لم يكن له فى ترك الفعل عذر مانع منه».

* الاستدراك بـ «لكن» هنا من أحسن مواقع الاستدراك لوقوعه بين ضدين، أى فلما لم يتعظوا بما أنزل الله عليهم من بلاء، منحهم النعم استدراجا منه تعالى وإملاءلهم، ليأخدهم فى غفلة رفاهيتهم وسعادتهم، وكان الاجدر بهم غير ذلك والمراد بقسوة قلوبهم اى مارقّت ولاخشعت بل استمروا على شِرْكهم وعنادهم ومعاصيهم ومن ثم فاجأهم الله بالعذاب وقطع دابراهم، والمراد بقطع دابرهم اى اهلاكهم جميعا ـ قال الاصمعى* وابو عبيدة: دابر القوم اخرهم، وقيل أصلهم، وهلاك آخر القوم مستتبع لهلاكهم جميعا باللزوم العادى.

* العذاب الذى نزل بهم كان بسبب عدم إيمانهم، وهذا بسبب عدم تضرعهم واستغاثتهم بالله ودعاءهم اياه ان يرفع عنهم ماحل بهم من البلاء فدل ذلك على أن الدعاء سبب الايمان وتركه مدعاة لغيره، كما ان روح الدعاء هو الايمان بالله.. بمجيب الدعاء.

* الدعاء واجب على كل إنسان، لأن ماتوقف عليه الواجب فهو واجب، وقد توقف وقوع الايمان على الدعاء فكان الدعاء واجبا. قال الحسن البصرى: من وسع الله عليه فلم ير انه يمكر به فلا رأى له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأى لهم ثم قرأ ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ** ﴿٤٤﴾﴾[1] قال: مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجتهم ثم اخذوا» وقال قتاده: بغت القوم امر الله، وما اخذ الله قوما قط الا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله فإنه لايغتر بالله الا القوم الفاسقون»[2].

* دلت الآية على ان من لم يسأل الله تعالى ويستنجد به فى الملمات يستحق غضبه ونقمته وعذابه.

---

(١) الأنعام: ٤٤

(٢) رواه ابن أبى حاتم

(*) الأطمعى: أديب عربى وراوية اشتهر بالنوادر فى الأدب والشعر، مات بالبصرة عام ٢١٦هـ، ٨٣١م.

* تفيد الآية أن هلاك العصاه رحمة بهم حتى لايزدادوا بامتداد أعمارهم فسادا فيزدادوا عذابا وعقابا

* قال أهل المعانى: وإنما أُخذوا فى حال الرخاء والراحة ليكونوا أشد تحسّرا على مافاتهم من حال السلامة والعافية.

* قال رسول الله ﷺ: «اذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصية ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) ﴾[٣].

---

(١) رواه عقبة بن عامر رضى الله عنه..

الفصل الرابع

الأمر بالدعاء فى سياق
مايجب توفره فيه من شروط

وهو المشتمل على بعض الصفات التى ينبغى توفرها فى الداعى والدعاء.. فى ست آيات من سورتى الأعراف وغافر: قال الله تعالى:

- ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(1).
- ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(2).
- ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(3).
- ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾(4).
- ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾(5).
- ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾(6).

إذا تأملنا الآيات الكريمة نجد فيها دعوة الهية الى الدعاء.. واغراء ربانى له وحضن عليه، اما الآيات الثلاث (١، ٥، ٦) فتشترط الاخلاص.. والامر فى هذه الآيات للوجوب.. كما يمكن القول بأن الأمر بالدعاء فيها ليس مقصورا على المسلم

---

(١) الأعراف: ٢٩. (٢) الأعراف: ٥٥.
(٣) الأعراف: ٦٤. (٤) الأعراف: ٢٠٦.
(٥) غافر: ٦٤. (٦) غافر: ٦٥.

فحسب بل يعم كل انسان ايا كانت عقيدته بدليل قوله تعالى «ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون» ولما كان الدعاء هو العبادة بل مخها اشترط ان يكون الاخلاص رائده، ولذلك نجد الله تعالى قد كرر الأمر به تارة بالوار فقال «وادعوه مخلصين» وتارة بالفاء فقال «فادعوا الله مخلصين»، وحث عليه كثيرا، كما أمر الداعى أن يكون مخلصا فى دعائه بحيث يكون متوجها به إليه لا إلى غيره فيكون ملتفتا الى مولاه ـ بكليته، بقلبه، غير غافل عنه ولاساه، ولكى يكون الدعاء مقبولا يشترط على الداعى ان يجعل الله ملاذه وملجأه ومرتجاه فى كل أموره الفعلية والقولية، وفى نطقه وصمته فاذا دعاه كان منشرح الصدر طيب النفس قرير العين، مقبلا على عمله بجد وإخلاص، محبا لبنى جنسه، راضيا بما قسم الله تعالى، لايتطلع الى ما فى أيدى الناس من نعم الله لان ذلك العبد يرى من خلال ثقته بربه وتوكله عليه ان ما كان له سوف يأتيه ولن يخطئه الى غيره.. بهذه الصفات الحميدة يستطيع دعاءه ان يصعد الى الله، ويحل فى رحاب ملكوته وقدسيته، فهو الواثق فى قول ربه«إنى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان» وقوله تعالى «إن رحمة الله قريب من المحسنين» لهذا يمتدح المصطفى ﷺ ذلك الصنف من الناس فيقول «ادعو الله وانتم موقنون بالاجابة، واعملوا ان الله لايقبل دعاء من قلب غافل لاه.

لأن الإعداد النفسى والايقان القلبى، واليقين من الاجابة له دخل فى تحقيق الرجاء وإجابة الدعاء.. كما ان غفلة القلب تبطل قوته، وهذا يدل على حتمية التوجه الى الله سبجانه وتعالى حال الدعاء، وألا يكون هناك سلطان من الغفلة على قلب المؤمن وصدره، إنما يكون مطمئنا رطبا دائما بذكر الله تعالى فذلك أدعى وأقوم لاستجابة الدعاء.

قال ابن جرير فيما يرويه عن ابن عباس رضى الله عنه: من قال: لا إله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى «فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين».

وروى الامام احمد قال: كان عبدالله بن الزبير يقول فى دبر كل صلاة حين يسلم: لا أله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا اياه له النعمة وله الفضل وله

الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. قال: وكان رسول الله ﷺيهل بهن دبر كل صلاة»[1]

ان الدعاء الذى لايصحبه الاخلاص، وكذلك كل عمل لبنى الانسان.. يصبح صورة بلا حياة، وجثة بلا روح والله تعالى إنما يريد من الأعمال حقائقها، لا رسومها وصورها، ولهذا يرد كل عمل مغشوش على صاحبه، كما يرد الصيرفى الناقد العملة الزائفة وفى الحديث الصحيح: «ان الله لاينظر إلى أجسامكم وصوركم ولكن ينظر الى قلوبكم»[2]

وقال الله تعالى فى شأن قرابين الهدى والأضاحى التى يقدمها الحجاج والمعتمرين ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[3]

وليس تشديد الاسلام فى طلب الاخلاص، وتأكيده على تجريد النية لله، وتصحيح الاتجاه اليه وحده ضربا من التزمت او العبث فإن الحياة نفسها لاتستقيم ولاترتقى إلا بالمخلصين والإخلاص تتعدد جهاته ونواحيه ومقاصده فى الحياه، ففى القمة يأتى اخلاص العبد لربه، وهو إقراره بالعبادة والتقديس، واخلاص المسلم لرسوله ﷺ وهو حبه له وحرصه على سنته وتمسكه بهديه وفناؤه فى خدمة ملته وشرعته، واخلاص الانسان لبنى الإنسان بأن يريد لهم الخير ويتمنى لهم الهداية والتوفيق، ويعمل لذلك ما استطاع اليه سبيلا، واخلاص المرء لوطنه بأن يدافع عنه، ويضحى فى سبيله بالنفس والنفيس، وإخلاص المرء لأهله وأصدقائه أو مخالطية.. وما استفاض الاخلاص بين جماعة من الجماعات فى شئون الدين والدنيا إلا استفاض فيهم الخير، وزهق من بينهم الباطل. وكانوا من خير السعداء.. روى أن الرسول ﷺ قال: طوبى للمخلصين! أولئك مصابيح الهدى، تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء!

وروى عن معاذين جبل قال: لما بعثنى رسول اللهﷺ إلى اليمن قلت: أوصنى قال ﷺ: أخلص دينك يكفك القليل من العمل «اى اجعل ايمانك خالصا مما يشوبه من شهوات النفس، واخلص طاعتك لله يصبح القليل من عملك كثيرا مباركا».

ولذلك حرص الأولون والكرام السابقون من صفوة هذه الامة على طلب الإخلاص وتحقيقه والحث عليه، اذ كانوا يرون فيه خلاصهم وخيرهم، فها هو ذا عمر

---

(١) ورواه مسلم وأبو داود والنسائى عنه أيضًا.

(٢) رواه مسلم. (٣) الحج: ٣٧.

يكتب لأبى موسى الاشعرى قائلا: من خلصت نيته كفاه الله تعالى مابينه وبين الناس. وكان معروف الكرخى[١] يضرب نفسه ويقول: أخلصى تتخلصى! وقال ذو النون المصرى[٢]: ثلاث من علامات الاخلاص: (١) استواء المدح والذم من العامة (٢) نسيان رؤية الأعمال فى الأعمال[٣] اقتضاء ثواب العمل فى الاخرة.

وقال السيد الجليل أبو محمد سهل بن عبدالله التسترى[٣]: «نظر الأكياس فى تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه فى سر وعلانية لله تعالى لايمازجه نفس ولا هوى ولادنيا».

وقال بعضهم: فى إخلاص ساعة نجاه الأبد، ولكن الإخلاص عزيز وقيل: العلم بذر، والعمل زرع وماؤه الاخلاص.

وقال الجنيد[٤]: ان لله عبادا عقلوا، فلما عقلوا عملوا، فلما عملوا، أخلصوا، فاستدعاهم، الإخلاص الى البر أجمع».

---

(١) معروف بن فيروز الكرخى: احد اعلام الزهاد والمتصوفين، ولابن الجوزى كتاب فى أخباره وآدابه، توفى ببغداد سنة ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م..

(٢) هو الامام الصوفى المشهور أبو الفيض ذو النون ثوبان بن ابراهيم المصرى وكان ابوه نوبيا، وكان رضى الله عنه رجلا نحيفا تعلوه حمره، وليس بأبيض اللحية، ومن كلامه: يامعشر المريدين، من اراد منكم الطريق فليلق العلماء باظهار الجهل، والزهاد باظهار الرغبة، والعارفين بالصمت. وسئل رضى الله عنه عن السفلة من الخلق: من هم؟ فقال: من لايعرف الطريق الى الله ولايتعرفه. وكان يقول: سيأتى على الناس زمان تكون الدولة «الغلبة» فيه للحمقى على الاكياس. ومناقبه مشهورة وعطاته وكلماته الحكيمه مستفيضة، وقد توفى سنة خمس واربعين ومائتين، ولما توفى رضى الله عنه بالجيزة حمل فى قارب مخافة ان يقع الجسر من كثره الناس فى جنازته قيل: ورأى الناس طيور خضرا ترفرف على جنازته حتى وصلت قبره.

(٣) ابو محمد سهل بن عبدالله التسترى (بضم ثم سكون ثم فتح) اشتهر بالورع وكثرة العبادة، توفى سنة ٣٨٣هـ.

(٤) الجنيد: ابو القاسم البغدادى الصوفى: تاج العارفين وسيد طائفة الصوفية وشيخهم، وابوه محمد الزجاج القواريرى كان يبيع الزجاج، فلذا يقال له القواريرى، أصله من نهاوند، وولد ونشأ بالعراق، وكان فقيها وهو اول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد، قال عنه ابن الاثير: امام الدنيا فى زمانه، وكان من كبار ائمة القوم وسادتهم وكلامه مقبول على جميع الالسنة، وحج على قدميه ثلاثين حجه، ومن كلامه: ان الله يخلص الى القلوب من بره على حسب ماتخلص اليه القلورب فمن ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك؟ وسئل عن المعرفة أهى كسب أم ضرورة فقال رضى الله عنه: رايت الاشياء تدرك بشيئين فما كان منها حاضرا فبالحسِّ، وما كان منها غائبا فبالدلبل، ولما كان الحق تعالى غير بادلحوا اسنا كانت معرفته بالدليل والفحص، اذ كنا لانعلم الغيب والغائب إلا بالدليل ولانعلم الحاضر الا بالحس. وكان يقول: من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله عليه سبيعن بابا من التوفيق. ومن فتح على نفسه باب نية سيئة فتح الله عليه سبعين بابا من الخذلان من حيث لايشعر! وكان يقول: ان للعلم ثمنا فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه، وقيل له: وماثمنه؟ قال: وضعه عند من يحسن حمله ولا يضيعه. توفى عام ٢٩٧ هـ.

رزقنا الله وإياك نعمة الاخلاص وحلاوة التقوى، وجنبنا شهوات النفس وجواءب الدنيا، وأنار لنا السبيل باليقين والهدى، وحفظنا من زلات الرياء والنفاق، وغفر لنا مالا نعلم وما لانستطيع من حظوظ النفس ودواعيها، انه نعم المولى ونعم النصير.

والسؤال الخاشع لله أولى من الصوت الجهير قال تعالى: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين).

ومعنى الآية: ادعوا ربكم سبحانه خاشعين له مسِّرين في الدعاء.

وعلى هذه الصوة الكريمة المشرقة كان صحابة رسول الله ﷺ، ولذلك يقول الحسن رضى الله عنه: ان الرجل كان يجمع القرآن، ومايشعر به جاره، يفقه الكثير ومايشعر به الناس، ويصلى الصلاة الطويلة فى ليلة وعنده لزائرون ومايشعرون به، ولقد أدركنا أقواما كانوا يبالغون فى إخفاء الأعمال، ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ومايسمع صوتهم إلا همساً».

وقال ابن جرير «تضرعا وخفية» تضرعا تذللا واستكانه لطاعته، وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارا ومراءا. وقد أثنى الله على رسوله زكريا عليه السلام وقد رضى فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣﴾[1].

وقوله: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].

- ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

صدر الآية﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾[4].

---

(١) مريم: ٣.

(٢) الاعراف: ٥٥.

(٣) الاعراف: ٥٦.

(٤) الأعراف: ٥٦.

ينهى تعالى عن الإفساد فى الارض وما أضره بعد الاصلاح، فانه اذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الافساد عد ذلك كان أضر ما يكون على العباد فنهى الله تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع اليه، والتذلل لديه فقال وادعوه خوفا وطمعا أى خوفا مما عنده من وبيل العقاب، وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال: ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ أى أن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون اوامره، ويتركون زواجره ونواهيه، كما قال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ﴾[1].

الآية، وقال قريب ولم يقل قريبه لانه ضمّن الرحمة معنى الثواب، أو لانها مضافة الى الله، فلهذا قال: ﴿ **اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[2].

وقال مطر الوراق: استنجزوا موعود الله بطاعته، فانه قضى أن رحمته قريب من المحسنين»[3].

والامر بالدعاء فى هاتين الآيتين «الثانية والثالثة للوجوب لا للندب وقد اوجبت على الداعى صفات أربع يجب ان يتحلى بها فى دعائه وهى: التضرع والخفية والخوف والطمع وقد بيناها فيما سبق.

وفى الآية الرابعة يقول الله تعالى ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)** ﴾[4].

وهذه الآية وان كانت فى الظاهر خطابا مع الرسول إلا أنها عامة فى حق المكلفين كما انها عُطفت على ماقبلها وهو قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[5] فهى جارية مجرى الأمر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بأن يجهر

---

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) الأعراف: ٥٦.

(٣) رواه ابن أبى حاتم.

(٤) الأعراف: ٢٠٦.

(٥) الأعراف: ٢٠٤.

بالقرآن ليسُمع المسلمين، وإنما أُمر بذلك ليؤدى رسالة ربه، ويبلغ وحيه - ثم جاءت آيتنا هذه بعدها لتبين مابه تكمل النفس البشرية عند خلوتها، وما يزكيها عند خالقها فى مقام الذكر والمناجاة، فأمر بالتضرّع والخفية ليكون العمل أبعد عن الرياء فيتحقق الهدف المنشود وهو الحصول على رضا الله تعالى.

وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء فى بعض الأسفار فقال لهم النبى ﷺ «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون اصم ولا غائبا ان الذى تدعونه سميع قريب أقرب الى احدكم من عنق رحلته».

وذكْر الله جل جلاله له فوائد عظيمة لا يحصيها الا ملْهمه جل شأنه، روى الإمام أحمد فى مسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ماعمل آدمى قط عملا انجى له من عذاب الله، من ذكر الله عز وجل ، وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ: الا اخبركم بخير اعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: ذكر الله عز وجل»(١)

وقال الامام ابن القيم: وفى الذكر أكثر من مائة فائدة نذكر منها

١- أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

٢- انه يرضى الرحمن عز وجل.

٣- انه يزيل الهم والغم عن القلب

٤- انه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

٥- انه يقوى القلب والبدن.

٦- انه ينور الوجه والقلب

---

(١) رواه الامام احمد باسناد حسنوالترمذى وابن ماجه والحاكم: وقال صحيح الاسناد والبيهقى عن ابن الدرداء.

٧- انه يجلب الرزق.

٨- انه يكسو الذاكر المهابه والحلاوة والنضرة.

٩- انه يورث المحبة التى هى روح الاسلام، وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة.

١٠- انه يورث المراقبة حتى يدخله فى باب الاحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر الى مقام الاحسان، كما لاسبيل للقاعد الى الوصول الى البيت.

١١- انه يورث الإنابة، وهى الرجوع الى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع اليه بذكره، او رثة ذلك رجوعه اليه فى كل احواله، فيبقى الله عز وجل ملجأه ومفزعه وملاذه ومعاذه، وقبله، ومهربه عند النوازل والبلايا... (١)

وقد اهتم قوم بالمفاضلة بين الذكر والدعاء.. والحقيقة ان الدعاء ماهو الا ذكر، والذكر والدعاء يتفقان فى استعمال اللسان، والحديث القدسى «انا مع عبدى حيثما ذكرنى وتحركت بى شفتاه»(٢) ولكنهما يختلفان فى أن الذكر قد يقبله الله وان لم يستحضر الذاكرمعناه، بل يكفيه ان لايقصد من الذاكر سواه، أما الدعاء فلا يستجاب إلا بحضور القلب للحديث «ادعو الله وانتم موقنون بالاجابة، واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل لاه»(٣)

والذكر الكامل ما كان باللسان واستحضار المعنى، والدعاء الصحيح فيه هذا وزيادة، وهى اعلان الافتقار الى الله الملك الوهاب.

يقول ابن حجر العسقلانى(٤): الدعاء ذكر الله وزيادة، وكل حديث فى فضل الذكر يصدق عليه والله اعلم.

وذكر القرأن للتضرع فى آيه الدعاء والذكر دليل على أن التضرع لب الدعاء كما

---

(١) مختصرا عن «الوابل الصيب» لابن القيم فارجع اليه فانه يعينك على ذكر الله

(٢) رواه البخارى فى كتاب التوحيد عن أبى هريره.

(٣) رواه الترمذى والحاكم عن ابى هريرة رضى الله عنه حسن.

(٤) بن حجر العسقلانى: من اعلام المحدثين والمرخين، ولد بالقاهرة وعاش بها حتى توفى عام ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٩م. وقد بلغت مؤلفاته المائة، من أشهرها فتح البارى بشرح صحيح البخارى، والاصابة فى تميز الصحابة.

انه لب الذكر وروحهما النابض وقلبهما، وخص الدعاء بالخفية لما بيّناه سابقا من الفوائد سالفة الذكر، وخص الذكر بالخفية لحاجة الذكر الى الخوف لان الذكر يستلزم المحبة ويثمرها، والمحبة الخالية من الخوف لاتنفع صاحبها بل أحيانا تضره لأنها توجب الدلال والانبساط، وربما آلت بكثير من الناس المغرورين الى استغنائهم بها عن الواجبات قائلين ان المقصود من العبادات انما هو عبادة القلب واقباله على الله، ومحبته له وتوحيده، فاذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل، لهذا نقول: بأن من سلك هذا الطريق انسلخ عن الاسلام والسبب فى ذلك هو خلو محبة العبد لمولاه عن الخوف، ولهذا قال بعض السلف ونسب مثله بتصرف فى اللفظ عن مكحول النسفى رحمه الله تعالى:

* من عبدالله بالحب وحده فهو زنديق.

* ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى[١].

* ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ[٢].

* ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة فى قوله تعالى:

« أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محظورا»[٣].

فابتعاء الوسيلة المراد منه الحصول على محبة الله تعالى الداعية الى القرب منه والتقرب اليه، ثم ذكرت الآية بعد المحبة الرجاء والخوف ـ قال رسول الله ﷺ «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»، وقال بعض الصالحين: لفظ الرب يوجب الرجاء، ولفظ التضرع والخفية يوجب الخوف فلما وقع الابتداء بما يوجب الرجاء علمنا ان واجب الرجاء أقوى.

وقال بعض المتصوفه: للمكاشفات مقامان:

* مكاشفة الجمال فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا

* ومكاشفة الجلال فاذا كوشفوا بالجلال طاشوا

---

(١) نسبة إلى طائفة من الخوارج.

(٢) وهى من الفرق الخارجة عن الله والتى تطلب الرجاء من غير عمل.

(٣) كتاب قوت القلوب: ص ٤٣٣.

آراء العلماء فى الرجاء والخوف(١)

معنى الرجاء: هو اسم لقوة الطمع فى الشىء

والخوف: اسم لقوة الحذَر من الشىء

آراء العلماء فى الرجاء

١- انشراح الصدر بأعمال البر، وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انتجاز الموعود وتقربا الى الرحيم الودود.

٢- القنوت فى ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافى الجنوب عن المضاجع، لما وقر فى القلوب من المخاوف.

٣- الأنس بالله تعالى فى الخلوات، ومن الأنس به الانس بالعلماء والتقرب من الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسه أهل الخير وسعة الصدر والروح عندهم.

٤- سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الاعمال، والمسارعة إليها والحث لاهلها عليها والحزن على فوتها والفرج بدركها.

٥- التلذذ بدوام حسن الإقبال والتنعم بمناجاة ذى الجلال، وحسن الإصغاء إلى محاولة التقرب والتلطف فى التملق للحبيب.

٦-شدة الشوق الى ماشوق اليه الكريم وسرعة التنافس فى كل نفيس ندب اليه الرحيم.

---

(١) كتاب قوت القلوب: ص ٤٢٣.

٧- تحسين الاخلاق مع الخلق وجميل الصبر عليهم وحسن الصفح ولطيف المداراة لهم تقريبا الى الله عز وجل بذلك وتخلقا بأخلاقه رجاء ثوابه وطمعا فى تنجيز وعده واتباعا لسنة رسوله ﷺ.

٨- ترك الاهواء الرديئة، والشهوات المطغية، ويحتسب فى ذلك على الله نفيس الذخائر العالية.

٩- افتعال الطاعات وحسن الموافقات، ينوى بها ويسأل مولاه الكريم العظيم الرغائب وجليل المواهب، لما وهب من حسن الظن به.

آراء العلما فى الخوف

الخشية حال من مقام الخوف، والخوف اسم لحقيقة التقوى، والتقوى معنى جامع للعبادة، وهى رحمة الله تعالى للاولين والاخرين ـ الخوف اسم جامع لحقيقة الإيمان وهو علم الوجود والاتقان وهو سبب اجتناب كل نهى ومفتاح كل أمر وليس شئ يحرق النفوس فيزيل اثار افاتها إلا مقام الخوف. قال ابو محمد سهل رحمه الله تعالى: كمال الإيمان بالعلم، وكمال العلم بالخوف وقال مرة: العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة والورع حال من الخوف والخوف من أسماء المعانى فوجوده بانتفاء ضده وهو الأمن وثمرة الخوف العلم بالله عز وجل والحياء من الله عز وجل وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة فقد قيل انما يوزن من الاعمال خواتمها «وقيل اعلى المخاوف خوف السوابق والخواتم.

ومن المخاوف:

١- خوف النفاق.

٢- خوف سلب الايمان.

٣- خوف قطع المزيد من علم الإيمان.

٤- قال سهل الخوف مباينة للنهى والخشية الورع والاشفاق الزهد وقال دخول الخوف على الجاهل يدعوه الى العلم، ودخول الخوف على العالم يدعوه الى الزهد، ودخول الخوف على العامل يدعوه الى الإخلاص.

طبقات الخوف: الخوف اسم جاع لمقامات الخائفين وهو يشمل على خمس طبقات، فى كل طبقة ثلاث مقامات.

فالطبقة الاولى: هى التقوى ومقاماتها الثلاث هى المتقون والصالحون والعاملون.

والطبقة الثانية: هى الحذر ومقاماتها الثلاث هى الزاهدون والورعون والخاشعون.

والطبقة الثالثة: هى الخشية ومقاماتها الثلاث هى هى العاملون والعابدون والمحسنون

والطبقة الرابعة: هى الوجل ومقاماتها الثلاث هى الذاكرون والمخبتون والعارفون.

الطبقة الخامسة: هى الاشفاق ومقاماتها الثلاث هى الشهداء والمحبون وخصوص المقربين

وقال يحيى بن معاذ(١): من عبدالله تعالى بالخوف غرق فى بحار الاذكار، ومن عبده بالرجاء دون الخوف تاه فى مفاوز الاغترار، ومن عبده بالخوف والرجاء معا استقام فى محجة الأذكار وذلك من طرائفه.

(١) يحى بن معاذ بن جعفر الرازى، واعظ زاهد، لم يكن له نظير فى وقته، أقام ببلخ، ومات فى نيسابور عام ٢٥٨هـ (الأعلام).

الفصل الخامس

الأمر بالدعاء بأسمائه الحسنى

المبحث الأول

قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾(١).

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعا وتسعين اسما مائة الا واحدا، من احصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر، وهو الله الذى لا إله إلا هو ، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلى، الكبير، الحفيظ، المغيث الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوى، المتين، الولى، الحميد، المحصى، المبدئ، المعيد، المحيى المميت، الحى، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الاخر، الظاهر، الباطن، الوالى، المتعال، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والاكرام، المقسط، الجامع، الغنى، المغنى، المانع، الضار، النافع، النور، الهادى، البديع، الباقى، الوارث، الرشيد، الصبور»(٢)

هذا حديث البخارى ومسلم الى قوله: «يحب الوتر» ومابعده حديث حسن رواه الترمذى وغيره، ومعنى أحصاها: حفظها، هكذا فسره البخارى والاكثرون، ويؤيده فى رواية الصحيح «من حفظها دخل الجنة»، وقيل معناه: من عرف معانيها وآمن بها، وقيل معناه: من أطاقها بحسن الرعاية لها وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها، والله أعلم.

---

(١) الاعراف: ١٨٠.

(٢) رواه الترمذى وابن حبان والحاكم والبيهقى

وقد ذكرت جملة «ولله الاسماء الحسنى» فى القرآن الكريم أربع مرات فى أربع سور هى:

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِه..﴾[1]

وقوله تعالى﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[4].

ويلاحظ فيها القصر البلاغى بالتقديم والتأخير فقد قصرت الأسماء الحسنى على الله تعالى بمعنى أنه لاتوجد أسماء حسنى غيرها، وبمعنى أنها خاصة بالله تعالى دون سواه، وهذا اخبار منه تعالى يصدقه البرهان العقلى ويقبله.. لأن الموجود قسمان

١- واجب الوجود لذاته وهو الله تعالى.

٢- وممكن الوجود لذاته وهو ماسوى الله تعالى، وكل ماهو ممكن الوجود لذاته محتاج فى ماهيته، وفى وجوده، وفى جميع صفاته الحقيقية والسلبية الى واجب الوجود لذاته، والا لبقى فى عدمه المحض وسلبه الصرف.

وتدل الآية على أن أسماء الله تعالى وصفاته ليست إلا له تعالى، وهذا يقتضى كونها موصوفة بالحسن والكمال، أما الالفاظ التى لايظهر فيها الحسن والكمال مثل الشيء والوجود والمذكور والذات والحقيقة والمعلوم فهذه الألفاظ وماشابهها ان قصد من إطلاقها على الله تعالى أنه تعالى فى نفسه ذات وحقيقة ومعلوم ومذكور وشيء وموجود فهذا امر جائز وان قصد بها النداء لايجوز لأننا لم نسمع أحدا من السلف نادى الله بها ودعا فقال: ياذات ياحقيقة يامعلوم. يقول ابن عربى[5]: «فكل اسم من أسماء الله تعالى دال على معنى معين. والاسم لايحسن إلا بدلالته على صفات

(١) الأعراف: ١٨٠.. (٢) الإسراء: ١٠٩.

(٣) طه: ٨ (٤) الحشر: ٢٤.

(٥) تفسير القرآن الكريم لابن عربى المتوفى سنة ٦٣٨هـ.

المدح، ونعوت الجلال: فكل اسم دل على هذه المعانى كان اسما حسنا فوجب جواز اطلاقه فى حق الله تعالى تمسكا بقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾[1].

كذلك تدل الآية على أن أسماء الله توقيفية أى يجب التوقف على الأسماء التى سمى الله بها نفسه، أو ذكرها رسوله الكريم، أو دل عليها الاجماع. وقال صاحب الجوهرة[2]

واختير أن أسماه توقيفية   كذلك الصفات فاحفظ السمعية

وقال شارحها: ماحفظ الأسماء الثابتة بالسمع حقيقة كالواردة فى الكتاب والسنة، او الثابتة بالسمع حكما كالثابتة بالاجماع كالصانع والموجود والواجب الوجود والقديم. وما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لاتقولوا الطبيب، ولكن قولوا الرفيق، فان الطبيب هو الله» ومعنى هذا أن المعالج للمريض من البشر، وان كان حاذقا مقدّما فى صناعته، فانه لايقدم على معالجته إلا عاملا بالأغلب، فهو ربما يصيب، وربما يخطئ، فاسم الرفيق إذًا أولى به من اسم الطبيب، لأنه يرفق بالعليل فيحميه مما يخشى ألا يحمله بدنه، ويداويه.

أما الطبيب فهو العالم بحقيقة الداء والدواء، القادر على الصحة والشفاء وليس بهذه الصفة إلا الخالق البارئ المصور، فلا ينبغى أن يسمى بهذا الاسم أحد سواه. ومع ذلك فان من آداب الدعاء أن يقال: اللهم انت المصح والمداوى والطبيب ونحو ذلك، ولا يقال: ياطبيب كما يقال يارحيم وياكريم.

ومن الأسماء الحسنى «الشافى» قال تعالى «وإذا مرضت فهو يشفين»[3] وصح عن رسول الله ﷺ قوله «اللهم رب الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافى، لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لايغادر سقما»[4]

---

(١) الاعراف: ١٨٠.

(٢) صاحب الجوهرة: هو ابراهيم اللقانى المالكى «المتوفى: ١٠٤١ هـ» وجوهرة التوحيد أرجوزة ألفها اللقانى فى علم التوحيد لها شروح وتلخيصات كثيرة.

(٣) الشعراء: ٨٠.

(٤) رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبى ﷺ يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول..».

ومن الأسماء البديعة « الحنان»، «المنان»، «الواقى».

قال تعالى: ﴿ .. مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[2]

أما قوله تعالى «فادعوه بها» فهو أمر من الله تعالى يظهر فيهالوجوب لا الندب أى على العبد إذا أراد أن يتصل بربه داعيا ومناجيا ومستغيثا أن يذكره بأسمائه الحسنى غير أن دعاء العبد ربه لابد وان يكون مسبوقا بعمله بوحدانيته، وكذا معرفته بتلك الأسماء الحسنى ومعانيها وثبوتها له تعالى، ثم أن لتلك الدعوة شواهد كثيرة مذكورة بالاستقصاء فى كتاب المنهاج لأبى عبدالله الحليمى[3]، ولكن أحسن ما فيه من شرائط أن يكون الداعى مستحضرا لأمرين اثنين وهما:

١- عز الربوبية

٢- ذلة العبودية

وأما إدا لم يكن كذلك كان قليل الفائدة.

ثم ختمت الآية بقوله تعالى: «وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون».

والإلحاد فى أسمائه، هو الميل بها عما شرعه الله، ويكون بواحد من ثلاثة: أحدهما: إطلاق أسمائه على غيره تعالى، كما اشتق الكفار أو ثانهم اللات من الله والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وكان مسيلمة الكذاب لقب نفسه الرحمن، وكذلك كل من جرى مجراهم، وسار على دربهم مخالف عقيدة التوحيد.

ثانيها: الزيادة فى أسمائه الحسنى، عما ورد فى كتاب الله وسنة رسول الله، كما يفعل بعض الجهلاء الذين يخترعون أدعية أو ذكرا يسمون فيه الله تعالى بغير أسمائه

---

(١) الرعد: ٣٧.

(٢) الطور: ٢٧.

(٣) الحليمى: هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى الجرجانى فقيه شافعى كان رئيس أهل الحديث فى ما وراء النهر، وكتابه «المنهاج فى شعب الايمان»: توفى عام ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م.

المشروعه، وذكر الله بالسريانية أو بكهيعص أو غيرها مما لم يشرعه الله ورسوله، من هذا القبيل تماما. فلا ينبغى أن نسمح لأنفسنا بهذا اللون من الإلحاد فى أسمائه الشريفة.

ثالثها: النقص فى أسمائه تعالى، بحذف ما علم أنه منها بالكتاب أو السنه.

غير أنه ينبغى الاشارة إلى مايلى: لايلزم من اطلاق اسم على الله تعالى جواز إطلاق جميع مايشتق منه. فلفظ علم ورد فى حق الله تعالى فى آيات كثيرة منها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[1]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[2] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[3]، ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾[4]

غير أنه لايجوز أن نقول فى حق الله تعالى: يا معلم يامحب كما لا يجوز أن يقال فى حق آدم عليه السلام أنه كان عاصيا غاويا!

كما لايجوز أن يقال فى حق موسى عليه السلام أنه كان أجيرا وإنما يقتصر فى ذلك على الوارد فقط.

ويعلمنا رسول الله ﷺ كيفية الدعاء بأسمائه الحسنى فى قوله «الظوابيا ذا الجلال والاكرام»[5]

وكان رسول الله ﷺ يستفتح دعاءه: «سبحان ربى العلى الأعلى والوهاب»[6].

وقال النبى ﷺ: «الزموا هذا الدعاء اللهم إنى أسألك باسمك الأعظم، ورضوانك الأكبر فإنه اسم من أسمائه»[7].

قال الإمام ابن كثير: «ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصره فى تسعة وتسعين بدليل ماروراه الإمام أحمد فى مسنده عن عبدالله بن مسعود عن رسول

---

(١) البقرة: ٣١. (٢) النساء: ١١٣.

(٣) الكهف: ٦٥. (٤) الرحمن: ١.

(٥) رواه الترمذى عن أنس، الظو أى ألحو.

(٦) رواه احمد والحاكم عن مسلمة بن الأكوع.

(٧) رواه الطبرانى عن حمزة بن عبدالمطلب.

الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولاحزن فقال: اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فى فى حكمك، عدل فى قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحا قالوا يارسول الله: ينبغى لنا ان نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: أجل، ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن[1]

واخرج أبو حاتم بن حبان البستى فى صحيحه بمثله، وهو حديث صحيح، وينبغى أن يقوله المسلم إذا أصابه هم أو حزن.

(١) رواه احمد ١/ ٤٥٢ وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود وصححة جمع من الائمة.

المبحث الثانى

معنى أسماء الله الحسنى مختصرا

آثرنا هنا أن نذكر أسماء الله الحسنى مع إيضاح بسيط لمعانيها حتى تتم الفائدة من فضله. للذاكر لها، وللسائل ربه بها، فاللسان ينطق بالاسم، والقلب يستحضر المعنى، وذلك فيه خير كثير.

الله: علم على إلا له المعبود بحق، وهو الاسم العظيم الجامع لجميع صفات الكمال الإلهية، وهو دال على الذات الجامعة لجميع معانى أسمائه الحسنى، فهو أكبر الأسماء وأجمعها للمعانى، وأى اسم بعد ذلك يدل على معناه تطابقا، ويدل على باقى الأسماء التزاما.

والذى لا إله إلا هو[1] صفته. قال تعالى ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[2]

وقد ذكر الاسم «الله» سبحانه وتعالى ألفين وستمائة وتسعة وتسعين مرة فى القرآن، وزيادة ذكر «الله» مرة فى بسم الله الرحيم باعتبار البسملة آية فى فاتحة الكتاب.

الرحمن: من الأسماء الحسنى مختص بالله سبحانه لايجوز أن يسمى به غيره وهو يجرى مجرى الصفة له تعالى، نحو «بسم الله الرحمن الرحيم» وقد يذكر موصوفا، كما قال الله ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[3]

والرحمن هو الاسم الدال على أن الرحمة قائمة به سبحانه وتعالى، ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لاغاية بعدها فى الرحمة، والتى لانظير له فيها، ولذلك لايثنى ولايجمع.

---

(١) لفظ هو ليس من أسماء الله عند الجمهور، ونقل الخطيب الرازى انه اسم فى غاية الشرف والجلال له سبحانه وتعالى وان لم يكن من الأسماء الحسنى التسعة والتسعين قال ذلك الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية السابق رحمة الله فى كتابه «أسماء الله الحسنى».

(٢) محمد: ١٩

(٣) طه: ٥

والرحمن صيغة تعظيم من الرحمة كالرحيم. لكن الرحمن من زيادة المعنى وأكبر تعظيما، لان صيغة الرحمن تتناول جلائل النعم وعامها وأصولها.

واسم الرحمن قريب من اسم الله الجارى مجرى العلم وان كان اسم الرحمن مشتقا من الرحمة، أى أن الرحمن اسم وصفة لاينافى أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالامرين جميعا.

ولم أر اسما من اسماء الله الحسنى حل محل اسم الجلالة، فى القرآن الكريم، أكثر من هذا الاسم، وذكر اسم الرحمن سبعا وخمسين مرة فى الكتاب الكريم.

قال الحليمى رحمه الله فى معنى الرحمن أنه المزيح للعلل.

وفى الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته»[١].

قال الخطابى[٢] رحمه الله: فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى أرزاقهم، وأسباب معايشهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح.

وذهب الإمام أبو حامد بن محمد الغزالى الطوسى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ، إلى أن اسم «الرحمن» قريب من اسم الله الجارى مجرى العلم، وإن كان مشتقا من الرحمة قطعا، فبالأحرى أن يكون المفهوم من الرحمن نوعا من الرحمة أبعد من مقدورات العباد، فالرحمن هو العطوف على العباد:

(أولا): بالايجاد.

(ثانيا): بالهداية إلى الايمان وأسباب السعادة.

(ثالثا): بالإسعاد فى الآخرة.

(رابعا): بالنظر الى وجهه الكريم.

---

(١) الخطابى: هو أبو إسلام البستى، أحد كبار الفقهاء فى القرن الرابع الهجرى. توفى عام ٣٨٨هـ.
(٢) رواهاالبيهقى عن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه.

والرحمن هو الخالق الذى يريد الخير لعباده فأنعم علينا بكتابه المبين ﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ ﴾(1)

الرحيم: من أسماء الله تعالى، وهو مشتق من الرحمة.. ومعنى الرحمة تخليص من رحمهم الله من الضر والضلال، والانعام عليهم بالهدى والمغفرة والإيمان. والرحيم على وزن فعيل بمعنى فاعل أى راحم وبناء فعيل للمبالغة كعالم وعليم، وقادر وقدير، أى أن الرحيم صيغة تعظيم من الرحمة، ويقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ ﴾(2) اللهم إنى أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الذى إذا استرحمت به رحمت».

وقد ذكر اسم «الرحيم سبحانه مائة واربع عشرة مرة بعدد سور القرآن العظيم.

الملك: صاحب الملك، ولاسلطان فيه لغيره قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾(3).

واليد مجاز عن القدرة والاحاطة والملك: فالذى يملك السمع والأبصار والأفئدة والموت والحياة والنشور والشفاعة والرحمة والرزق، هو الله، ونحن لا نملك مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض. من أجل ذلك فلا مُلْك إلا لله، ولامَلِك إلا الله، مالك المُلْك لاشريك له.. وفى روعة دعاء عرفه يلبى حجاج بيته الكريم ومعهم كل المسلمين فى أنحاء المعمورة.

لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك.. ذُكر الملك فى بضع آيات من القرآن (٦ مرات).

القدوس: سبحانه هو الطاهر المنزه عن كل صفة لاتليق به (ذكر مرتين)

قالت عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول فى ركوعه «سبوح قدوس رب الملائكة والروح».

---

(١) الرحمن: ١- ٣

(٢) لاحزاب: ٤٣.

(٣) الملك: ١.

السلام: الذى سلم من كل نقص، يهب السلام لعباده. وكان رسول الله ﷺ اذا أراد أن ينصرف من صلاته استغفر ثلاث مرات ثم قال «اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام..».

اللهم انت السلام ومنك السلام، واليك يرجع السلام فحينا ربنا بالسلام، وادخلنا دارك دار السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام.

المؤمن: المصدق رسله، ويصدق عباده وعده، ويؤمنهم من عذاب النار.

المهيمن: سبحان المهيمن بعلمه، وكمال قدرته على كل شىء، والمهيمن هو الرقيب على كل شىء، وهو الحافظ لكل شىء، والخاضع لسلطانه كل شىء وهو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم. والمهيمن هو الشاهد المطلع على أفعال مخلوقاته قال أهل اللغة: الهيمنة: القيام على الشىء والرعاية له، والمهيمن: الشاهد وهو من أمن غيره من الخوف، وقيل المهيمن: هو الشهيد لنفسه بالوحدانية.. قال أبو سليمان: فالله عز وجل المهيمن أى الشاهد على خلقه بما يكون منم من قول وفعل، فسبحانه المهيمن الذى لايغيب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وقد ذكر الاسم المحيط «المهيمن» مرة واحدة فى الكتاب المبين.

العزيز: ذو العزة أى القوة فلا يغلبه أحد، والكل محتاج إليه، وقد ذكر (٨٨) مرة فى القرآن الكريم.

الجبار: قهر الكل على مايريد، المصلح لجميع خلقه، والجبار هو العالى الذى لاينال، قال ابن الأنبارى: الجبار فى صفة الله تعالى الذى لاينال، ومنه قيل للنخلة التى فاتت يد المتناول جبارة فسبحان الجبار الذى لاتصل العقول إلى الإحاطة بجلاله. وقال ابن عباس: الجبار هو الملك العظيم وقد ذكر «الجبار المتكبر» سبحانه مرة واحدة فى الكتاب العزيز.

المتكبر: من الكبرياء الذى هو العظمة، والعظمة والكبرياء لله. جاء فى الحديث الصحيح عن رب العزة: «الكبرياء ردائى، والعظمة ازارى، فمن نازعنى فى احداهما قصمته» أى أهلكته».

الخالق: موجد الأشياء على مقتضى حكمته وإرادته.

البارئ: جعل كل شيء خلقه على غير مثال وله ما يميزه عن غيره. ذكر البارئ تعالى مرتين فى القرآن الكريم.

المصور: صور الموجودات على صور مختلفة حسب الحكمة والمصلحة. قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[1]

الغفار: كثير المغفرة لذنوب عباده أو يتجاوز عن عقوبتها. والغفور والغفران فى اللغة معناهما الستر فسبحان الغفار الذى أظهر الجميل وستر القبيح.

والذنوب من جملة القبائح التى سترها الله تعالى، وذلك لأن الله تعالى هو الذى يستر الذنوب. جاء فى كتاب الأسماء والصفات عن هذا الاسم الكريم: الغفار هو المبالغ فى الستر فلا يشهر الذنب لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. وقيل لصحابى: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى «النجوى يوم القيامة»؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الله عز وجل يدنى من المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا؟ اتعرف ذنب كذا؟ حتى اذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك، قال فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم.

قال: فيعطى كتاب حسناته: هذا للمؤمنين أما الكفار والمنافقون فلهم شأن آخر وقد ذكر اسم «الغفار فى التنزيل الحكيم «خمس مرات».

القهار: القاهر فوق مخلوقاته، الغالب على أمره «ذكر ٦ مرات فى القرآن الكريم»

الوهاب: كثير العطايا دون مقابل، والهبة: العطية الخالية من العوض والغرض، فاذا كثرت سمى صاحبها وهابا، ولا يكون حقيقة إلا الله تعالى. ويقال للمولود له: شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب. ويقال: اللهم هب لى الحق هو الذى يملك مايعطى، ولا مالك فى الواقع سوى الله. وقد ذكر الوهاب سبحانه ثلاث مرات فى الكتاب الحكيم.

---

(١) آل عمران: ٦.

الرزاق: خلق للأرواح والأبدان أرزاقها وتَفضَّل بإيصالها، وسبب أسبابها. . والرزاق هو الذى خلق الرزق، والمرزوق وخلق أسباب التمتع بهذا الرزق، والرزق على قسمين:

١- ظاهر للأبدان كالأطعمة.

٢- باطن للقلوب كالعلم، وهو سبحانه خالق الرزقين. روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «أمر الرزق بطلبك، وأمرت بطلب الجنة». اللهم يارزاق انا نسألك رضاك والجنة، فلاعيش إلا عيش الآخرة. قال القشيرى: من عرف أن الله هو الرزاق، أفردة بالقصد اليه. وقد ذكر الرزاق، سبحانه وتعالى مرة واحدة فى القرآن الكريم.

الفتاح: يفتح خزائن رحمته على عباده، وقيل بمعنى «الحاكم بين الخلائق».

العليم: يحيط علمه بكل معلوم وقد ذكر ١٥٤ مرة فى كتاب الله الكريم.

القابض: يمسك الرزق على من يشاء، وبيده زمام كل شىء.

الباسط: الذى يوسع على من يشاء. قال تعالى ﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ**﴾(١).

الخافض: الذى يخفض درجات من يشاء حقا وعدلا.

الرافع: الذى يرفع درجات من يشاء حقا وعدلا.

المعز: يعز أولياءه بعز طاعته، ويجعل من يشاء عزيزا.

المذل: يذل من يشاء، ويذل أولياء الشيطان.

السميع: المدرك لكل مسموع، لايشغله نداء عن نداء بكل اللغات. وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الأربع: من علم لاينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لاتشبع، ومن دعاء لايسمع» وقد ذكر «السميع» خمسا وأربعين

---

(١) الرعد: ٢٦.

مرة فى الكتاب العربى المبين، فهو السميع العليم، وهو السميع البصير، وهو سميع الدعاء وهو سميع قريب.

البصير: يبصر ما فى السموات والأرض ومابينهما وما تحت الثرى، وقد ذكر «البصير» سبحانه واحد واربعين مرة فى كتاب الله العزيز.

الحكم: الذى يحكم بين عباده ويبين لكل نفس ما عملت من خير وشر وقيل فى معنى الحكم: هو الذى حكم على القلوب بالرضا وعلى النفوس بالانقياد والطاعة. وقد ذكر «الحكم» سبحانه مرة واحدة فى الذكر الحكيم.

العدل: سبحان الله الحكم العدل، والعدل فى اللغة مصدر أقيم مقام الاسم للزيادة، أى البالغ فى العدل، أى الذى لايظلم أحدا. فسبحان الكريم العفو ذى العدل، الذى قد ملأ كل شىء عدله

اللطيف: العليم بدقائق الأمور، الذى لطفت أفعاله، لاتدركه الحواس. وقيل عن اللطيف هو البر بعباده الذى يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لايحتسبون.

الخبير: العالم العارف ببواطن الأمور وحقائقها، ولايخفى عليه شىء. وقد ذكر «الخبير» تعالى خمسا وأربعين مرة فى الكتاب الكريم.

الحليم: سبحان الحليم ذى الصفح والأناة، الذى لايحبس أنعامه، وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكنه يرزق العاصى كما يرزق المطيع، ولا يستفزه الغضب فيعجل بالعقوبة أو الانتقام.. وكيف يعجل من لايخاف الفوت؟!

وسبحان الله الحليم الذى يمهل العاصى فان تاب قبل توبته، وان أصَّر أخَّر العقاب عنه لعلمه، تعالى، انه لايخرج من ملكوته. وهذا دعاء للأنابة: «يا من عصمت المعصومين، ويا من حفظت المحفوظين، ويا من أصلحت الصالحين، إن عصمتنى تجدنى معصوما، وإن أهملتنى تجدنى مخذولا، ناصيتى بيدك يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك». وقد ذكر «الحليم» سبحانه احدى عشرة مرة فى الكتاب العربى المبين.

العظيم: الذى لاحدود لعظمة شأنه وجلاله. وقد ذكر «العظيم» تعالى ست مرات فى القرآن الكريم.

الغفور: أى كثير المغفرة. عن أبى بكرالصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال لرسول الله ﷺ «علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى» قال: قل: «اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم». وقد ذكر الاسم الكريم (٩١) مرة فى القرآن.

الشكور: يثنى على الطائحين ويقبل أعمالهم ويثيبهم عليها، فسبحانه كثير الثناء، الذى يجازى بيسير الطاعات كثير الدرجات، وسبحان الذى يعطى بالعمل فى أيام معدودة، نعيما فى الآرة غير محدود. وقد ذكر الاسم الكريم (٤) مرات فى القرآن.

العلى: البالغ الغاية فى علو المرتبة، القادر المتصرف فى خلقه، فسبحانه العالى علو الجلال والكمال. قال الحليمى فى معنى العلى «إنه الذى ليس فوقه فيما يجب له من معالى الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه، لكنه العلى بالاطلاق» وجاء فى كتاب الأسماء والصفات أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به، سمع تسبيحا فى السموات العلى: «سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى» وكان النبى ﷺ يستفتح دعاءه «بسبحان الأعلى الوهاب». ذكر الاسم الكريم ثمان مرات فى القرآن.

الكبير: الموصوف بالجلال وكبر الشأن وليس كمثله شيء. ذكر خمس مرات فى القرآن.

الحفيظ: الحافظ لما يريد حفظه (بمعنى ضد السهو او بمعنى الحراسة) والحفظ معناه صون الشيءمن الزوال. وقد ذكر الاسم الكريم «الحفيظ» ثلاث مرات فى القرآن.

المقيت: قيل فى معنى المقيت: أى خالق الأقوات البدنية والروحانية، وموصلها الى الأشباح والأرواح. وقال الأزهرى: المقيت هو المقتدر بلغة قريش. وقد ذكر «المقيت» تعالى مرة واحدة فى القرآن العزيز.

الحسيب: الكافى أو المحاسب على الأعمال. ذكر الحسيب سبحانه ٣ مرات فى القرآن.

الجليل: المنعوت بنعوت الجلال والكمال والعظمة.

الكريم: يبدأ بالعطاء ، ويعفو عن مقدره. قال رسول الله ﷺ «ان ربكم عز وجل حيّي كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردها صفرا». وقال ﷺ «إن الله عز اسمه كريم، يحب مكار الأخلاق ويبغض سفاسفها». قال أهل اللغة فى معنى الكريم: أنه «النفاح» نسأله تعالى أن ينفحنا نفحة خير إنه على كل شيء قدير. وقد ذكر الكريم المطلق الذى لايضيع من لاذ به والتجأ إليه مرتين فى القرآن الكريم.

الرقيب: حافظ لايغفل ولا يغيب عنه شيء. ذكر الاسم الكريم ثلاث مرات فى القرآن

المجيب: يجيب من دعاه وقد ذكر «المجيب» تعالى فى قوله الكريم ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾[1].

الواسع: واسع الرحمة كثير العطاء. وقد ذكر الواسع العليم سبع مرات فى القرآن.

الحكيم: ذو الحكمة البالغة أو العظيم فى حكمته لأن الحكيم صيغة تعظيم لذى الحكمة وقيل إن الحكمة هى العلم مع العمل والعدل. وقيل هى مجموعة معانى من العدل والتنظيم والتقويم والعلم. وقد ذكر «الحكيم» سبحانه واحد وتسعون فى مجموع سور القرآن الكريم.

الودود: يحب أولياءه ويحبونه من الود وهو الحب. وهنا مكان هذا الدعاء ومن الله الاجابة «يا ودود يا ذا العرش المجيد، ، يا مبدئ يا معيد، يا فعال لما يريد، أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك، وبقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك، وبرحمتك التى وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يامغيث أغثنى» وقد ذكر الودود سبحانه مرتين فى القرآن الكريم.

المجيد: العظيم فى ذاته، الجميل فى أفعاله، الكريم فى عطائه. وقد ذكر المجيد

---

(١) هود: ٦١.

تعالى مرة واحدة فى القرآن المجيد. قال تعالى: ﴿.. رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[1]

الباعث: .. للرسل.. للموتى من القبور.. للهمم الى معالى الأمور.

الشهيد: لايغيب عنه شيء من الأمور الظاهرة. وقيل الشهيد مبالغة فى الشاهد والشهادة ترجع الى العلم مع الحضور. وقد ذكر «الشهيد» سبحانه (١٩) مرة فى القرآن العظيم.

الحق: المتحقق الثابت وجوده فلا يفكره أحد، أو المظهر للحق. ذكر الحق تعالى ست مرات فى القرآن الكريم.

الوكيل: سبحانه الكافى لمن توكل عليه، القائم بأمور العباد. وهو الذى من استغنى به أغناه عما سواه، وهو المتصرف فى الأمور على حسب إرادته، وهو سبحانه الموكول إليه تدبير أمر كل شيء. وقد ذكر «الوكيل» سبحانه ثلاث عشرة مرة فى الكتاب الحكيم.

القوى: التام القدرة والقوة فلا يعجزه أمر بحال، ذى القوة المتين، والقوة لله جميعا، ولا قوة إلا بالله، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، وقد ذكر «القوى» سبحانه تسع مرات فى القرآن الكريم.

المتين: مبالغة فى معنى القوة فلا تلحقه فى أفعاله مشقة. وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى قوله تعالى «المتين» يقول «الشديد». وقد ذكر «المتين سبحانه مرة واحدة فى الكتاب المبين.

الولى: المتولى لأمور الخلائق الناصر لعباده وقد ذكر الاسم الكريم ثلاث عشرة مرة فى القرآن.

الحميد: استحق الحمد لجلال ذاته وعلو صفاته وجميل أفعاله. وقيل فى معنى الحميد سبحانه هو الذى يوفقك للخيرات، ويحمدك عليها، ويمحو عنك السيئات،

---

(١) هود: ٧٣.

وقد ذكر «الحميد» تعالى (١٧) مرة فى القرآن المجيد.

المحصى: أحصى كل شىء بعلمه عددا فسبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه، وسبحان المحيط بكل شىء جملة وتفصيلا، وسبحان العالم خفيات الأمور ومحصيها.

المبدى: الذى خلق الأشياء واخترعها ابتداء من العدم.

المعيد: يعيد الخلق بعد الحياة الى الممات، وبعد الممات الى الحياة.

المحيى: يعطى الحياة للأجساد بايجاد الروح فيها.

المميت: لمن أراد من خلقه بنزع الروح منه.

الحى: الدائم الحياة أبداً فلا بداية له ولا نهاية له.

القيوم: القائم بأمور خلقه، المعطى لكل شىء مابه قوامه

الواجد: الغنى المستغنى عن غيره. الذى يجد كل مايريده.

الماجد: بمعنى المجيد كقادر وقدير سبحان الذى **تعطّف** بالمجد وتكرم به.

الواحد: لا ثانى له ولاقرين، ولاشريك له فى الألوهية والربوبية أى أن «الواحد» هو الفرد المنفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله. وقد ذكر «الواحد» تعالى واحد وعشرون مرة فى القرآن العظيم.

الصمد: الذى يصمد الخلق إليه فى حوائجهم أى يقصدونه لقدرته وقيل الصمد الذى أصمدت إليه الأمور فلا يقضى فيها غيره ولا يقضى دونه. وقد ذكر «الصمد» مرة واحدة فى القرآن.

القادر: ذو القدرة التامة على مايريده جاء فى صحيح البخارى[1] الجامع: لما نزلت هذه الآية: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ**﴾[2] قال رسول

---

(١) صحيح البخارى: جـ٦ ص ٧١.

(٢) الانعام: ٦٥.

الله ﷺ «أعوذ بوجهك» وقد ذكر «القادر» سبحانة وتعالى: سبع مرات فى كتاب الله الكريم.

المقتدر: مبالغة من القادر. المتولى على كل ذى قدرة.

المقدم والمؤخر: يقدم من شاء من عباده أو يبعده، وبمعنى الذى يقدم الأشياء، ويؤخرها، كل حسب زمانه ومكانه. فسبحان المقدم والمؤخر لما شاء، كما شاء بحكمته. وكان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت به أعلم منى، اللهم أغفر لى خطاياى وعمدى وجهلى وجدى وهزلى وكل ذلك عندى، اللهم اغفر لى ماقدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، انت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شىء قدير».

الأول: القديم الازلى السابق للأشياء كلها بلا بداية.

الآخر: الباقى الأبدى بعد الأشياء جميعها. فسبحان رب الآخرة والأولى.

الظاهر: بآياته ومصنوعاته، الذى ظهر فوق كل شىء وعلاه، والظاهر هو الغالب العالى، فهو الظاهر بحججه الباهرة وبراهينة النيرة، وشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته.

الباطن: سبحان الباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول، وسبحان من احتجب عن إدراك الحواس مع شدةظهوره، وكمال نوره، وسبحان من ليس له شبيه ولاضرر، وسبحان الباطن على كل شىء رحمة وعلما. وسبحان الذى أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وما لنا من دون الله من ولى ولانصير.

الولى: المالك لأمور خلقه المتصرف فيها.

المتعالى: البالغ فى العفو عن كل نقيصة جل وعلا، المتعالى بوجوب وجوده، رفيع الدرجات ذو العرش. قال رسول الله ﷺ: «بئس عبد تخّيل واختال، ونسى الكبير المتعال»، ذكر الاسم الكريم مرة واحدة فى القرآن.

البَّر: يجود بالخير والثواب. لايمنع عصيانه من إحسانه، والبر: بفتح الباء معناه فاعل البر بكسرها، أى الاحسان وهى كلمة جامعة لكل صفات الخير، وهو من أسماء الله تعالى، ويجوز أن يكون البر الكثير الطاعة، وفى هذا يكون البر اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقربة الى الله، واسم جامع لرضى الخصال ولكل فعل مرضى. وطاعة الله سبحانه هى عبادته تعالى، وبر الوالدين: التوسع فى الاحسان اليهما، والجنة تحت أقدام الأمهات.

التواب: قابل التوب غافر الذنب وقد ذكر «التواب» سبحانه (١١) مرة فى القرآن الكريم.

المنتقم: اذا سخط ذو انتقام بالعقوبة فسبحان الذى نخشى نقمته لقدرته وعظمته، والذى ندعوه، تعالى خوفا وطمعا، وهو الذى نرجو رحمته.

العفو: الذى يمحو الذنوب ويتجاوز عن السيئات، وقيل معنى العفو الذى يعطى الكثير، ويهب الجزيل. وقد ذكر «العفو» سبحانه خمس مرات فى القرآن الكريم.

الرءوف: ذو الرحمة البالغة سبحان ربى الرءوف الرحيم، ذو الرحمة البالغة الذى كلف الثرى بما لم يكلف به المسكين، وأخذ المقيم بما لم يأخذ به المسافر، وخفف الفرائض فى حال الضعف، والحمد لله الذى يحب أن تؤتى رخصة، كما يحب أن تؤتى عزائمه. قد ذكر «الرءوف» سبحانه عشر مرات فى الكتاب الكريم.

مالك الملك: يفعل فى ملكه ما يشاء لايشاركه فيه أحد. وقد ذكر مالك الملك سبحانه مرة واحدة فى الكتاب العزيز.

ذو الجلال والاكرام: المنفرد بالجلال والكمال ولا مكرمة إلا منه. وقد ذكر «ذو الجلال والاكرام» مرتين فى القرآن الكريم.

المقسط: سبحان المقسط، القائم بالقسط، المقيم للعدل، العادل فى حكمه.

الجامع: سبحان الذى جمع الكمالات كلها ذاتا، ووصفا وفعلا، فليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، ولا كفعله فعل، وسبحان جامع الناس ليوم لاريب فيه

وسبحان الجامع الذى جمع بين قلوب الأحباب، وألف بين القلوب.

الغنى: المستغنى عن غيره والكل فقير إليه. وقيل فى معنى «الغنى» أنه الكامل بماله وبما عنده، فلا يحتاج معه إلى غيره. والفقير ما سوى الله تعالى، وهو سبحانه الغنى عن العالمين. قال رسول الله ﷺ «ليس الغنى عن كثرة الغرض ولكن الغنى غنى النفس».

فغنى النفوس هو العفاف فإن أبت   فجميع ما فى الأرض لايكفيها

وأعلى درجة الغنى، الاكتفاء بالموجود، فلاغنى إلا غنى النفس، وقد يكون الانسان فقيراً جداً، وعند الناس متجملا غنيا. قال تعالى ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾[1] فسبحان الذى يعطى من يشاء ويكفيه، ثم اذا شاء يرضيه. وقد ذكر «الغنى» ثمان عشرة مرة فى الكتاب الكريم.

المغنى: يعطى من يشاء فيغنيه عن غيره.

المانع: سبحان الذى يمنع البلاء حفظا وعناية، ويمنع العطاء عمن يشاء ابتلاء أو حماية، وسبحان الذى يعطى الدنيا لمن يحب، ولمن لايحب، ولا يعطى الآخرة إلا لمن يحب، وهو الذى ينصر أولياءه من المنعة.

الضار: ينزل الضر بمن عصاه «بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم».

النافع: ينفع من والاه بالطاعة.. فسبحان الذى يصيب من يشاء من عباده برحمته، وهو الذى يملك الضر والنفع وهو على كل شىء قدير.

النور: الظاهر بنفسه، المظهر لغيره. فسبحان الذى نور قلوب الصادقين بتوحيده، وسبحان الذى نور السماء والأرض بما خلق فيهما من الأنوار قال ابن عباس: «النور» الهادى الرشيد الذى يرشد بهدايته من يشاء. فيبين له الحق ويلهمه اتباعه وقال

---

(١) البقرة : ٢٧٣.

الحليمي: « هو الهادى لايعلم العباد الا ماعلَّمهم، ولايدركون الا مايسَّر لهم إدراكه، فالحواس والعقل فطرته وخلقه وعطيته».

سأل ابن عباس النبى ﷺ «هل رأيت ربك ليلة أسرى بك؟ قال: نعم، نور أنى أراه وما يعلم تأويله إلا الله.. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

الهادى: الذى يهدى القلوب إلى الصراط المستقيم.

البديع: لامثيل له، المبدع لخلقه على غير مثال.

الباقى: الدائم الوجود فهو الأول بغير ابتداء والآخر بلا انتهاء.

الوارث: الباقى بعد فناء الخلائق.

الرشيد: تدبيره فى غاية الصواب المرشد لغيره الى مافيه صالحه. قال الحليمى رحمه الله: «الرشيد» هو المرشد سبحانه، ومعناه الدال على المصالح والداعى اليها وهذا من قوله تعالى ﴿ **وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾[1].

فسبحان ربى الرشيد المرشد ملهم الرشد لأهل طاعته، وهو الذى أرشد الخلائق الى هدايته، ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد.

الصبور: لايعاجل من عصاه بالعقوبة. وقد يكون معناه ملهم الصبر لجميع خلقه وفى اللغة: الصبر هو حبس النفس عن الجزع قال الله تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾[2].

---

(١) الكهف: ١٠.

(٢) الكهف: ٢٨.

المبحث الثالث

اللهم[1] هذه أسمائك الحسنى فبها ندعوك

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

يارحمن يارحيم، ويamلك وياقدوس، وياسلام ويامؤمن يا الله يامهيمن ياعزيز ياجبار، يامتكبر ياخالق ياباريء يا الله يامصور وياغفار ياقهار ياوهاب يارزاق يافتاح يا الله ياعليم وياقابض ياباسط ياخافض يارافع يامعز يامذل يا الله ياسميع يابصير ياحكيم، وياعدل يالطيف ياخبير ياحليم يا الله ياعظيم ياغفور ياشكور ياعلى ياكبير ياحفيظ يا الله يامقيت وياحسيب وياجليل ياكريم ويارقيب يا الله يامجيب ياواسع ياالحكم ياودود ياحميد يامجيد ياباعث يا الله ياحق وياشهيد ياقوى ياولى ياوكيل يامتين يامحصى يا الله يامبدئ يامعيد يامحيى يامميت ياحى ياقيوم يا الله ياواحد

---

(١) كلمة تُستعمل فى الثناء مثل يا الله زيدت الميم للتعظيم والتفخيم كزيادتها فى زرقم لشديد الزرقة، وابنم فى ابن ـ وقال آخرون: الميم للجمع، فمثلا السلام عليك والسلام عليكم، ولأن الله لايجمع ـ جل جلاله ـ بل هو الجامع،كانت الميم فى «اللهم» تجمع جميع أسمائه. وقال الحسن البصرى: اللهم مجمع الدعاء. وقال النضر بن شميل*: من قال اللهم فقد دعا بجميع أسماءه. وقال أبو رجاد العطاردى**: ان الميم فى اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من أسماء الله تعالى.

* النضر بن شميل: بن خرشة المازنى التميمى أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث له كتاب الصفات وهو فى صفات الانسان والبيوت والجمال والزروع وغيرها توفى بمرو عام ٢٠٣ هـ/ ٨١٩م.

** أبو رجاء العطاردى: هو احمد بن عبد الجبار، فاضل من أهل الكوفة، كان يروى مغازى ابن اسحاق، ومن طريقة سمعها المؤر ابن الأثير/ توفى بالكوفة عام ٢٧٢ هـ.

(٢) الأعراف: ٠ ١٨.

(٣) الحشر: ٢٣، ٢٤.

ياماجد ياأحد ياصمد ياقادر يامقتدر يا الله يامقدم يامؤخر ويا أول ويا آخر ويا ظاهر ويا باطن يا الله ياستعالى يابر ياتواب يامنعم ياالله.

ياعفو ويارؤوف ويامالك الملك ويامنتقم يارب يامقسط يا الله ياجامع ياغنى ويامغنى ويامعطى ويامانع وياضار يانافع يا الله يانور وياهادى ويابديع ياوارث يارشيد ياصبور ياالله ياصادق وياستار يا الله أنت الله لا إله إلا أنت الله. أنت الله، أنت الله لك الملك ولك الحمد ولك الثناء الحسن.

اللهم هذه أسماؤك الحسنى فبها نتوسل إليك ونسألك أن تعز الإسلام والمسلمين. وتذل الشرك والمشركين اللهم من أراد بالمسلمين سوءا فاجعل دائرة السوء تدور عليه واجعل كيده فى نحره وأشغله بنفسه.

اللهم ألف بين قلوب المسلمين إخوانا واجمعهم على طاعتك أعوانا ولا تسلط عليهم بذنوبهم من لايخافك ولايرحمهم.

اللهم أكرمنا ولاتهنا. وأعطنا ولاتحرمنا. وانصرنا ولاتنصر علينا واهدنا ويسر الهدى لنا وانصرنا على من عادانا واجعل ثأرنا على من ظلمنا ولاتجعل الدنيا أكبر همنا ولامبلغ علمنا.

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولامضلين، سلما لأوليائك وحربا لاعدائك، نحب بحبك من أحبك ونعادى بعداوتك من خالفك. اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان وأنت الرحيم الرحمن الحليم الحنان المنان.

اللهم اجعل لنا نورا فى قلوبنا،و نورا فى قبورنا، ونورا من بين أيدينا ونورا من خلفنا، ونورا عن أيماننا، ونورا عن شمائلنا، ونورا من فوقنا، ونورا من تحتنا، ونورا فى أسماعنا، ونورا فى أبصارنا، ونورا فى شعرنا وبشرنا، ونورا فى لحمنا ودمنا وعظامنا. اللهم أعظم لنا نورا وأعطنا نورا، واجعل لنا نورا وزدنا نورا. وأنت سبحانك نور السموات والأرض وقيوم السموات والأرض، وبديع السموات والأرض سبحانك ياعظيم ويا رب كريم خلقت الظلمات والنور.

سبحان الذى تعطف بالعز وقال به، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به، سبحان الذى لاينبغى التسبيح إلا له، سبحان من أحصى كل شىء بعلمه، سبحان ذى المجد والكرم، سبحان ذى الاجلال والإكرام، سبحان من بيده ملكوت كل شىء، سبحان القدير على كل شىء، سبحان العليم بكل شىء، سبحان المقدر لكل شىء، سبحان المحصى لكل شىء، سبحن من له الملك والملكوت والعزة والجبروت، سبحان من له ما فى السماوات وما فى الأرض وما تحت الثرى، سبحان من له جنود السماوات والأرض ولا يعلم جنوده إلا هو ولا بعلم عظمته إلا هو، ولا منتهى لعظمته، ولا منتهى لقدرته لا إله الا هوعليه توكلت وإليه أنيب، له الاسماء الحسنى وله اختلاف الليل والنهار، بيده الخير وهو بكل شىء محيط وعلى كل شىء قدير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبى الرحمة وهادى الأمة سيدنا محمد وعلى آلة وأصحابه وأزواجه وذرياته آجمعين.

المبحث الرابع

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠) ﴾[١].

« قل ادعو الله أو ادعو الرحمن» أى نادو ربكم الجليل باسم «الله» أو باسم «الرحمن» أياما ماتدعو فله الأسماء الحسنى» أى بأى هذين الاسمين ناديتموه فهو حسن لأن أسماءه جميعها حسنى وهذان منها، قال المفسرون: سببها أن الكفار سمعوا النبى ﷺ يدعو (يا الله، يارحمن) فقالوا ان كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد وها هو يدعو إلهين، فنزلت الآية مبينة أنهما لمسمى واحد «ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها» أى لاتجهر يا محمد بقراءتك فى الصلاة فيسمعك المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله، ولا تسرّ بقراءتك بحيث لاتسمع من خلفك من أصحابك «وابتغ بين ذلك سبيلا» أى أقصد طريقا وسطا بين الجهر والمخافتة[٢].

وروى ابن جرير عن محمد بن سيرين[٣] قال ان أبا بكر رضى الله عنه[٤] كان اذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر رضى الله عنه كان يرفع صوته، فسأل النبى ﷺ أبا بكر: لم تصنع هذا؟ قال: أناجى ربى عز وجل وقد علم حاجتى، قال: أحسنت وسأل عمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان. قال: أحسنت. فلما نزلت «ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا» أمر النبى ﷺ أبا بكر أن يرفع صوته قليلا، وأمر عمر أن يخفض صوته قليلا.

---

(١) الاسراء: ١١٠.

(٢) اخرجاه فى الصحيحين.

(٣) محمد ابن سيرين البصرى تابعى، امام وقته فى علوم الدين، تفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، توفى عام ١١٠هـ.

(٤) هو أبو بكر بن أبى قحافة واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر القرشيى التيمى، خليفة رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أول من أسلم من الرجال، وأبوه عثمان تأخر إسلامه إلى عام الفتح، ومات أبوه بعده، وأمه أم الخير أسلمت قديمًا بعد ولدها أبى بكر، وماتت أمه بعده أيضًا، وأبو بكر رضى الله عنه توفى قبل والديه، وورثه أبواه وذلك سنة (١٣)هـ بالمدينة المنورة.

وقال الحسن: لاتراء بعلانيتها «أى الصلاة» ولابسِّريتها.

وذهبت السيدة عائشة[1] وابو هريره ومجاهد رضى الله عنهم أجمعين الى القول بأن المراد من الصلاة فى الآية الدعاء وذلك فيما يرويه البخارى عن عائشة «ولاتجهربصلاتك ولاتخافت بها» أنزلت فى الدعاء. والمراد لاترفع صوتك يامحمد بالدعاء فتذكر ذنوبك فيسمع ذلك الكفار فتعيَّر بها، فالجهر بالدعاء منهى عنه، كما أن المبالغة فى الاسرار غير جائزة، والمستحب فى ذلك التوسط وهو أن يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود انه قال: «لم يخافت من أسمع اذنيه»

الفوائد:

١- الآية رد على الكفار وذلك حينما سمعوا الرسول ﷺ يقول فى سجوده «يا الله يا رحمن» فقالو إن محمدا ينهانا أن نعبد آلهتنا وها هو يدعو مع الهه الها آخر فنزلت الآية مبينة أنهما لمسمى واحد، قال تعالى «وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً» أى الحمد لله الذى تنزه عن الولد «ولم يكن له شريك فى الملك» أى ليس له شريك فى ألوهيته «ولم يكن له ولى من الذل» أى ليس بذليل فيحتاج إلى الولى والنصير«وكبره كبيرا» أى عظم ربك عظمة تامة، واذكره بصفات العز والجلال،

(١)هى أم المؤمنين الصديقة بن الصديق، الحميراء حبيبة الرسول، التقية النقية الميرأة من فوق سبع سموات المخلدة طهارتها وبراءتها فى التنزيل عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما، وحسبها شرفا حب الرسول لها، واظهار ميله اليها، ونزول القرآن فى التنوية بقدرها بعد تبرئتها، ونزول الوحى فى بيتها والرسول فى لحافها، ولم يتزوج بكرا سواها. تزوجها بمكه وهى بنت ست وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع، توفى عنها الرسول وهى بنت ثمان عشرة سنة، وتوفيت عن خمس وستين سنة، سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين وقيل انه مما روى عن الرسول فى شأنها قوله (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) وفى الحديث كلام، وكانت أكثر الصحابة حفظا وفتيا، وكان الكثيرون من أعلام الأمة يرجعون اليها مستشيرين مستفتين، وكانت فقيهة عالمة نصيحة كثيرة الحديث عن الرسول ﷺ عارفة بأيام العرب وأشعارها، زاهدة كثيرة الكرم والصدقة، روى عنها كثير من الصحابةوالتابعين وقد عين الواقدى ليلة وفاتها فقال: انها ليلة الثلاثاء لسبع عشر خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين، ودفنت حسب وصيتها بالبقيع ليلا

والعظمة والكمال ـ ختمت السورة «كما بدأت» بحمد الله وتقرير وحدانيته بلا ولد ولا شريك، وتنزيهه عن الحاجة الى الولى والنصير، وهو العلى الكبير.

٢- بيان أن لفظ «الله والرحمن» من أسماء الله الحسنى، وهذه الأسماء منبثة فى القرآن، وعددها يربو على المائه، أى أن هناك من الاسماء الحسنى التى لم يرد ذكرها فى الحديث الشريف وذكرت فى الكتاب العزيز وهناك الاسماء الحسنى التى وردت فى الحديث، وجاءت بصيغة أخرى فى الذكر الحكيم منها على سبيل المثال: اسمه تعالى «النصير» فى قوله تعالى ﴿ .. **وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾(١)، واسمه تعالى «الشاكر» فى قوله تعالى: ﴿ .. **وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾(٢)، واسمه تعالى «القائم» فى قوله تعالى ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾(٣) واسمه تعالى «الفاطر» فى قوله تعالى ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾(٤)، واسمه تعالى «عالم الغيب والشهادة» مذكور فى قوله تعالى ﴿ .. **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾(٥)، واسمه تعالى «الصادق» فى قوله تعالى ﴿ .. **ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾(٦)، واسمه تعالى «المولى» فى قوله تعالى ﴿ .. **فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾(٧)، واسمه تعالى «المستعان» فى قوله تعالى ﴿ .. **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾(٨)، واسمه تعالى «الغالب» فى فوله تعالى ﴿ .. **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٩)، واسمه تعالى «الحافظ» فى قوله تعالى ﴿ .. **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾(١٠)، واسمه تعالى «الشديد» فى قوله تعالى ﴿ .. **هُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾(١١)، واسمه تعالى «الخلاق» فى قوله تعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾(١٢)، واسمه تعالى «الكفيل» فى قوله تعالى ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا**

---

(١) البقرة: ١٠٧. (٢) البقرة: ١٥٨. (٣) آل عمران: ١٨.
(٤) الانعام: ١٤. (٥) الانعام: ٧٣. (٦) الانعام: ١٤٦.
(٧) الانفال: ٤٠. (٨) يوسف: ١٨. (٩) يوسف ٢١.
(١٠) يوسف: ٦٤. (١١) الرعد: ١٣. (١٢) الحجر: ٨٦.

تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾[1]، واسمه تعالى «الحفى» فى قوله تعالى ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[2]، واسمه تعالى «المبين» فى قوله تعالى ﴿ .. وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]، واسمه تعالى «الكافى» فى قوله تعالى «أليس الله بكاف عبده»[16]، واسمه تعالى «الغافر» فى قوله تعالى ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ ﴾[4]، ومن اسمائه تعالى «الرفيع الدرجات، ذو العرش» فى قوله تعالى ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (15) ﴾[5]، ومن أسمائه تعالى «الرزاق ذو القوة» فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) ﴾[6]، واسمه تعالى «المليك» فى قوله تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[7]، واسمه تعالى «الأعلى» فى قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (1) ﴾[8]، واسمه تعالى «الأكرم» فى قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) ﴾[9]، واسمه تعالى «الأحد» فى قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) ﴾[10] الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد. صدق الله العظيم.

وهذا الذى ذكرته اجتهاد فيه احتمال الخطأ، أسأل ربى ألا يؤاخذنى عليه، إذ لاطاقةلى حتى بحصر الأسماء الحسنى التى وردت بلسان الذكر الحكيم فى الكتاب العربى المبين، ذلك بأنى أجمع نورا من النور الذى أنزله نور السموات والأرض.. وبذلك يكون العدد الذى استخلصته هو أكثر من تسعة وتسعين اسما..

فما الحكمة فى قوله ﷺ فى الحديث الشريف «إن الله تسعة وتسعين اسما»؟

نلاحظ أن العدد «تسعة وتسعين» ذكر فى حديث رسول الله ﷺ أكثر من مرة

---

(1) النحل: ٩١.
(2) مريم: ٤٧.
(3) الحج: ٥٤.
(4) غافر: ٣.
(5) غافر: ١٥
(6) الذاريات: ٥٨.
(7) القمر: ٥٥.
(8) الأعلى: ١.
(9) العلق: ٣.
(10) الإخلاص: ١.

كقوله عليه الصلاة والسلام «إن الله عز وجل خلق مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق. . وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة» كما ذكر هذا العدد فى القرآن الكريم مرة فى الآية الثالثة والعشرين من سورة «ص» وأغلب الظن أن هذا العدد ذكر فى كتب الله السماوية التى نؤمن بها.

فما الحكمة فى اختيار هذا العدد بالذات مع اجماع العلماء أن الأسماء الحسنى أكثر من هذا. .؟ بل إن بعض الأسماء الحسنى قد استأثر بها الله سبحانه، فى علم الغيب عنده، بدليل هذا الدعاء للنبى ﷺ «أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك. أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى وغمى. .»

ويرى الفخر الرازى، أن الحكمة فى القصر على هذا العدد المخصوص، أنه تعبدى لايعقل معناه، كما قيل فى عدد الصلوات وغيرها. .إشارة إلى أن الأسماء الحسنى لاتؤخذ قياسا وربما كان السبب فى اختيار هذا العدد أنه يطلق على الأشياء التى يصعب حصرها، وربما كانت الحكمة أن معانى الأسماء ولو كانت كثيرة جدا، إلا أنها موجودة - على قدر احتياجنا - فى هذه الأسماء الحسنى التسعة والتسعين أو أن الأسماء المذكورة هى أشهر الأسماء وأبينها معنى، وذلك بقدر حاجتنا إلى الأسماء التى ندعو بها الله سبحانه وتعالى.

وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربى* أحد أئمة المالكية فى كتابه الأحوذى بشرح الترمذى أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم فالله أعلم. واخيرا أحب أن أضيف أن كثيرا ممن عنى بكتابة الأسماء الحسنى قد ذكر مائة اسم، كما فعل الإمام أبو بكر البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ. فقد ذكر الأسماء الحسنى برواية الوليد عن شعيب، ثم أضاف الاسم «الكافى»[١] فيكون المجموع مائة.

(١) كتاب الاسماء والصفات للبيهقى. ط الهند ص (٤).

* أبو بكر بن العربى المعافرى ولد بأشبيلية عام ٤٦٨هـ ورحل فى طلب العلم إلى مصر والشام والعراق. ألف العديد من الكتب منها عارضة الأحوذى على كتاب الترمذى، وأحكام القرآن، والقواصم والعواصم، توفى سنة ٥٤٣هـ ودُفن بمدينة فاس.

وقد جزم السهيلى قائلا: الأسماء الحسنى مائة على عدد درجات الجنة.

والحديث الشريف يقول: «مائة غير واحد» فى رواية الوليد عن شعيب وفى رواية زهير «مائة إلا واحد» الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه والحديث أخرجاه فى الصحيحين وفى صحيح الترمذى، أما رواية «زهير» فقد ذكرها محمد بن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.

ويكون الواحد: الله الذى لا إله إلا هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. والله ورسوله أعلم.

ونعود إلى ذكر فوائد الآية الكريمة..

٣- بيان أن لفظ «الله» هو أسمى أسمائه الحسنى ولذلك قدم على الرحمن.

٤- بيان أن المراد من الصلاة فى الآية هو «الدعاء» وهذا يوافق تعريف الصلاة بالمعنى اللغوى، وعلى كل فالصلاة مشتملة على الدعاء، وهذا من اطلاق الكل وارادة الجزء.

ومن ثم يمكن اعتبارها واردة فى مقام الأمر بالدعاء لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب، فالله تعالى يأمر نبيه محمد ﷺ أن يقول للخالق جميعا: ادعوا الذات المقدسة المعبودة بحق ونادوها بأحب الأسماء اليها، بالأسماء الحسنى، واستغيثوا بها، والجأوا اليها فى كل زمان ومكان، نادوها بلفظ «الله» أوبأى اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، سواء كان هذا الاسم هو «الرحمن» أو غيره، فأسمائه تعالى الحسنى كلها... كل اسم منها مشتمل على التقديس والتمجيد والتعظيم. والله أعلم.

الفصل السادس

الأمر بالدعاء فى أجمل صورة وأرقا ها

يشتمل هذا الأمر على الصورة الكاملة التى يمكن القول بأنها أرقى أنواع الدعاء، وهو آيتان فى سورتى الفاتحة والنساء، ويمكن تقسيمه الى نوعين، الأول يوضح أفضل صور الدعاء كما وكيفا، والثانى خاص بما ينبغى أن يقترن به الدعاء من آداب.

الآية الأولى: قول الله تعالى فى سورة الفاتحة:

«اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» . . آمين.

هذه الآية الكريمة توضح لنا أسمى صور الدعاء اشراقا وتعبيراً . . وهى سبيل السعادة للمؤمنين . . نتحدث عن ذلك فيما يلى:

المبحث الأول

ربط الآية بما قبلها

رأينا من الخير أن نذكر ترنيمة المؤمن اليومية ككل ثم نتحدث عن صدر السورة فى مبحثنا هذا فنقول وبالله التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم. ولا الضالين»

الفاتحة: هى دعاء المسلم ووررده اليومى يردده سبع عشرة مرة أو أكثر فى اليوم والليلة.

- هى ترنيمة المؤمن وخبزه الإيمانى الذى يقتات به مراحله ومغداه، وفى صباحه

ومساه، وفى فرضه ونفله، وفى تهجده وتعبده.

ـ هى باقة إلهية ضمت ألوانا عدة من مفاهيم العقيدة، وأهداف الدعوة، وأصوات الشريعة.

ـ هى أم الكتاب والسبع المثانى(١)

سماها ابن عباس(٢) رضى الله عنه: أساس القرآن، وسماها سفيان بن عيينه(٣) «الواقية». . وأطلق عليها يحيى بن كثير «الكافية لانها تكفى عما عداها، ولايكفى ماسواها عنها.

ـ فيها من كليات العقيدة الإسلامية، ما يومئ الى الحكمة الإلهية فى اختيارها للتلاوة فى كل ركعة من ركعات الصلاة.

والفاتحة بآياتها السبع دفقة من دعاء محض، وابتهال خالص إلى الله سبحانه. تبدأ بدعاء وتنتهى بدعاء.

---

(١) السبع المثانى هى سورة الفاتحة بآياتها السبع التى تثنى وتعاد فى كل ركعة من ركعات الصلاة.

(٢) ابن عباس: هو البحر الحبر ترجمان القرآن فقيه الامة، الصحابى الجليل أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمى الملكى ثم المدنى ثم الطائفى، ابن عم النبى ﷺ وقد كنى بأبيه العباس وهو أكبر ولده، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان جميلا نبيلا أبيض جسيما وسيما صبيح الوجه فصيحا، إذا مر فى الطريق قالت النساء: أمر المسك أم ابن عباس؟ وقال مسروق: كنت اذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، واذا نطق قلت: أفصح الناس، واذا حدث قلت: أعلم الناس وكان نبيل المجلس مشحونا بالطلبة فى أنواع العلوم، ولا عجب فقد دعا له الرسول فقال «اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل، وكان مهيبا. وكان عمر يستشير ابن عباس ويقول: غواص. وقال سعد: ما رأيت أحضر فهما ولا ألب لبا، ولا أكثر علما، ولا أوسع حلما من ابن عباس، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات. ومناقبة جمّة. توفى رضى الله عنه بالطائف سنة ثمان وستين، وهو ابن سبعين سنة، وصلى عليه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما.

(٣) سفيان بن عيينه: هو أحد الأعلام شيخ الحجاز، محدث الحرم، الامام المعلم أبو محمد سفيان بن عيينه الهلالى الكوفى الحافظ نزيل مكه، ولد رضى الله عنه فى الكوفة سنة سبع ومائة وسكن مكة، وحفظ القرآن وهو ابن سنوات قليلة، وكتب الحديث بعد ذلك وهو ابن سبع، ولم تكن له كتب، قال الشافعى لولا مالك وابن عيينه لذهب علم الحجاز، وقال ابن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينه. وحج سبعين حجة، وقال عنه الشافعى: ما رأيت أحداً فيه من الفتيا ما فيه، ولا أكف عن الفتيا منه. وتوفى رضى الله عنه بمكه فى أول رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، ودفن بالحجون، وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

ولعل هناك أسباب إلهية فى أن تكون فاتحة الكتاب كلها دعاء . .

وخاتمة الكتاب كلها دعاء . .

وما بين الفاتحة والخاتمة : عقيدة ، وعبادة ودعاء .

وكما كانت خاتمة الكتاب دعاء واستعاذة بالله من شر النفس والدنس ومن شر الوسواس الخناس «المعوذتين» . . كانت الفاتحة دعاء بدئ بحمد الله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك الملك والملكوت ، المتفرد بالعبودية ، المستعان ، الهادى المنعم ، ثم كانت بعد ذلك سؤالا وتضرعاً من المؤمنين بالله حتى يمنحهم الهداية والرشد والسداد والتوفيق .

ويقول الإمام محمد عبده عند تفسيره الفاتحة (أم القرآن) أنها اشتملت على مجمل ما فصل فيه من أصول هدايته الكلية .

فان ما نزل القرآن لأجله خمسة أمور كلية هى (بتصرف)

١- التوحيد : يشير الى ذلك من الفاتحة «الحمد لله رب العالمين»

٢- الوعد والوعيد : يشير الى ذلك من الفاتحة قوله تعالى «مالك يوم الدين»

٣- العبادة . يشير الى ذلك من الفاتحة قوله تعالى «اياك نعبد واياك نستعين»

٤- بيان سبل السعادة ، يشير الى ذلك من الفاتحة قوله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم»

٥- قصص الماضيين ، يشير الى ذلك من الفاتحة قوله تعالى «صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» آمين .

والفاتحة دعاء بدئ بعد البسملة بحمد الله . . .

- وحمد الله دعاء فيه طمأنينه نفسية تعفى ماترسب فى الأعماق من اهتزاز عواطف أو جموح أحاسيس ، وتندفع الى الصفاء الداخلى ، والراحة الوجدانية والهدوء القلبى .

ـ الحمد وقود روحى يصهر النفس فيزيل ما ران عليها من شوائب اليأس، ويجدد الطاقات ويشحذ الأفئدة بفيض من أمن وأمل ورضا وتفاؤل وراحة روحية.

والمدنية الحديثة بضجيجها وعجيجها وآلاتها وصخبها، وماديتها الشرسة، الجامحة وأوراها الملتهب، وتكالبها المسعور المحموم، وأنانيتها التى أحرقت الأعصاب قد بعثت القلق فى النفوس وأورثتها أمراضا أشاعت فى الأجسام أسقاما عز علاجها وندر تطبيبها.

والطب الحديث بمبضعه السحرى ومعامله وأنابيبه ونظرياته النفسية المبتكرة، ومجالاته المستحدثة تحير أمام أدواء النفس ولم تسطع عقاقيره ورياضاته أن تنفذ الى الأعماق، لتذيب ماتركز فيها من يأس، وما شاع بين أنحائها من ألم نفسى ممض صبغ الحياة بصبغة قاتمة، ولون النفس بلون أسود فاحم. والقرآن من قبل ذلك كله قد حصن النفس من ان يتسرب الى اعماقها ظلام اليأس، أو يتمكن منها أخطبوط القلق بأنفاسه السامة ونفثاته المحرقة.. فشخص العلاج فى إكسيره القوى الناجع «الحمد» بكل ما يحمل من معنى، وبكل مايشيعه من أمان واطمئنان، وبكل مايشعه من رضا واستسلام.. جعله علاجاً للقلق، ودواء للإضطراب والقنوط، وإكسيراً يتجرعه المؤمن.. فيسكن الإضطراب ويسكت القلق، ويسكب الاطمئنان برده على المؤمن الحامد فيفئ الى واحة فينانة من الرضا يستظل بظلالها، ويتنفس الصعداء، ويحس نسمات الأمن تهب عليه رخية ندية..

وذو النفس الحيرى المضطربة، يردد بلسانه وجنانه وكيانه، «الحمد لله» يرددها بعقله وقلبه، مستعرضا ما أفاء الله عليه من نعم. ويظل يردد ويردد حتى يترسب فى العقل الباطن ويتركز الحمد لله بمفهومه فى اللاشعور، وآنئذ تتراءى له حقائق، فمايعدّه ضائعاً وهو بين يديه يجد فيه الخير كل الخير، والفناء كل الفناء. وما كانت غائبة عنه أو محجوبة عليه أو مغطاة على بصرة.. والنفس القلقة جعل القرآن دواءها ذلك الأمل الإلهى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾[١].

(١) الضحى: ٥.

وهو وعد إلهى يميت اليأس، ويميط اللثام عن ضياء وصفاء واشراق وسناء ويجدد فى الأعماق الأمل الباعث الى الحياة والى العمل، والى الإطمئنان، والى الحمد، وبذا تغدو النفس نفسا هادئة مستقرة مطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[١].

وإذا كانت ركيزة الحمد الأولى، ذلك الأمل المتبلور فى الموعد الإلهى «ولسوف يعطيك ربك فترضى».

فإن ركيزته الثانية ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾[٢].

فاذا ما ألقى المؤمن أموره كلها الى مولاه، وألقى متاعبه التى ينوء بها ظهره على أعتاب سيده ومربيه. ونفض يديه من أثقال الحياة وتكاليف العيش وألقى الحمل كله بين يدى خالقه، فإنه ولاشك يجدد طاقته، ويستعيد راحته النفسية، وما دام قد أسلم وجهه وأمره كله لمدبر الأمر مصرّف الكون.. فقد تحللت نفسه مما أهمها وأمضها وأرمدها وأقلقها، وغدا وقد خلا من الشواغل والمشاغل.

ومن فوض أمره لله فقد توكل عليه، ومن توكل على الله فقد كفاه الله شر القلق والإضطراب.. ومنحه الهدوء والرضا. وذلك طريق الشكر والثناء والحمد لله..

وعن التوكل يقول رسول الله ﷺ: «لو توكلتهم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطرير تغدو خماصا وتروح بطانا».

وعن تفويض الأمور الى الله يقول الرسول ﷺ: «إذا أويت الى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسى اليك، ووجهت وجهى اليك، وفوضت أمرى إليك، وألجات ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت» فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيرا»[٣].

---

(١) الفجر: ٢٧- ٣٠.

(٢) غافر: ٤٤.

(١) رياض الصالحين للنووى: متفق عليه عن البراء بن عازب رضى الله عنه: باب مايقوله عند النوم ص ٥١٣.. ط. المطبعة العصرية. بيروت. والنووى: هو يحى بن شرف علاّمة بالفقه والحديث له العديد من المصنفات منها شرح مسلم ورياض الصالحين، والأذكار والأربعين النووية التى شرحها كثيرون، توفى سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م.

أما ركيزة الحمد الثالثة فهى الايمان المطلق بالقضاء والقدر، خيره وشره، حلوه ومره.. قال عليه السلام لما سأله جبريل عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وليس التسليم بالقضاء والقدر هو ما وقر فى القلوب والأذهان من أنه التواكل والاستسلام، والقعود عن الكسب والعمل، والرضا بالمركز الدون، والعزوف عن الدنيا، فليس ذلك من الدين، وليس ذلك من مفاهيم الاسلام، إنما التسليم: أن تعقل ثم تتوكل، وأن تأخذ فى الأسباب وتعمل ثم تسلم النتائج لله راضيا بكل ما يمنحه او يمنعه، إذ كل من عند الله، وكل ميسر لما خلق له..

فعلى المؤمن إذن أن يكافح وينافح ويجاهد ويجد فى جهاده وعمله، موقنا بقضاء الله، موقنا بعدله وعدالته، وأن يحمد الله تعالى فى كل أحواله. روى ابن ماجة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ» وقال القرطبى فى تفسيره، وكذا فى نوادر الأصول عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «لو أن الدنيا بحذافيرها فى يد رجل من أمتى ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك» قال القرطبى وغيره: أى لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا، لأن ثواب الحمد لايفنى، ونعيم الدنيا لايبقى. قال الله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً** (٤٦)﴾[1]..

وفى سنن ابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال: يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك» فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى الله فقالا يا ربنا إن عبدا قد قال مقالة لاندرى كيف نكتبها؟ قال الله وهو أعلم بما قال عبده، ماذا قال عبدى؟ قالا يارب إنه قال: «لك الحمد يارب كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك» فقال الله لهما: «اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها».

وقال عمر بن الخطاب لعلى.. وأصحابه عنده «رضى الله عنهم»: لا إله إلا الله وسبحان اله والله أكبر قد عرفناها فما الحمد لله؟ قال على: كلمة أحبها الله

---

(١) الكهف: ٤٦.

تعالى لنفسه، ورضيها لنفسه، وأحب أن تقال. روى الامام أحمد بن حنبل[1] عن الحسن الأسود بن سريع قال قلت يارسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربى تبارك وتعالى فقال: «أما إن ربك يحب الحمد».

هذا هو الحمد بنتائجه وآثاره وفعاليته. فلا غرر أن كان صدر الفاتحة دعا هو «الحمد لله رب العالمين» ولا عرو أيضا أن كان آخر دعاء المؤمنين فى الجنة حمداً لربهم: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

---

(١) هو شيخ الأمة وعلم أعلام بغداد وعالم أهل العصر أبو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الذهلى الشيبانى المروزى ثم البغدادى الامام الفقية الحافظ الحجة، ولد سنة اربع وستين ومائة ببغداد ونشأ بها، وكان أبوه جنديا مات شابا فى أول طلب ابنة احمد للعلم فى سنة تسع وسبعين ومائة، وكان ابن حنبل شيخا أسمر مديد القامة مخضوبا عليه سكينة ووقار، وكان إماما فى الحديث وضروبه، اماما فى الفقة ودقائقها، وهو أحد الائمة الاربعة الذين لاتزال مذاهبهم مشهورة الى اليوم وكان اماما فى السُّنة ودقائقها، إماما فى الزهد وحقائقه. وقد رحل الى الكوفة والبصرة ومكه والمدينة واليمن والشام والجزيرة وكان يضرب به المثل فى اتباع السنة واجتناب البدعة وكان لايدع قيام الليل قط، وكان يسر ذلك وأمثاله عن الناس ، وكان يلبس الثياب النقية البياض، ويتعهد شاربه وشعر بدنه ورأسه، وكان زاهداً متقشفا فى طعامه وشرابه، وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، وحج رضى الله عنه خمس حجات ثلاث منها ماشيا، وابتلى بفتنه القول فى خلق القرآن فصبر واحتمل، وكان مثلا يروى للجيل بعد الجيل فى الايمان والثبات والاحتساب. ويقول فيه الشافعى: خرجت من بغداد وماخلفت بها أفقه ولا أورع ولا أزهد من احمد بن حنبل. وقال ابراهيم الحربى: أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبداً، يعجز النساء ان يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام، ما أمثله الا بجيل نفخ فيه روح. ورأيت بشر بن الحارث، ماشبهته إلا برجل عجن من قرنه الى قدمه عقلا، ورأيت احمد بن حنبل كأن الله عز وجل جمع له علم الاولين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك ماشاء، وعن الحسن بن العباس قال: قلت لابى مسهر: هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الامة دينها. قال: لا أعلم إلا شابا بالمشرق، يعنى احمد بن حنبل. وروى عن ابن حنبل أنه قال: اذا جاء الحديث فى فضائل الأعمال وثوابها وترغيبها تساهلنا فى اسناده.

واذا جاء الحديث فى الحدود والكفارات والفرائض تشددنا فيه، وكان الشافعى يزور ابن حنبل كثيرا فى منزله فعوتب الشافعى فى ذلك فأنشد:

قالوا يزورك احمد وتزوره　　قلت: الفضائل لاتفارق منزله

ان زارنى فبفضله، أو زرته　　فلفضله، فالفضل فى الحالين له

وكان ابن حنبل يخضب بالحناء خضابا ليس بالقانى، ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر اليه وقال: بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده. توفى رضى الله عنه ببغداد فى الثانى عشر من ربيع الأول صبيحة الجمعة سنة احدى وأربعين ومائتين، وقد تجاوز سبعا وسبعين سنة وشيع جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ومن النساء ستون ألفا، ومناقبة كثيرة، وفى سيرته وضعت كتب متعددة.

(٢) يونس: ١٠.

والمنهج الدعائى تخططه لنا سورة الفاتحة.

فهو يبدأ بذكر ويصدر بتوسل، توسل الى الله بأسمائه وصفاته ثم يأتى عقب ذلك السؤال والطلب.

وها هى ذى السورة تمضى مبينة ذلك المنهج، فالحمد نتوجه به الى الله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، المعبود المستعان، الهادى المنعم..

ـ رب العالمين: الذى خلق الجن والإنس وأوجدهم ورباهم: عندما مدهم: بأسباب الحياة المعنوية والمادية فأرسل اليهم هداة يبصرونهم أمور دينهم ودنياهم وأمور معاشهم ومعادهم، يوجهون دنيا الناس الى دين رب الناس، لتعمر الدنيا ويسعد الأناس ويصفو العيش وتسمو الحياة، فله خالص الحمد على سيادته وربوبيته.

وقال الزجاج: العالم كل ماخلق الله فى الدنيا والآخرة، قال القرطبى وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[٢]...

والعالم مشتق من العلامة، لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته، كما قال ابن المعتز:

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

ـ **الرحمن الرحيم:** يقول الأصفهانى[٢]: «والرحمة رقة تقتضى الإحسان الى المرحوم وقد تستعمل تارة فى الرقة المجردة، وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف به البارى فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة»، وعلى هذا روى أن الرحمة ن الله: إنعام وإفضال، ومن الآدميين: رقة وتعطف، ثم قال الأصفهانى:

---

(١)الشعراء: ٢٣.

(٢) فى كتاب مفردات غريب القرآن مادة «رحم».

«ولا يطلق الرحم الا على الله تعالى من حيث أن معناه لايصلح إلا له، إذ هو الذى وسع كل شىء رحمة، والرحيم يستعمل فى غيره وهو الذى كثرت رحمته، قال تعالى: «إن الله غفور رحيم» وقال فى صفة النبى ﷺ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وقيل إن الله تعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك أن إحسانه فى الدنيا يعم المؤمنين والكافرين، وفى الآخرة يختص بالمؤمنين، وعلى هذا قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(٢).

تنبيها الى أنها فى الدنيا عامة: للكافرين والمؤمنين، وفى الآخرة مختصة بالمؤمنين.

ويقول الشيخ محمود شلتوت(٣) «الرحمن الرحيم: هذه هى الآية الثانية من آيات سورة الفاتحة تشتمل على اسمين كريمين من أسماء الله الحسنى: الرحمن الرحيم. .

والإتيان بهذين الإسمين الكريمين بعد ذكر ربوبية الله تعالى له مغزى عظيم. ذلك بأن الله بين بهما أن ربوبيته وملكه للعالم ليس مصدرهما جبروته وقهره «وهوالقهار الجبار» ولكن مصدرهما عموم رحمته، وشمول إحسانه لجميع خلقه، فإنهم بالرحمة يوجدون، وبالرحمة يتصرفون، وبالرحمة يرزقون، وعلى الرحمة يعتمدون، وبالرحمة يوم القيامة يبعثون ويسألون.

فإن استقر هذا المعنى فى نفوس العباد وأن الله يتحبب إليهم بصفة الرحمة والإحسان كان ذلك أبعث لإقبالهم عليه بصدور مطمئنة وقلوب مؤمنة».

ونحن اذا تتبعنا آيات القرآن وجدنا أن رحمة الله بعباده لها مظهران: مظهر التربية الخلقية ومظهر التربية التشريعية، والحياة كلها تقوم على المادة والروح وبهذايتبين معنى قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٤).

---

(١) التوبة: ١٢٨- ١٢٩.

(٢) الاعراف: ١٥٦.

(٣) شيخ الازهر السابق فى تفسيره ص ٣٤.

(٤) الأعراف: ١٥٦.

ـ **مالك يوم الدين:** هذه الآية تتضمن الكلية الثانية من كليات العقيدة الإسلامية: الوعد والوعيد، والدين: الجزاء والحساب، ومالك يوم الدين، المتصرف فيه بالعفو والصفح وبالمثوبة والعقاب.. وفى الحديث «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» أى حاسب نفسه بنفسه كما قال عمر رضى اله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لاتخفى عليه أعمالكم «يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية» يقول الاستاذ الإمام[1]: علمنا الله تعالى أنه رحمن رحيم، ليجذب قلوبنا اليه، ولكن هل يشعر كل عباده بهذه المنة فينجذبوا إليه الإنجذاب المطلوب؟ كلا، أليس فينا من يسلك كل سبيل لا يبالى بمستقيم ومعوج؟ بلى، ولهذا أعقب سبحانه وتعالى ذكر الرحمة بذكر الدين، فعرفنا أنه يدين العباد ويجازيهم على أعمالهم، فكان من رحمته بعباده أن رباهم بنوعى التربية كليهما: الترغيب والرهيب كما تشهد بذلك آيات القران الكثيرة: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴿٥٠﴾** ﴾[2].

والمؤمن مهما يعمل فإنه يستقبل عمله فى جانب الله، ويستصغر ما أداه فى نظير نعم الله عليه، ويعتقد أن ماقدم فى دنياه من صالح العمل، ومن ألوان الخير والبر لاتجزى إلا إذا رضى عنه مالك يوم القيامة. فلا جرم أن دعا وابتهل إلى مالك الملك والملكوت وإلى مالك يوم الدين ليغمره بغفرانه ورحماته يوم الدين ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾** ﴾[3].

– **إياك نعبد:** وإياك نوحِّد ونخاف ونرجوك ياربنا لاغيرك، فلا نعبد إلا الله، والعبودية تذلل وخضوع، والدعاء تذلل وخضوع، ومن هنا كانت العلاقة بين الدعاء وبين تلك الحقيقة الاسلامية «إياك نعبد»

وكل مفاهيم العقيدة وأهدافها روافد تصل الى هدف اسمى وأعم هو: العبادة

(١) الاستاذ الإمام محمد عبده فى تفسيره للفاتحة.
(٢) الحجر: ٤٩- ٥٠.
(٣) الشعراء: ٨٨- ٨٩.

والعبادة هى المقصد، وهى الغرض من الخلق مصداقا لقول الخالق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[١].

الهدف إذن هو عبادة الله وحده، والتحرر من عبادة ماسواه، التحرر من عبودية المادة، وللمادة سلطان على النفوس تجرفها فتعميها عن أبسط واجبات الإنسانية، وتغطى عليها بردائها فتبعدهاعن رفيع القيم، وعالى المثل، والتحرر كذلك من عبودية الطغاة فلا يخضع المخلوق إلا للخالق.

ومادام المتكفل بالرزق والحياة هو الرازق واهب الحياة فكان من البلاهة أن نستكين إلى الخلق، أو نخشى بطش المخلوق الذى مهما تجبر وتكبر وطغى وبغى فهو ضعيف تؤلمه لسعة، وتؤرقه حسرة، وتعتريه رغما عنه لحظات يشعر فيها بالضعف الإنسانى..

وفى النهاية مهما عمّر فى الأرض، ومهما عمّر فى السن، فمصيره إلى الفناء ومسيرة الى عدم وزوال، والله فوق الخلق حى باق دائم قيوم قوى، فهو الجدير بالعبادة، وإليه وحده نتوجه بالسؤال والإبتهال والإستعانة، «إياك نعبد وإياك نستعين».

- **وإياك نستعين:** والإستعانة هى طلب المعونة، والمعونة هى سد العجز والمساعدة على إتمام العمل الذى يعجز عنه المستعين بنفسه.

والاستعانة بالله فرار الى الله وتعلق النفس به، وطلب العون منه...

استعانة من عاجز ضعيف بقوى قادر، واستغاثة من ملهوف برب رءوف وتوجه ورجاء الى مصرف الأكوان، ومدبر الأمر ليزيل علة، أو يزيح غمة، أو يفرج كربة أو يحقق رجاء وطلبة.

فالزارع مثلا يبذل جهده فى الحرث والعزق وتسميد الأرض وريها، ويستعين بالله تعالى سائلا إياه أن يبعد عن زرعه آفة تهلك المحصول أو تبيد الثمر.

والتاجر يحذق اختيار الأصناف ويمهر فى صناعة الترويج، ويتكل على الله فيما بعد ذلك.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

وهكذا شأن المؤمن العامل فى أى منحى من مناحى الحياة يجد ويكد، ويجتهد ويكافح وينافح بجهاده الذاتى مستمداً من مولاه ما يعينه على إتمام عمله مستعيناً بإلهه وخالقه حتى يكتب له النجاح والوصول الى الهدف والمبتغى.

ومن هنا يكمن الإرتباط وتظهر العلاقة بين الإستعانة والدعاء، يقول الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسيره: «أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة «إياك نستعين» إلى أمرين عظيمين هما معراج السعادة فى الدنيا والآخرة.

أحدهما ـ أن نعمل الأعمال النافعة، وأتقانها ما استطعنا، لأن طلب المعونة لا يكون إلا على عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه، أو يخشى ألا ينجح فيه فطلب المعونة على إتمامه وإكماله. ومن وقع من يده القلم على المكتب لايطلب المعونة من أحد على إمساكه، ومن وقع تحت عبء ثقيل يعجز عن النهوض به وحده يطلب المعونة من غيره على رفعه بعد استفراغ القوة فى الإستقلال به، وهذا الأمر هو مرقاة السعادة الدنيوى، وركن من أركان السعادة الأخروية.

وثانيهما: ما أفادة الحصر عن وجوب تخصيص الإستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك، وهو روح الدين وكمال التوحيد الخالص الذى يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الأغيار، ويفك إرادتهم من أسر الروحاين، والشيوخ الدجالين، ويطلق عزائمهم من قيد المهيمنين الكاذبين، من الأحياء والميتين، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً وسيداً كريماً، ومع الله عبداً خاضعاً ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** (٧١)﴾[1].

واختصاص الله بالتوجه إليه والاستعانة به «إياك نعبد وإياك نستعين» هى الكلية الرابعة التى تنشئها الكليات الثلاث الأولى فلا عبادة إلا لله، ولا إتجاه لغير الله، وما من قوة فى الكون إلا قوته، فالله وحده نعبد، والله وحده نستعين.

---

(١) الأحزاب: ٧١.

المبحث الثانى

«اهدنا الصراط المستقيم»

يشتمل على مطلبين:

١- الهداية

٢- الصراط

المطلب الأول

الهداية

سؤال المؤمن ومبتغاه من دعائه هوالهداية.

يسأل مولاه أن يهديه الى مافيه صلاحه وفلاحه ونفعه ونجحه..

يسأله أن يأخذ بيده وسط ظلام الدنيا الحالك، ووسط الأنواء والأهواء وليوصلة الى مرفأ الأمن والأمان..

والهداية لغة هى الدلالة بلطف على ما يوصل الى المطلوب، وقد منح الله تعالى الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته..

أولاها: هداية الوجدان الطبيعى والإلهام الفطرى، وتكون للأطفال منذ ولادتهم، فإن الطفل بعد ما يولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء، فيصرخ طالباً له بفطرته، وعندما يصل الثدى الى فيه يلهم التقامه وامتصاصه.

الثانية: هداية الحواس والمشاعر، وهى متممة للهداية الأولى فى الحياة الحيوانية، وهاتان الهدايتان تظهران جليا، فى وقت مبكر فى الحيوان الأعجم بعد ولادته بخلاف الإنسان فإنهما يكملان فيه بالتدريج فى زمن قصير، وهذه الهداية هى التى تنهض بأمة النمل والنحل لكى تكون أمة إجتماعية.

الثالثة: هداية العقل وهى خاصة بالانسان حيث توهله حواسه ومشاعره لحياة اجتماعية ملهمة كالحياة التى يعيشها النمل والنحل، وهذه الهداية توجد فى الإنسان عند البلوغ، وهى أرقى من هدايتى الحواس والمشاعر لأنها تصحح أخطاءهما، كما توضح الأسباب التى أدت الى هذه الأخطاء، وهذه الهدايات الثلاث تساوى فيها الخلق جميعاً سواء اعترفوا بواحدانية الله تعالى أم لا.

الرابعة: هداية الدين: وهى أرقى درجات الهداية وهى التى من شأنها السيطرة والتوجيه للهدايتين السابقتين وبالأخص لهداية العقل وذلك عند التكليف فهى التى تنظم للعقل حدود عمله وهو بدوره على ضوء توجيهاتها يحدد للحواس والمشاعر خط سيرها ومسارها فيكون القول أو الفعل سليما صحيحاً معافى من العلل والأسقام المادية والروحية.

وقد أشار القرأن الى أنواع الهداية التى وهبها الله تعالى للأنسان فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴿١٠﴾ ﴾[١].

أى طريقى السعادة والشقاوة، والخير والشر، وهذه تشمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة، وهداية العقل والدين، وهى مما تفضل الله به على جميع أفراد البشر.

ولكن بقى معنا هداية أخرى، أخص من تلك، والمراد بها طلب الإعانة والتوفيق فى السير على طريق الخير، من هذا النوع قوله تعالى: ﴿ **الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾[٢].

وهذه الهداية هى التى ينبغى أن تقصد فى هذه الآية وهى أمر من الله تعالى وجب على المسلمين اتباعه، ذهب إلى هذا الرأى عبدالله بن عباس رضى الله عنهما فيما أخرجه ابن حاتم حيث قال «اهدنا الصراط المستقيم» أى ألهمنا دينك الحق، قال ابن جرير: وإلهامه تعالى إياه هو توفيقه له، فالهداية السابقة على هذه، توقف

---

(١) البلد: ١٠.

(٢) طه: ٥٠.

الإنسان على رأس الطريقين المهلك والمنجى مع بيان ما يؤدى كل منهما إليه، أما هذه الهداية فهى أخص منها إذ المراد منها طلب الدلالة على طريق الخير والنجاة وطلب إعانة الله وتوفيقه للسير فيه، وهى ليست لكل الخلق والناس كالهدايات السابقة، إذ العقل لايهتدى الى الصواب، وربما يخطئ أيضا فى فهم دينه ومعتقده لذلك جاء الدعاء بطلب الإعانة والتوفيق على الدرب المؤدى لحب الله تعالى. أو يراد بطلب الهداية الثبات عليه، وذلك كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[1].

أى ثبتنا على الهداية، واهدنا بمعنى ثبتنا مروى عن على وأُبّى رضى الله عنهما، أو يراد زدنا من هذه الهداية كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[2].

ولعل العدول عن «اهدنى» الى «اهدنا».

١- لأن الدعاء الى الاجابة والقبول أقرب فى صورة الجماعة منه فى صورة الفرد.

٢- ولقول رسول الله ﷺ: «ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها، قالوا يارسول الله، ومن لنا بتلك الألسنة، قال: يدعو بعضكم لبعض لأنك ماعصيت بلسانه، وماعصى بلسانك».

٣- وقوله الرسول ﷺ: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»

٤- أو لأن «اهدنا» موافقا لما سبق فى السورة من لفظ الجماعة فى «الحمد لله رب العالمين». «إياك نعبد وإياك نسعين»، «عليهم ولا الضالين».

ويقول الأستاذ الإمام[3] ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال فى فهم الدين، وفى استعمال الحواس والعقل كان محتاجا الى المعونة الخاصة، فأمرنا الله بطلبها منه

---

(١) آل عمران: ٨.
(٢) محمد: ١٧.
(٣) مرجع سابق ص ٤٦ تفسير المنار.

فى قوله: «اهدنا الصراط المستقيم» فمعنى اهدنا الصراط المستقيم، دلنا دلالة واضحة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ، وما كان هذا أول دعاء علّمنا الله تعالى إياه إلا لأن حاجتنا اليه أشد من حاجتنا الى كل شيء سواه».

أمرنا الهادى أن نسأله سلوك الطريق المستقيم وهو طريق واحد لاعوج فيه ولا انحراف ولا عقابيل.. طريق النور.. طريق الحق والعدالة والشرعية الإلهية.. إنه طريق الوصول إلى الواحد الأحد. الى الله، ومن كان الله هدفه ومبتغاه فقد جمع الخير من أطرافه، وسيقت له الدنيا.

ودعوة الهداية الى الصراط المستقيم وإن كانت تبدو دعوى جزئية إلا أنها تحمل بين طياتها جل مدلولات الأدعية الجزئية، إنها دعوة عامة تغنى عن كل دعاء.. دعوة شاملة، وهذا الشمول يناسب الكليات العقيدية التى تضمنتها هذه السورة!

المطلب الثانى

«الصراط المستقيم»

اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط، وان كان يرجع حاصلها الى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروى أنه كتاب الله، رواه ابن أبى حاتم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «الصراط المستقيم كتاب الله» وكذلك رواه ابن جرير، ورواه أحمد والترمذى فى فضائل القرآن عن على مرفوعا «وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم»، وقد روى موقوفا على علىّ رضى الله عنه.

وقيل هو «الإسلام» قاله الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام، قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم، يقول ألهمنا الطريق الهادى، وهو دين الله الذى لا اعوجاج فيه، وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى

«اهدنا الصراط المستقيم» قال ذاك الاسلام. ورواه السدى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ «اهدنا الصراط المستقيم» قالوا هو الاسلام، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر «اهدنا الصراط المستقيم» قال هو إلاسلام أوسع مما بين السماء والأرض.

وقال ابن الحنفية فى قوله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم» قال هو دين الله الذى لايقبل من العباد غيره. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم«أهدنا الصراط المستقيم» قال هو الاسلام. ويشير الى ذلك أيضا قول الله تعالى ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٥٣﴾ ﴾[1] أى أن سبيلى ودينى مستقيما واضحا لا اعوجاج فيه وهو الإسلام، روى ابن جرير أن رجلا قال لابن مسعود رضى الله عنه: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ فى أدناه وطرفه فى الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يسارة جواد، ثم رجال يدعون من مرّ بهم، فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود «وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله».

وهذا الحديث الذى رواه الإمام احمد فى مسنده عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتى الصراط سور ان فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولاتعوجوا، ودأع يدعو من فوق الصراط، فاذا اراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لاتفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم»[2]. وقال مجاهد «اهدنا الصراط المستقيم» قال: الحق، وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ماتقدم، وقال ابن أبى العالية «اهدنا الصراط المستقيم» قال هو النبى ﷺ وصاحباه من بعده «ابو بكر وعمر رضى الله عنهما».

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) رواه الإمام احمد فى مسنده والترمذى والنسائى، وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم.

وذُكر ذلك للحسن رضى الله عنه فقال: صدق أبو العالية ونصح.

قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال صحيحة، ومتلازمة فان من اتبع النبى ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبى بكر وعمر فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الأسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا ولله الحمد ـ وروى الطبرى عن عبدالله بن عمر قال الصراط المستقيم الذى تركنا عليه رسول الله ﷺ ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى أعنى «اهدنا الصراط المستقيم» أن يكون معنيا به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النبى ﷺ، ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل ذلك من الصراط المستقيم.

وهو الطريق المستقيم وهو كل مايوصل الى سعادة الدنيا والآخرة.

ولقد قال سفيان: فى هذا المقال كلاما حسنا، فيما أخرجه ابن منصور وابن المنذر والبيهقى عنه قال: ليس فى تفسير القرآن أختلاف وإنما هو كلام جامع يراد به هذا وهذا. وأخرج أبو نعيم عن أبى قلابه عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: إنك لاتفقه كل الفقة حتى ترى للقرآن وجوها «الذين أنعم الله عليهم».

المطلب الثالث

«صراط الذين أنعمت عليهم»

قال الإمام محمد عبده: «ذهب بعض العلماء إلى أن المنعم عليهم هم المسلمون غير أن الأدلة لا تنهض فى هذا الرأى بل تعارضه لأن المسلمين وصحابة رسول الله ﷺ أمروا أن يقولوا «اهدنا الصراط المستقيم» وكانت الفاتحة أول سورة نزلت من القرآن كما يقول الإمام على رضى الله عنه، أو من أوائل السور كم قال غيره. ولم يكن المسلمون فى أول نزول الوحى بحيث يطلب الإهتداء بهداهم، وما هداهم إلا من الوحى، ثم هم المأمورون بأن يسألوا الله أن يهديهم هذه السبيل، سبيل من أنعم الله عليهم، ولا يكون هؤلاء إلا غير الصحابة ممن سبقهم من الأمم الماضية» ثم قال: وإنما المراد بهذا ما جاء فى قوله تعالى ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾**﴾[1] أى من الأمم السابقة.

ويراد من النعمة، نعمة الدين، وقد يضاف إليها نعمة الدنيا الخادمة والممهدة لنعمة الدين، وعلى هذا جرى جمهور المفسرين، أى أن المنعم عليهم هم الأربعة المذكورون فى الآية السابقة.

ومن ثم المراد من الآية «صراط الذين أنعمت عليهم» أى طريق المؤمنين الذين أنعمت عليهم بالإيمان..

وطريق المسلمين الذين هديتهم من لدن آدم إلى الآن فارتضيت لهم الإسلام دينا وسميتهم المسلمين.. صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الأمم السالفة. اهدنا صراطهم الإيمانى، وطريقهم العقيدى لنسلكه، فنسلك فى عدادهم ونحشر معهم..

---

(١) سواة النساء: الآية ٦٩.

وهنا سوال وهو : كيف يأمرنا الله تعالى باتباع ما تقدمنا وعندنا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم، وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم وأصلح لزماننا وما بعده؟

والقرآن يبين لنا الجواب، وهو أنه يصرح بأن دين الله فى جميع الأمم واحد، وإنما تختلف الأحكام بالفروع التى تختلف باختلاف الزمان، وأما الأصول فلا خلاف فيها، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[2].

فالإعتقاد بالله وبالنبوة وبترك الشر وبعمل البر والتخلق بالأخلاق الفاضلة مستو فى الجميع، وقد أمرنا الله بالنظر فيما كانوا عليه والاعتبار بما صاروا إليه، فنقتدى بهم فى القيام على أصول الخير، وهو أمر يتضمن الدليل على أن فى ذلك الخير والسعادة على حسب طريقة القرآن فى قرن الدليل بالمدلول، والعلة بالمعلول، والجمع بين السبب والمسبب، وتفصيل الأحكام التى هذه كلياتها بالاجمال نعرفه من شرعنا ونبيا عليه الصلاة والسلام.

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) النساء: ١٦٣- ١٦٤.

المطلب الرابع

«غير المغضوب عليهم ولا الضالين»

هذه الآية من تمام الدعاء المبدوء بقوله تعالى: «اهدنا الصراط المستقيم».

فمن المغضوب عليهم؟ ومن الضالون؟

للعلماء آراء نذكرها فيما يلى: ذهب ابن كثير الى أن المغضوب عليهم هم اليهود وأن الضالين هم النصارى، للحديث الذى رواه أحمد بن عدى بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: «غير المغضوب عليهم»

قال هم اليهود

«ولا الضالين»

قال النصارى[1].

وأبدى ابن كثير رأيه فى هذا فقال: كل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[2].

وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[3].

قال ابن أبى حاتم: لا أعلم فى هذا خلافا عن المفسرين.

وأخرج احمد وأبو داود وابن حيان عن الشريد قال مرّ بى رسول الله ﷺ، وقد

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وعبد بن حميد والترمذى وحسنه وابن حبان صحيح.

(٢) المائدة: ٦٠.

(٣) المائدة: ٧٧.

وضعت يدى اليسرى خلف ظهرى واتكأت على إلية يدى، قال: أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟! قال الطيبى[1]: والمراد من المغضوب عليهم اليهود ثم قال وفى التخصيص بالذكر فائدتان: إحداهما أن هذه القعدة مما يبغضه الله تعالى - والأخرى: أن المسلم ممن أنعم الله عليه ينبغى أن يتجنب التشبه بمن غضب الله عليه.

ولم يشذ عن القول بأن المغضوب عليهم هم اليهود إلا المكارى فقد تتبع هذا الحديث وقال فى كون اليهود هم المراد من المغضوب عليهم فى الحديث السابق محل بحث، وتتوقف صحته على أن يكون هذا شعارهم!

قال والأظهر أن يراد بالمغضوب عليهم أمم من الكفار والفجار المتكبرين المتجبرين ممن تظهر آثار الكبر والعجب عليهم من قعودهم ومشيهم ونحوهما.

وأضاف - والظاهر أن عكس فعله أيضا يتعلق به الإنكار، وكذا وضع اليدين معا وراءه متكئا عليهما من قعدة المتكبرين.

ويرى الإمام محمد عبده: أن المختار فى تفسير المغضوب عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به، والذين بلغهم شرع الله تعالى ودينه فرفضوه، ولم يتقبلوه انصرافاً عن الدليل. كالوجوديين والشيوعيين مثلا.. وغضب الله تعالى لايشبه غضبنا فقد يفسر الغضب بلازمة وهو العقاب، ويذهب السلف الى أنه شزنمن شئون الله الله تعالى يترتب عليه عقوبته وانتقامه.

أما الضالون فهم الذين لم يعرفوا الحق البتة، أو لم يعرفوه على الوجوجه الصحيح، ويقسم الإمام محمد عبده الضالين الى أقسام:

(أ) من لم تبلغهم الدعوة الى الرسالة أو بلغتهم عن وجه لايسوق الى النظر.

(ب) من بلغته الدعوة على وجه يبعث على النظر فاجتهد غير أنه لم يوفق.

---

(١) الطيبى: هو الحسين بن محمد من علماء الحديث والتفسير، قال عنه العسقلانى: كان الطيبى آية فى استخراج الدقائق من القرآن والسنن، توفى سنة ٧٤٣هـ.

(جـ) من بلغتهم الدعوة والرسالة فصدقوا بها من غير نظر فى أدلتها فاتبعوا أهواءهم فى فهم ما جاءت به.

(د) ضلال فى الأعمال وتحريف فى الأحكام عما وضعت له.

وذهب الإمام الفخر الرازى فى تفسيره للمغضوب عليهم وللضالين الى آراء أهمها: أن المغضوب عليهم هم اليهود أو الفساق والذين أخطأوا فى الأعمال الظاهرة أو الكفار، والضالين هم النصارى أو من أخطأوا فى الإعتقاد أو المنافقون، غير أنه ضعف الرأى القائل بأنهم اليهود والنصارى، ورجح الرأى القائل بأنهم الكفار والمنافقون وأقام الدليل على ذلك قائلا: إن هذا الرأى موافق لما جاء فى القرآن، فى أول سورة البقرة حيث ذكر المؤمنين ثم الكافرين ثم المنافقين، وهكذا فى سورة الفاتحة:

«أنعمت عليهم» «المغضوب عليهم» «الضالين».

واختلف فى حقيقة لا فى قوله تعالى «ولا الضالين» إلى آراء أهمها مايلى:

١- قال الطبرى: هى زائدة، ومنه قول تعالى﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ** ﴾[١].

وأيد ذلك الخفاجى[٢] قائلا: إنها زائدة عند أهل البصرة، وإنما تزاد بعد الواو العاطفة فى سياق النفى للتأكيد أو التصريح بشمول النفى لكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه لئلا يتوهم النفى للمجموع من حيث هو مجموع، فليست زيادتها مؤدية الى لغويتها، وإنما ذلك بحسب أصل المعنى المراد.

٢- قال الكوفيون: هى بمعنى «غير».

٣- وقال غيرهم هى «للتأكيد».

والغضب هو تغير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة القلب.

---

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) الخفاجى: هو أحمد بن محمد الفقيه واللغوى والأديب المصرى، توفى عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م.

المبحث الثالث

«آمين» والأحكام المتعلقة بها

معنى «آمين» استجب يا الله فلفظها دعاء مشروع.

قال ابن عباس قلت يارسول الله: مامعنى آمين؟ قال «رب افعل».

وقال الجوهرى معن آمين كذلك فليكن. وقال الترمذى: معناه لاتخيب رجاءنا. وقال الأكثرون معناه: اللهم استجب لنا.

صلتها بالفاتحة

هى ليست من القرآن إجماعا، ولذا سن الفصل بينها وبين آخر الفاتحة بسكتة لطيفة، أما ماروى عن مجاهد أنها من السورة فلا ينبغى أن يلتفت إليه، لإنها لم تكتب فى المصحف الإمام ولا فى المصاحف أصلا ولهذا لم نرستدا لقول مجاهد رضى الله عنه.

مشروعيتها

روى ابن أبى شيبة والبيهقى عن أبى ميسرة أن جبريل أقرأ النبى ﷺ فاتحة الكتاب فلما قال ولا الضالين قال له قل آمين فقال: أمين.

موضعها

بالنسبة للمنفرد فى صلاته أو الإمام لاخلاف إذهى بعد «ولا الضالين». أما بالنسبةللمأموم فقيل تأمينه بعد قول الإمام آمين، وقيل تأمينه مع الإمام أى مصاحبا له.

فوائدها.. وثمرتها

١- التفضل من الله تعالى بالإجابة لعبادة المؤمنين. روى ابن مردويه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين» وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت آمين فى الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد

قبلى إلا أن يكون موسى كان موسى يدعو وهارون يؤمِّن فاختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيبه لكم».

٢- محبة الله تعالى: أخرج مسلم وغيره عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إذا قرأ ـ يعنى الإمام ـ غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا آمين، يجيبكم الله، ومن أجل ذلك كان بلال يقول: لاتسبقنى بآمين يارسول الله، وكان أبو هريرة ينادى الإمام لاتفتنى بآمين كما رواه البخارى عنه، وعن البيهقى أن أبا هريرة كان يؤذن لمروان فاشترط أن لايسبقه بالضالين، وكأنه كان ينشغل بالإقامة تعديل الصفوف، وكان مروان يبادر إلى الدخول فى الصلاة قبل فراغه، فنهاه أبو هريرة عن ذلك.

٣- غفران الذنب: روى الشيخان[١، ٢] قوله ﷺ: إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من

---

* الشيخان «البخارى ومسلم..»

(١) الامام البخارى: هو الإمام العلم حبر الاسلام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى الجعفى صاحب الصحيح فى حديث الرسول ﷺ، وصاحب التصانيف الجليلة، ولد ببخارى سنة أربع وتسعين ومائة، وارتحل فى طلب العلم، وسمع من الف شيخ، وكان من أوعية العلم، يتوقد ذكاء، ولم يخلف بعده مثله، وعن أبى اسحق الريحانى ان البخارى كان يقول: صنفت كتاب الصحيح بست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى وقال مسلم للبخارى: لايعيبك إلا حاسد، وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك وكان يقول: أرجو أن ألقى الله عز وجل لايحسبنى أنى اغتبت أحداً، وكان لايضع حديثًا فى كتابه الصحيح إلا ويصلى بعده ركعتين شكرا لله، ثم جاء البخارى إلى خزنتك، وهى قرية من قرى سمرقند، على بعد فرسخين منها، ونزل على أقرباء له بها، ثم دعا بالليل فقال: اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى اليك. فما تم الشهر حتى قبضه الله عز وجل اليه، وقبره بخرتنك، وتوفى ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، ومناقبة كثيرة.

(٢) الإمام مسلم: هو أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح، وأحد أركان الحديث، ولد سنة أربع ومائتين، وجال فى طلب العلم فى بلاد كثيرة، وكان من الثقات المأمونين ـ قال: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة حديث مسموعة وقال الخطيب البغدادى: كان مسلم يناضل عن البخارى حتى أوحش مابينه وين محمد بن يحيى الذهلى بسببه. وكتابه الصحيح حسن التصنييف قليل التكرار، وبعضهم يفضله على البخارى، ولكن أهل الإتقان والتحرى يرون البخارى أدق وأصح وأوسع فى صناعة الحديث، وروى عن مسلم أنه كان صاحب تجارة بخان بحمس بنيسابور، وكان له أملاك وثروة، وتوفى رضى الله عنه سنة إحدى وستين ومائتين.

وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» فهذاالحديث يفيد أن الله يغفر ذنب المأموم الذى وافق تأمينه تأمين الملائكة.

نفحات من السنة وردت فى التأمين

١- عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه»[١].

٢- وقال وائل بن حجر: سمعت رسول الله ﷺ قرأ «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فقال آمين يمد بها صوته»[٢].

٣- عن ابى هريره[٣] رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ اذا تلا: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال «آمين» يسمع من يليه من الصف «الصف الأول»[٤].

٤- قال ابن شهاب[٥] كان رسول الله ﷺ يقول «آمين»[٦].

---

(١) اخرجاه فى الصحيحين.

(٢) رواه احمد وابو داود والترمذى.

(٣) هو الصحابى الجليل المعروف أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوس، كانت له هرة صغيرة فكنوه بها، وكان كثير العبادة والذكر حسن الأخلاق، وكان أحفظ الصحابة وأكثرهم رواية لحديث رسول الله ﷺ، زادت مروياته عن مسة الاف حديث، وولاه الرسول ذات مره ولاية المدينة، وكان فقيرا يخدم الناس قبل صحبته لرسول الله ﷺ على ملء بطنه، وكان لا يسأل الناس شيئا رغم ذلك. ورفع يوما على جاريته سوطا ثم قال: لولا خوف القصاص لأوجعتك، ولكن سأبيعك لمن يوفينى ثمنك، أذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى. وكان يقول: المرض لايدخله رياء ولاسمعه، بل هو أجر محض، ومع هذا كان فى أبى هريرة دعابة. كان أثناء الخلاف بين على ومعاوية يصلى خلف على ويأكل على سماط معاويةويعتزل القتال، ويقول: الصلاة خلف على أتم، وسماط معاوية أدسم، وترك القتال أسلم. أسلم عام خيبر سنة سبع، وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل، ولما حضره الوفاة بكى فقيل له فى ذلك فقال: أبكى على بعد سفرى، وقلة زادى، وأنى أصبحت على مهبط جنة أونار لا أدرى أيهما يأخذ بى. توفى فى خلافة معاوية سنة سبع وخمسين وله من العمر ثمان وسبعون.

(٤) رواه ابو داود ابن ماجة وقال: حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتجع بها المسجد

(٥) ابن شهاب الزهرى: تابعى كان يحفظ ألفين ومائتى حديث نصفها مُسْنَد، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه، توفى سنة ١٢٤هـ.

(٦) رواه الجماعة إلا أن الترمذى لم يذكر قول ابن شهاب

٥- وفى رواية «إذا قال الإمام «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فقولوا «آمين» فإن الملائكة تقول «آمين» وإن الإمام يقول «آمين» فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه»[١].

وهذه الاحاديثوغيرها مما ورد فى صحاح الحديث ومؤلفات التفسير أفادت جميعها أن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه، كما أفادت محبة الله لمن يقولها فى صلاته ودعائه، ومن أحبه الله تفضل عليه بإجابة دعائة، وكانت أعماله مقبولة عند ربه وذلك كله ببركة «آمين».

من هم الملائكة المؤمِّنون؟

أى الذين يقولون «آمين».

١- قيل هم الحفظة، ووجه الاعتراض على ذلك بما رواه مسلم عن النبى ﷺ فى الحديث اللاحق، انهم ملائكة السماء.

٢- ومن ثم قيل: هم ملائكة السماء، لما رواه مسلم عن رسول الله ﷺ قال «اذا قال أحدكم فى الصلاة «آمين» والملائكة فى السماء «آمين» فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ماتقدم من ذنبه».

٣- وقيل هم الملائكة الذين يشهدون الصلاة، سواء كانوا ملائكة الأرض أو ملائكة السماء. لذلك قال ابن حجر فى الفتح والذى يظهر أن المراد من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن فى الأرض أو فى السماء.

ومن حيث نوع موافقة تأمين المأموم لتأمين الملائكة

فقد اختلف فى ذلك أيضا:

١- الموافقة فى القول والزمان، ونقل عن ابن المنير: أن الحكمة فى إيثار الموافقة فى القول والزمن، أن يكون المأموم على يقظة للاتيان بالوظيفة فى محلها،

---

(١) رواه احمد والنسائى.

لأن الملائكة لاغفلة عندهم، فمن وافقهم كان مستيقظا، ونقل عنه أيضا قوله: وأى فضل أعظم من كونه قولا يسيراً لا كلفه فيه، ثم قد ترتبت عليه المغفرة.

٢- قال الحافظ المراد بتأمين الملائكة استغفارهم للمؤمنين.

٣- وقال ابن حبان: الموافقة فى الاخلاص والخشوع، لأنه قد يتيّسر للمأموم مع توفير اليقظة بخلاف الأول، فإن الموافقة لايستطيع المأموم تحديد زمانها بالحرف والكلمة حتى يوافق تأمينه تأمين الملائكة.

٤- قال ابن عربى فى كتابه الفتوحات المكية: من وافق تأمينه تأمين الملائكة موافقة طهارة وتقديس ذوات كرام بررة، أجابه الحق عقب قوله آمين باللسانين.

٥- يقول ابن العربى المعافرى فى كتابه أحكام القرآن(١): فترتيب المغفرة للذنب على أربع مقدمات، ذكر منها ثلاثًا وأمسك عن واحدة لأن ما بعدها يدل عليها؛ المقدمة الأولى: تأمين الإمام؛ الثانية: تأمين من خلفه، الثالثة: تأمين الملائكة؛ الرابعة: موافقة التأمين. فعلى هذه المقدمات الأربع تترتب المغفرة وإنما أمسك عن الثالثة اختصاراً لاقتضاء الرابعة لها فصاحة.

حكم التأمين

للعلماء فى ذلك آراء:

١- الأمر للندب: قاله الحافظ عن الجمهور.

٢- الأمر للوجوب: حكاه ابن بزيزه عن بعض أهل العلم عملا بظاهر الأمر.

٣- وجوب التأمين على كل من يصلى، ذهب إليه أهل الظاهر.

٤- التأمين بدعة: حكاه المهدى فى البحر عن العترة جميعا، وقد استدل صاحب

---

(١) أحكام القرآن لابن العربى: ١/ ٦.

البحر على أن التأمين بدعة بحديث معاوية بن الحكم السلمى وهو « إن هذه صلاتنا لا يصلح فيها شىء من كلام الناس».

وجملة القول: أن التأمين فى الصلاة مشروع بنص الأحاديث الصحيحة الصريحة، فلا وجه لمنعه بعموم أحاديث أخرى لا تنافيها ولو عارضتها لوجب ترجيحها عليها، إذ أن أحاديث التأمين صحيحة صريحة مثبتة للعمل بها كما قلنا.

ويمكن الرد على من ادعى بأن التأمين بدعة، بأن عليّا رضى الله عنه أثبت التأمين بفعله وروايته له عن النبى ﷺ فى كتب أهل البيت وغيرهم.

ويؤيد ذلك أيضا ما حكاه الإمام محمد ابراهيم الوزير عن الإمام المهدى محمد بن المطهر، وهو أحد أئمتهم المشاهير أنه قال فى كتابه «الرياض الندية»: ان رواة التأمين جم غفير، قال: وهو مذهب زيد بن على، واحمد بن عيسى، كما رد عليهم بأن حديث: «إن هذه صلاتنا لايصلح فيها شىء من كلام الناس» عام، وأحاديث التأمين خاصة، كما أن المراد بكلام الناس فى الحديث هو تكليمهم، لأنه اسم مصدر كما يدل على ذلك السبب المذكور فى الحديث، وهو أن معاوية بن الحكم السلمى شمت عاطسا فى الصلاة مع النبى ﷺ، فرماه القوم بأبصارهم، فقال: واثكل أماه مالكم تنظرون الى؟ قال فذكر الحديث السابق.

قاعدة: التأمين فى الدعاء ملازم له، سواء إذا دعا غيرك فأمنته على دعائه أو عقب دعاء الرجل لنفسه أو لغيره.

مثال(١) يقول الله تعالى حاكيا عن دعوة نبى الله موسى عليه السلام على فرعون وحاشيته ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس: ٨٨]. فأجاب الله الدعاء ﴿ **قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٨٩﴾ ﴾ [يونس: ٨٩].

فى الآية [٨٨] نجد أن الذى دعا هو موسى عليه السلام وحده، بينما نرى فى

الآية [٨٩] أن الله تعالى يبشر اثنين باستجابة دعائهما ويخاطبهما بالتثنية (دعوتكما، استقيما، تتبعان) فموسى دعا، وأخوه هارون أمَّن على دعائه، وعليه نستنبط هذه القاعدة أيضًا: أن من أمّن على دعاء كمن دعايه، ولهذا قال بعض الفقهاء: لا يقرأ المأموم لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها.

ومثال (٢) يروى عن أبى زهير النميرى قال: خرجنا مع النبى ﷺ ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألحّ فى المسألة، فوقف النبى ﷺ يستمع منه، فقال النبى ﷺ «أوجب إن ختم» فقال الرجل من القوم: بأى شىء يختم يا رسول الله؟ قال: «آمين» وانصرف، فقيل للرجل: يا فلان اختم بآمين، وابشر (رواه أبو داود).

على ضوء ما سبق نستطيع القول بأن الله تعالى رسم لعباده الطريق الأمثل فى الدعاء، وحدد صورته الفضلى الجامعة لكل خير يرفع صاحبه الى مصاف ملائكته تعالى، ولم تكتف عدالة الله تعالى بهذا فقط بل جعل جل جلاله هذا الدعاء الذى ختم به سورة الفاتحة أمراً واجباً فى اليوم والليلة بما يزيد على سبع عشرة مرة بما يكفل له الرضا والقبول عند الله تعالى.

فقد استقر معظم فقهاء الإسلام على أن الفاتحة فرض فى كل ركعة من ركعات الصلاة، وقول الله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين».

جزء من هذه السورة المفروضة فى الصلاة، سواء كانت تلك الصلاة فرضا أو نفلا، لهذا أخذ هذا الدعاء صورة الفرض العينى على كل مكلف. وضح بهذا، أن الله تعالى صاغ لعباده أبلغ الأساليب للاتصال به، وأوجب على المسلمين أعظم تركيب بيانى للاستجاء به، كما ألزمهم بتكراره فى أوقات الليل والنهار وفيها من ساعات القبول ولحظات الرضا ما فيهما، وأن هذه الآية لمن أقوى الأدلة على أن أمر الله تعالى عبادة بالدعاء، فى غير هذه الآية محمول على الوجوب لا الندب، وكيف لايكون كذلك وهو الذى أودع كل ما فصله فى قرآنه المجيد فى سورة الفاتحة التى هى أم القرآن.

هذه هى الفاتحة «من أعلى الكلام فصاحة وبلاغة وجمعا للمعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة، واشتمالا على مهمات الدين من صفات الله التى تجذب قلب من تدبرها الى حبه، وتنطق لسانه بحمده، وتعلى همته بتوحيده، وتهذب نفسه بمعانى أسمائه وصفاته واحاطة ربوبيته وملكه، وتذكره يوم الدين الذى يجزى فيه على عمله، وتوجه وجهه الى السير على الصراط المستقيم فى خاصة نفسه، وفى معاملة الله، ومعاملة خلقه، وتذكره بالقوة الصالحة فى ذلك باضافة الصراط الذى يتحرى الاستقامة عليه، ويسأل الله توفيقه دائماً له، الى من أسبغ الله عليهم نعمه ومنحهم رضوانه، وجعلهم هداة خلقه بأقوالهم وأسوتهم الحسنة فى أفعالهم، مثال الكمال فى آدابهم وأخلاقهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وتحذّره من شرار الخلق الذين يؤثرون الباطل على الحق، ويفضلون الشر على الخير على علم منهم بذلك وهم المغضوب عليهم، أو على جهل به كالذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وهم الضالون»[١].

ويقول الشيخ محمود شلتوت[٢]: «إن المتتبع للقرآن جميعه الواقف على مقاصده ومعارفه يرى أنه جاء تفصيلا لما أجملته هذه السورة، وحددته من طريقى الكمال الانسانى فى قوتيه: قوة النظر والعلم وقوة الكسب والعمل».

ويقول الشيخ محمد عبده[٣]: «إن الفاتحة مشتمله على إجمال ما فصل فى القرآن حتى من الأخبار التى هى مثل الذكرى والاعتبار وينبوع العظمة والاستبصار، وأخبار القرآن تنطوى فى إجمال هذه الآية: «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين».

مفاهيم وقواعد.. وكليات وأصول.. وتواريخ وأحداث.. وصور ومشاهد.. كل ذلك تضمنته فاتحة الكتاب فكانت دفقة من دعاء وشحنة من ابتهال يكمن فيها قوة

---

(١) ص: ٧٨ من تفسير المنار.
(٢) ص ٤٦ من تفسير شلتوت.
(٣) سورة الفاتحة لأن سورة الفاتحة لها أكر من عشرين إسما منها الشفاء، وأم الكتاب وفاتحة الكتاب.

عدة يتزودها الداعى، ويتسلح بها الذاكر، يشحن بها طاقته ويشحذ بها إيمانه، ويدمج بها معرفته ويقينه، يدعو بها بعد أن يستقرئ كل متضمناتها، ويستتبعه بعين البصير الفاحص المتأمل، ويقلب المؤمن الخاشع الوجل وبإحساس المتدين الذى يتعظ بالذكرى، ويعتبر بالنهايات، ويعتقد فى عمق وقوة بهذه القواعد وتلك النواميس.

جاء فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل، فاذا قال العبد «الحمد لله رب العالمين» قال الله: «حمدنى عبدى» فاذا قال: الرحمن الرحيم» قال الله: أثنى على عبدى» فإذا قال: «مالك يوم الدين» قال الله: «مجدنى عبدى»، وإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» قال الله: «هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل»، وإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال« هذا لعبدى ولعبدى ما سأل».

سؤال.. وجواب

يقول السيد محمد رشيد رضا: لقد قطع شيخنا الإمام: «محمد عبده»: بأن فاتحة الكتاب أول سورة نزلت من القرآن الكريم، وهو مروى عن علىّ كرم الله وكهه، واستدل على ذلك بوضعها فى أول القرآن الكريم بالإجماع، وموضوعها الشامل لمقاصده الكلية بالإجماع الذى عمل به وجه تسميتها.، وذهب الجمهور الى أن أول ما نزل من القرآن هو أول سورة العلق.. فكيف كان ذلك؟

والجواب.. أنه يمكن الجمع بين هذين الرأيين، بأن أول مانزل من القرآن هو أول سورة العَلَق، وأول سورة كاملة تامة نزلت هى سورة الفاتحة والدليل على ذلك أن بقية آيات سورة العلق نزلت بعد فريضة الصلاة، وكانت الصلاة تؤدى بقراءة «فاتحة الكتاب»، وجاء فى سورة العلق ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾[1]. وقد وضعت هذه السورة، أى العلق فى قصار المفصل من أخر القرآن.

---

(١) العلق: ٩، ١٠.

المبحث الرابع

الآية الثانية: فى سورة النساء، قول الله تعالى: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)﴾[١]. . أفادت الآية التأدب عند مباشرة الدعاء. . وشاهدنا فى هذه الآية هو قوله تعالى: «واسألوا الله من فضله» حيث يتجلى فيه وضوح الأمر الإلهى إلى العباد ليسألوه تعالى من الآئه ونعمه وخيراته التى بثها فى الوجود كله، لذا يغلب على هذا السؤال الجانب المادى، فتكون هذه الآية، وآية الفاتحة «اهدنا الصراط المستقيم» قد جمعتا خيرى الروح والمادة للإنسان المؤمن، ولأجل الوقوف على معنى الآية يجمل بنا أن نبين جهة الربط بينها وبين ماسبقها من آيات، وأن نذكر الآراء التى وردت فى سبب نزولها.

صلة الآية بما قبلها

الآيات المتقدمة على هذه، وهى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا (٣١)﴾[٢]. قال القفال رحمه الله تعالى.

لما نهى الله تعالى المؤمنين فى الآيات المتقدمة على هذه الآية، عن أكل الأموال بالباطل، وعن قتل النفس، بعد هذا أمرهم فى هذه الأية بما سهل عليهم ترك هذه المنهيات وهو أن يرضى كل أحد بما قسم الله له، فإذا لم يرض بذلك وقع فى الحسد، وهذا بدوره يوقعه لا محالة فى أخذ الأموال بالباطل، وفى قتل النفوس. فأما إذا

---

(١) النساء: ٣٢.

(٢)النساء: ٢٩ - ٣١.

رضى بما قدره الله، أمكنه الاحتراز عن الظلم فى النفوس، وفى الأموال. أو يقال أن الإسلام يحرص كل الحرص على طهارة الإنسان ظاهراً وباطنا.

وطهارة الظاهر تستفاد من قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل»..»، وطهارة الباطن تستفاد من قوله تعالى: «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض... الآية». فتفيد الآية الأولى تظهير الجوار من أكل أموال الناس بالباطل، ومن قتل النفس، وتفيد الآية الثانية: تطهير القلب من التعرض لأموال الناس وأنفسهم من طريق الحسد. فهذا الذى سقناه، وما ذكرناه من حيث القفال إنما ينتهى الى هدف واحد ألا وهو الرضا بما قسم الله للعبد دون التعرض لما فى أيدى الناس، سواء كان هذا التعرض عن طريق الحسد أو الغبطة. إذا الأول محرم مذموم، والثانى قد يجر الانسان الى مالايحمد عقباه فزولى به تركه وإن كان جائزا.

أسباب النزول

أما أسباب نزول هذه الآية فكثيرة.. نذكر منها مايلى:

١- قال الإمام احمد حدثنا سفيان(١) عن أبى نجيح عن مجاهد(٢) قال: قالت أم

(١) سفيان الثورى: سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من مضر، أمين المؤمنين فى الحديث، سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى، له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير وكلاهما فى الحديث. توفى بالبصرة عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م.

(٢) هو الإمام أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وفى الطبقات ابن حنين، الحبر المكى، الذى قال فيه خصيف: كان أعلمهم بالتفسير. والذى حدث عن نفسه فقال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وقال له ابن عمر: وددت أن نافعا يحفظ حفظك! وقال سلمة بن كهيل: ما رأيت أحداً أراد بهذا العلم وجه الله تعالى إلا أعطاه وطاووساً ومجاهداً. وقال الأعمش: كنت إذا رأيت مجاهدا تراه مغموما! فقيل له فى ذلك فقال: أخذ عبدالله بن عمر بيدى ثم قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدى وقال لى «ياعبد الله كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ومن كلام مجاهد: لايكون الرجل من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا، ومضطجعا. ويقول: ليس أحدا إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبى ﷺ. ويقول: يؤمر العبد الى النار فيقول: يارب، ما كان هذا ظنك بى، وأنت أعلم، فيقول الله عز وجل وهو أعلم: ما كان ظنك بى؟ فيقول: أن تغفر لى، فيقول الله تعالى: خلوا سبيله. وكان يقول: ليكن آخر كلام أحدكم عند منامه «لا إله إلا الله» فإنها وفاة لايدرى لعلها تكون منيه. مات رضى الله عنه بمكة وهو ساجد، سنة ثلاث ومائة كما فى الشذرات. وفى الطبقات: سنة ثنتين ومائة، وعمره كان فيهما ثلاث وثمانون سنة.

سلمة: يارسول الله تغزو الرجال ولاتغزو ولنا نصف الميراث فأنزل الله «ولاتتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض»(١)

٢- وقال عبدالرازق أخبرنا معمر عن شيخ من أهل مكه قال: نزلت هذه الآية فى قول النساء: ليتنا الرجال، فنجاهد كما يجاهدون، ونغزو فى سبيل الله عز وجل.

٣- وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى الآية قال: أتت امرأة الى النبى ﷺ فقالت يارسول الله: للذكر مثل حظ الانثتين وشهادة امرأتين برجل، أفنحن فى العمل هكذا إن فعلت إمرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة، فأنزل الله هذه الآية «ولاتتمنوا» الآية، . . فإنه عدل منى وأنا صنعته.

٤- وقال السدى: لما نزلت آية المواريث قال الرجال: نرجو أن نفضل على النساء فى الآخرة، كما فضلنا فى الميراث، وقالت النساء: نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال، فنحن أحوج لأنا ضعفاء، وهم أقدر على طلب المعاش، فنزلت الآية.

٥- وقيل أيضا فى سبب نزول الآية أن واحدة من النساء أتت الى رسول الله ﷺ وقالت: رب الرجال والنساء واحد، وأنت الرسول الينا واليهم ، وأبونا آدم وأمنا حواء، فما السبب فى أن الله يذكر الرجال ولايذكرنا. . فنزلت الآية.

فقالت: وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا؟!

فقال ﷺ «إن للحامل منكن أجرا الصائم القائم، فاذا ضربها الطلق لم يدر أحد مالها من الأجر، فإذا أرضعت كان لها بكل مصة أجر إحياء نفس.

٦- وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية قال: ولا يتمنى الرجل فيقول: ليت لو أن لى مال فلان وأهله، فنهى الله عن ذلك، ولكن يسأل الله من فضله. وفى الحديث الشريف عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ

---

(٣) النساء: ٣٢.

«سلو الله من فضله، فان الله يحب أن يسأل، وان أحب عباد الله الى الله الذى يحب الفرج»[1].

ولعل المراد من كسب الرجال والنساء الكسب الدنيوى أو الاخروى أوهما معا. وقد نهت الآية الكريمة عن تمنى نعمة الغير «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض» أى فى الأمور الدنيوية وكذا الدينية «للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن» أى كل له جزاء على عمله بحسبه، إن خير فخير، وان شر فشر، هذا قول ابن جرير، وقيل المراد بذلك فى الميراث أى كلٌ يرث بحسبه. ثم أرشدهم الحق تبارك وتعالى الى مايصلحهم فقال «واسألوا الله من فضله» أى لاتتمنوا ما فضلنا به بعضكم فان هذا أمر محتوم، أى أن التمنى لايجدى شيئا، ولكن سلونى من فضلى أعطكم فإنى كريم وهاب.

والسؤال إن كان فى صورة الأمر ففى الهمزة رأيان:

الأول: حذفها وهى قراءة ابن كثير والكسائى وهذا مشروط بأن يكون أمرا من السؤال، ويشترط أن يكون مسبوقا بالوار والفاء.

الثانى: بقاء الهمزة وهو الأصل.

أما إذا كان الأمر للغائب فالاتفاق على بقاء الهمزة، وكذلك اعراب «من فضله فيه رأيان:

(أ) قال أبو على الفارسى إنه فى موضع المفعول الثانى والمفعول الأول هو لفظ الجلاله.

(ب) قال سيبويه هو صفة حلت محل المفعول الثانى والتقدير «اسألوا الله نعمة من فضله».

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية.

الفوائد

١- فبعد أن نهى الله تعالى المؤمنين عن تمنى ما فى يد الغير خشية أن يكون ما يتمناه المرء سببا فى جلب الضر له، علّمهم الحق تبارك وتعالى كيف يكون الطلب من الله جل شأنه، وكيف يراعى المسلم فيه الذوق والأدب والتحشم، فلا ينبغى للسائل أن يسأل ربه أن يعطيه مثل ما أعطى فلانا أو علانا. . لان ذلك فضلا عن كونه لون من ألوان الحسد منهى عنه، ففيه سوء أدب فى الطلب، فهو وان كان قد حدد طلبه مع الله، فإنه لم يفوض الأمر له فيما يتمنى ويرجو!!

وقد أرشدنا الله الى أفضل مايدعو به المؤمن أن يقول ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١].

٢- وان فى ذكر المفعول الثانى على هذه الصورة وهى قوله تعالى «من فضله» لحامل قوى للمرء على وجوب مراعاة التأدب مع الله تعالى فى السؤال والطلب، كما أنه تنبية له، فلايجوز له ان يعين شيئا فى الدعاء والطلب، ولكن عليه أن يسأل الله تعالى من فضله مافيه صلاح دينه ودنياه على الاطلاق

٣- ثم ذيلت الآية بما يفيد جهل الانسان بمصالحه، وإحاطة علم الله تعالى بكل شىء. فقال تعالى «إن الله كان بكل شىء عليما» أى هو عليم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها، وبمن يستحق الفقر فيفقره، وعليم بمن يستحق الآخرة فيقيّضه لأعمالها، وبمن يسحق الخذلان فيخذله عن تعاطى الخير وأسبابه[٢]. فعلى الداعى ان يفوض أمره الى الله تعالى فى دعائه، لأنه العليم بما يصلح للسائلين من عباده، فليقتصر السائل على المجمل من الطلب، وليتجنب التحديد والتعيين فى دعائه، فربما كان مطلوبه الذى عينه وحدده مصدر شره وعقابه وخسرانه، وسبب نكده وآلامه.

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير فى تفسير هذه الآية.

وروى قتادة[1] عن الحسن رضى الله عنه أنه قال: «لايتمن أحد المال فلعل هلاكه فى ذلك المال» ولهذا قال المحققون: لايجوز للإنسان أن يقول اللهم اعطنى داراً مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان، بل ينبغى أن يقول: اللهم اعطنى ما يكون به صلاح دينى ودنياى ومعادى ومعاشى.

(١) هو الحافظ الضرير مفسّر الكتاب أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسى، عالم أهل البصرة فى زمنه، كان آية فى الحفظ، إمامًا فى النسب، رأسًا فى العربية واللغة وأيام العرب، ومن قوله عن نفسه: ما قلت لمحدث قط أعد علىّ، وما سمعت شيئًا إلا وعاه قلبى، وقال فيه شيخه ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس. وقال معمر: سمعت قتادة يقول: ما فى القرآن آية إلا وسمعت فيها شيئًا. ومات بمدينة واسط فى الطاعون سنة سبع عشرة ومائة، وقيل ثمان عشرة ومائة.

الخلاصة

بعد مناقشة الأوامر الإلهية بالدعاء التى وردت فى القرآن الكريم فى هذا الباب. . يتبين لنا أن الأمر الإلهى بالدعاء للوجوب غير أنه ورد فى كتاب الأذكار للإمام النووى فى باب آداب الدعاء. . قوله: «اعلم أن المذهب المختار الذى عليه الفقهاء والمتحدثون، وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف: أن الدعاء مستحب، قال الله تعالى «وقال ربكم ادعونى استجب لكم» وقال تعالى «ادعو ربكم تضرعا وخفية» والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة. ولا نعلم كيف تأتى هذا الاجماع أو شبهه للإمام النووى، كما أننا لا نستسيغ أن يكون الدعاء مخ العبادة وتكون مزاولته مندوبه لا واجبه مع العلم بأن الأمر الإلهى يحمل الرحمة لبنى البشر، بخلاف الندب، وذلك اذا خيرت انسانا بين فعل خير أو تركه، أو أمرته بفعله دون تخيير ففى الأمر رحمة ورأفة وشفقة بخلاف ما اذا جعلته مخيَّرا، فان هناك فرقا كبيرا بين تخيير الانسان بالخير والأمر به، كما أنه يخرق هذا الإجماع أو شبهه مابيناه فى تفسير الآيات السابقة الآمره بالدعاء، وأن كثيرا من العلماء ذهب الى القول بأن الأمر الإلهى فيها للوجوب. قال فضيلة الدكتور أحمد الكومى: ولعل مراد الإمام النووى فى كون الدعاء مندوبا، الاستدامة عليه، أو الكثرة منه، أما أصل الوجوب فيتحقق بالامتثال وهذا لا يخالف فيه أحدا.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس شىء أكرم على الله تعالى من الدعاء»، وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن نفع حذر من قدر فإن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء»، وعن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القدر إلا بالدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه»[1].

---

(١) رواه الترمذى والحاكم فى مستدركه عن سلمان، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير.

ومن جميل الدعوات عن أبى بكر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله علِّمنى دعاء أدعو به قال: «قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم»[١].

ومن جميل الدعاء عند أبى ذر[٢] رضى الله عنه: كان يستقبل القبلة فيسبحّ الله مليا، (يقول سبحان الله)، ويهلله مليًا (يقول لا إله إلا الله)، ويحمده مليًا (يقول الحمد لله)، ويكبره مليًا (يقول الله أكبر). يذكر ذلك كثيرًا. ثم يدعو بهذا الدعاء مرتين كل يوم: «اللهم إنى أسألك إيمانًا دائمًا وأسألك قلبًا خاشعًا، وأسألك علمًا نافعًا، وأسألك يقينًا صادقًا، وأسألك دينًا قيمًا، وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك تمام العافية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك الغنى عن الناس»[٣].

(١) أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما، وابن ماجة فى سننه، وأحمد فى المسند من حديث أبى بكر الصديق (١/٤).

(٢) هو الصحابى الجليل، والمسلم الصادق الإسلام واللسان أبو ذر جندب ب جناده الغفارى الذى قال فيه الرسول ﷺ: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الحضراء أصدق لهجة من أبى ذر» وهو صاحب الحملة المشهورة على أصحاب الأموال وكانزيها، ، فقد كان يعرّض بهم ويحمل عليهم، ويردد فى شأنهم قول الحق: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يُحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تَكتزون» وقصة إسلامه مشهورة مذكورة فى كتب السنّة والسيرة وقد كان رضى الله عنه زاهدًا متشفا لسنًا، تعرّض فى سبيل دعوته للمتاعب، وضاق به عثمان رضى الله عنه فنفاه إلى الربَذة وهى قرية من المدينة، فمات بها على قارعة الطريق بلا مستبد أو لبتر، سنة سنتين وثلاثين، ودُفن بها، وكان يقول: لو أن صاحب المنزل يَدَعنا فيه لملأناه أمتعه، ولكنه يريد نقلنا منه (يقصد أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير وأبقى».. ولذلك كان لا يدخر فى بيته شيئًا رضى الله عنه وأرضاه..!

(٣) أورده السيوطى فى «مسند الجامع الكبير برقم ٢/١٠٣، ونسبه للحكيم الترمذى وذكر سنده.

الباب الثالث

الحِكَم من الأوامر الإلهية بالدعاء

يشتمل على خمسة أقسام سنوردها في سبعة فصول هي:

١ - الحكمة الأولى: تهذيب السلوك البشرى..

٢- الحكمة الثانية: الدعاء دواء ووقاية وشفاء..

٣- الحكمة الثالثة: تعميق المحبة والتعاون فى المجتمع الإسلامى..

٤- الحكمة الرابعة: كشف اللثام عن رحمة الله الواسعة..

٥- الحكمة الخامسة: إنشاء التوحيد وتعميقه فى قلوب البشر..

الفصل الأول
الحكمة الأولى

(تهذيب السلوك البشرى)

الدعاء يهذّب النفس البشرية، ويقوم سلوكها حيث يشحنها بالمبادىء السامية، ويحملها على الاخلاق الفاضلة، ويمدها بالطاقات الحية النابضة الموجهة، فالآيات سالفة الذكر التى أمر الله فيها العباد بالتضرع اليه، وطلب العون منه، من هذه الآيات ماكانت مصابيح للبشر، ورائدة له الى الرقى العملى والقولى، ففى سورة الاعراف: أربع صفات وردت فى ثلاث آيات، هى قوله تعالى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[1]، ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2]، ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[3].

فهذه الصفات الأربع وإن كانت سبقت فى مقام الأمر بالدعاء إلا أنها تدعو العبد الى التجمل بها فى كل ما يصدر عنه.

فالصفة الأولى وهى التضرع:

تضرّع العبد لمولاه تمرين لنفسه وحواسه على إظهار المذلة والمسكنة والخشوع والخضوع لله تعالى، وصقلها على التواضع وتجنّب الكبرياء والتعالى، فالداعى المتحلى بها تظهر آثارها عليه فى سلوكه مع الله تعالى ومع الخلق.. فالانسان لايستطيع أن يحيا منفردا منعزلا عن مجتمعه، منطويا على نفسه لأن سعادته هى فى تعاونه مع أفراد مجتمعه وهذا التعاون يحتاج الى عدة صفات حميدة أعظمها فائدة وأجداها ثمرة ما كان سببا فى توطيد الصلة، وبث روح المحبة والألفة بين الناس، وإزالة اسباب الشحناء والبغضاء، وأعظم صفة تحقق هذا كله صفة التواضع التى هى أهم ثمرة من ثمرات التضرع.

---

(١) الاعراف: ٥٥.

(٢) الاعراف: ٥٦.

(٣) الاعراف: ٢٠٥.

الصفة الثانية ـ الإسرار فى الدعاء. . وخفت صوت الداعى:

وهذه الفضيلة إذا تحلى بها المرء مع ربه كانت ديدنه وسلوكه مع أولى الأمر فى دنياه ورؤسائه فى عمله ومعاشريه من ذويه وأهله وكل مجتمعه، ولهذا نهى رسول الله ﷺ قوما سمعهم يجأرون فى دعائهم وعرفهم بأنهم لايدعون أصم ولا غائبا انما يدعون سميعا مجيبا يسمع دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء. . وهذه الصفات سالفة الذكر تؤدى بنا الى ثمرات الإسرار فى الدعاء التى أهمها مايلى:

(أ) اكتساب محبة الناس واحترامهم وتوقيرهم للداعى لخفت صوته عند محادثتهم، لأن خفض الصوت مع الناس يحملهم على تقدير صاحبه فيكون ذلك مجلبة لزيادة الوئام والرخاء بين الخلق، ومجلبةً لروح التعاون وتبادل المصالح وانجاز الأعمال، وازدهار السعادة فى المجتمعات.

(ب) كما أن الدعاء الخفى يحفظ لصاحبه سره.

(جـ) الإسرار فى الدعاء يحفظ الداعى من اغتياب الغير له وظن السوء به وكراهيته، وايقاع الفتنة بينه وبين الناس خصوصا إذا رأوه يدعو لفلان دون فلان أو يدعو على فلان.

الصفة الثالثة ـ الخوف من الله تعالى:

الخوف من الله تعالى علامة من علامات الإيمان، وإشارة قائمة على الطريق المؤدى الى السعادة فى الدارين، وأكثر الناس خوفا من الله هم أقربهم صلة به، وهم الذين قدروه حق قدره، وعرفوه حق معرفته، هم صفوة الخلق من الرسل والانبياء والصالحين والسائرين على درب الكتاب والسنة.

ولقد كان المصطفى ﷺ أتقى العباد وأخوفهم من الله، ولقد قال صديقه وحبيبه أبو بكر الصديق: لو كانت إحدى قدمى فى الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله» يعنى لايضمن دخولها لشدة خوفه من الله، وهو الذى قال فيه النبى ﷺ: «لو وزن إيمان هذه الأمة بإيمان أبى بكر لرجحَ إيمان أبى بكر».

وإن أحوج الناس الى الخوف من الله تعالى هم الداعون الذين يلجأون إليه فى السراء والضراء الذين يستغيثون، ويستنجدون طالبين منه العون والتوفيق والسداد. أما

ثمار الخوف من الله تعالى فكثيرة أهمها مايلى:

١ - تربية عنصر المراقبة فى العبد حتى يعبد ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فالله يراه.

٢- اكتساب فضيلة الحذر والحيطة من أن يقع العبد فيما يغضب الله تعالى ويجلب سخطه.

٣- التزام ما جاء به الاسلام عملا وقولا فى العقيدة والسلوك.

٤ - الشعور بالمسئولية إزاء الآخرين خشية الوقوع فيما يضرهم فتكون المساءلة له يوم القيامة.

٥- التزام الفضائل ومكارم الأخلاق الداعية الى نشر المحبة والتعاون فى المجتمعات.

الصفة الرابعة ـ الطمع فيما عند الله تعالى والمقصود منه الرجاء:

والطمع هو شعور فى النفس يجعل صاحبه راغبا فى الحصول على مايراه فى حاجة اليه سواء كان ضروريا أو كماليا أو كان من حقه تملكه أم لا. هذا الطمع بهذا التفسير غير محمود شرعا بل قد يعاقب عليه الانسان لأنه فى هذه الحالة يكون الحامل عليه عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم بالقدر، كما يكون الحامل عليه، الحسد والبغضاء، واعتقاد الطامع انه أولى من هذا وذاك بما منَّ الله تعالى به على بعض عباده، أما لماذا عدل القرآن عن لفظ الرجاء الى لفظ الطمع فهذا ماتجدر الاشارة اليه وهو أن الرجاء غالبا ما يستوى فيه التحقيق والعدم. فرجاء العبد ربه أن يفعل به الخير أو يدفع عنه الضر تستوى فى نظره الاجابة وعدمها، أما الطامع فى الشىء فيغلب عليه تحققه له، لهذا آثر القرآن الكريم لفظ الطمع على لفظ الرجاء، كما أن هذا الإيثار يلفت نظر العبد الى أنه لاينبغى له الطمع فيما فى أيدى الناس[١] بالقدر الذى ينبغى له أن يطمع به فيما عند الله لهذا رأينا سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام يقول

(١) ولهذا كان توجيه الرسول ﷺ: «وأزهد فيما فى زيدى الناس يحبك الناس».

فى دعائه: ﴿ وَالَّذِى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(١).

وإذا لم يطمع الانسان فيما عند الخالق الكريم الذى لاتنفذ خزائنه، ولاتنتهى نعماؤه، ففيمن يطمع، أيطمع فى إنسان مثله؟ «خُلق هلوعا»(٣). إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا والحذر كل الحذر أن يكون هذا الطمع خاليا من خوف الله تعالى، فليكن خوفك منه صمام أمن لطمعك فيما عنده.. كما أن الطمع فيما عند الله ينزع من قلب المسلم الحقد والحسد والشحناء والكراهية لغيره من الخلق لأن هذه الصفات غالبا ما تنشأ من الطمع، ويكون محركا لها ودافعا.

ولقد حث الرسول ﷺ المسلمين على التحلى بالخوف والرجاء.. لأن خلو المؤمن منهما أو من أحدهما مهلكة له وسوء عاقبة، فخوف المؤمن من ربه دون امتزاج هذا الخوف بالرجاء والطمع فيما عند الله يجعله يائسا حزينا منطويا على نفسه معزولا عن المجتمع، لاتعاون، ولا تعاطف، ولا حركة، ولا عمل، لأن الأمل فى نظره لا وجود له. كذلك الشأن فيما إذا كان المؤمن راجيا طامعا فيما عند الله دون أن يمزج هذا الرجاء بالخوف من الله، فهذا يدفعه الى التسيب والاتكال وعدم الضبط والربط والبعد عن العمل والانتاج. لهذا جمعت الآية بينهما، وأمر الله بهما العباد، وحث الرسول على التحلى بهما، فهذه الصفات الأربع (التضرع والخفية والخوف والطمع) مهمة جداً بالنسبة لكل انسان يريد القرب من الله تعالى، وتزداد أهميتها بالنسبة لمن أراد الاتصال بالله تعالى سواء كان هذا الاتصال لتقديم واجبات الشكر، أو لسؤال حاجة أم رغبة فى التنزيه، أو دفعاً لسوء.

(١) الشعراء: ٨٣.

(٢) هلوعاً: عجولا ضعيفا.

الفصل الثانى
الحكمة الثانية

(الدعاء دواء ووقاية وشفاء)

نعم قد تكون الحكمة من أمر الله لنا بالدعاء أن نتخذه وقاية وعلاجا للجسد والروح ودرعاً حصينا يحفظنا من المعاصى، ورغم أهمية الطلب الوقائى والعلاجى فى الكشف عن اسباب الأمراض وعلاجها، إلا أنه ينبغى ألا ينسينا فائدة الطب الروحانى معتقدا أنه لا فائدة فيه، أو انه افتقد مفعوله كما لاينبغى لمسلم أن يعتقد هذا أو يظن، مدعيا ان الله تعالى ربط المسببات بأسبابها ظنا منه أن المقصود من الاسباب هى الخاصة للعلم التجريبى والأدوية المصنعة دون العلم الروحى.

وقد ثبت هذا النوع من العلاج (الطب الروحى أو الروحانى) بكتاب الله وسنة رسوله، بنحو قوله تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾** ﴾[١] فقد أمر الله تعالى فى هذا النص باللجوء اليه ليعيذه من همزات الشياطين ووساوسها، وما أشدها على المسلم حين تلح عليه، وتشككه فى كل شيء حتى فى حقائق الأشياء، وفى تصرفات نفسه، ومثل هذا النوع من المرض الذى تسببه وساوس الشياطين لا يفلح معه العلاج بطب العقاقير، وإنما يفيد فيه اللجوء الى الله والثقة بفضله، حتى لاتجره هذه الوساوس الى مزرعة الأوهام فيستعصى عليه الخروج منها الى حقائق الوجود إلا بنجدة من الرحمن الرحيم.

أما السُّنة فقد جاء فى صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك «كنا نرقى فى الجاهلية فقلنا يارسول الله: كيف ترى فى ذلك؟ فقال: أعرضوا على رقاكم، لا بأس بالرقى إذا لم يكن فيها شرك» أى لا بأس بالرقى إذا كان فيها الاستعانة بالله، دون الاستعانة بالأوثان، كما كان فى عهد الجاهلية. وفى رواية مسلم من حديث أنس «رخص رسول الله ﷺ فى الرقى من العين والحمة[٢] والنمله[٣]»وفى حديث آخر

---

(١) المؤمنون: ٩٧، ٩٨.

(٢) الحمة: السم والحية ونحوها.

(٣) مرض جلدى على هيئة بثور.

بزيادة «والأذن» أى وجهها، وهذا لاينافى العلاج بالعقاقير فى الأخيرين.

إن عوالم الله كثيرة وعلمه أحاط بكل شىء علما، وما أعطى الخلق إلا القليل من العلم لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[1].

ولهذا أمر نبيّه المصطفى أن يطلب المزيد من العلم فقال تعالى: ﴿ **وقل رب زدنى علما** ﴾[2].

وكان القرآن الكريم عنده ﷺ من أهم الاسباب فى الطب الروحى حيث يشتد به اللجوء الى الله، والله هو الشافى فى الحقيقة، وما العقاقير إلا اسباب عادية قد تتخلف.. فالرقى التى كان يقرأها الرسول ﷺ لحفيديه الحسن والحسين حق وصدق، وما هى إلا آيات من القرآن رفعت الى الله تعالى وقد تجملت بثوب التضرع والخشوع والخوف والرجاء أن ينفع الله بها فكانت حافظة شافية بإذن الله.

وقد اشتهر عيسى عليه السلام بالطب فى عصره ولم يعالج مرضاه بما تواضع عليه اطباء عصره من الأدوية والعقاقير، بل كان دواؤه الشافى إنما هو العلاج الروحانى، فقد كان يضع يده الخالية من الدواء الحسى على الأكمه فيعود اليه بصره، وعلى الأبرص فيبرأ جلده، وعلى الميت فيسترد نبض قلبه فهل يستطيع الطب التجريبى والدواء الحسى أن يفعل مايفعله هذا الطب الروحى؟

فمن ذا الذى أودع العلاج فى يد عيسى عليه السلام، ومن ذا الذى أودع القوة فى يد داود حتى آلان له الحديد، ومن الذى أودع الكفاية فى يد الرسول ﷺ حتى أشبع الجم الغفير من الخلق بما امتلأ به كفه.. إذاً هناك نواميس أخرى للوقاية والعلاج ليست على نمط ماتعارف عليه الخلق، وتواضع عليه نوابغ الطب، وصدق الله العظيم القائل.. ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[3].

فالقرآن شفاء من كل داء، كما أنه علاج وقائى من الأمراض.. والأدعية القرآنية الواردة على السنة الخلق دواء ووقاية وشفاء من كل داء، فبها فرّج الله الكرب، وأزال

---

(١) الإسراء: ٨٥.
(٢) طه: ١١٤
(٣) الإسراء: ٨٢.

الهم، وأعاد للمرضى صحتهم ونشاطهم، فلم ينزل الله سبحانه وتعالى من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى إزالة الداء من القرآن.

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد قال: «انطلق نفر من أصحاب النبى ﷺ فى سفرء سافروها، حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى، فسعوا له بكل شىء لا ينفعه شىء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شىء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شىء لاينفعه فهل عند أحد منكم من شىء فقال بعضهم: والله إنى لأرقى، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لى جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٢﴾ ﴾[1] فكأنما نشط من عقال. فانطلق يمشى، ومابه قلبه. فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه. وقال بعضهم: اقسموا، فقال الذى رقى: لا نفعل حتى نأتى النبى ﷺ فنذكر له الذى كان، فننظر الذى يأمرنا فقدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له ذلك.. فقال: وما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: قد اصبتم، اقسموا واضربوا لى معكم سهما». وضحك النبى ﷺ[2].

فقد أثر هذاء الدواء فى الداء وأزاله حتى كأنه لم يكن، وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوى بالفاتحة لرأى لها تأثيراً عجيبا فى الشفاء.

يقول: صاحب كتاب «... الدواء الشافى»: «ومكثت بمكه يعترينى أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء، فكنت أعالج نفسى بالفاتحة فأرى لها تأثيراً عجيبا، فكنت اصف ذلك لمن يشتكى ألما، فكان كثير منهم يبرأ سريعا»[3].

والدعاء من أقوى الأسباب فى دفع المكروه وحصول المطلوب، ومن انقع الادوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وله مع البلاء ثلاث مقامات.

---

(١) الفاتحة : ٢.

(٢) رواه البخارى واللفظ له.

(٣) كتاب الجواب الكفاى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم.

احدهما: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثانى: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

روى الحاكم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء».

ولكن ها هنا أمر ينبغى التفطن اليه، وهو أن الاذكار والآيات أو الأدعية التى يستشفى بها ويرقى بها، هى فى نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعى قبول المحل، وقوة وهمة الفاعل، وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوى فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء. كما يكون ذلك فى الأدوية والأدواء الحسية، فان عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوى يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به يحسب ذلك القبول. فكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقى نفس فعالة، وهمّة مؤثرة فى ازالة الداء.

والدعاء سلاح المؤمن، كما روى الحاكم فى صحيحه من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال الله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين ونور السموات والارض»[1].

فالدعاء سلاح لمن آمن بقلبه بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وأتمر بأمر الله، وانتهى عند نهيه، أى لايكون الدعاء سلاحا إلا لمن تكامل دينه عقيدة وسلوكا وخلقا. وإن مانعايشه الآن من صعاب، وما يحيط بنا من حياة قاسية لأكبر دليل على احتياجنا الشديد الى هذا الدواء بل نحن اليوم فى أمس الحاجة الى هذا النوع من الدعاء، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستنصر به على عدوه، وكان اعظم جنديه، وكان يقول لاصحابه: «لستم تُنصرون بكثرة، وإنما تُنصرون من السماء» وكان يقول: «إنى لا أحمل همّ الاجابة ولكن همّ الدعاء، فإذا الهمتم الدعاء فإن الاجابة معه» قال

(١) رواه أبو يعلى من حديث على مرفوعا.

الشاعر:

لو لم تُرِد نيل ما أرجو وأطلبه   من جود كفّيك ما عودتنى الطلبا

فمن كانت له دعوة صالحة فليدعها للحاكم، لأن مصالح العباد بيد الله ثم بيده، فأنت بخير، مادام حاكمك بخير نسألك اللهم ونضرع اليك أن تعز الاسلام والمسلمين، وأن تُعلى بفضلك كلمة الحق والدين، وأن تلهم حكام المسلمين لما فيه خير البلاد والعباد، وأن تؤيدهم بنصر من عندك، إنك سميع قريب مجيب الدعوات رب العالمين.

وإليك أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم واضحة جلية فى هذا الشأن.

دعاء الاستخارة

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كالسورة من القرآن، يقول: «إذ همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إنى استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، واسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، أو قال: عاجل أمرى وآجله، فأقدره لى ويسره لى، ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمور شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، أو قال: عاجل أمرى وآجله، فاصرفه عنى، واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به، قال: ويسمى حاجته»(1).

قال العلماء تستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء المذكور، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة، يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة: قل يا أيها الكافرون، وفى الثانية: قل هو الله أحد، ولو تعذّرت عليه الصلاة استخار بالدعاء، ويستحب افتتاح الدعاء المذكور وختمه بالحمد لله والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، ثم إن الاستخارة مستحبة فى جميع الأمور كما صرح به نص هذا الحديث الصحيح، وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره.. والله أعلم.

---

(1) رواه البخارى فى صحيحه.

صلاة الحاجة ودعاؤها

عن عبد الله بن أبى أوفى عن النبى ﷺ قال: «من كانت له إلى الله حاجة الى أحد من بنى آدم، فليتوضا، ثم ليصل ركعتين، ثم ليثن على الله، وليصل النبى ﷺ ثم ليقل: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحات الله رب العرش العظ الحمد لله رب العالمين، اللهم إنى اسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرة والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لاتدع لى ذنبا إلا غفرته، ولا هم فرجته، ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين[1].

دعاء الكرب وعند الأمور المهمة

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله السموات ورب الأرض رب العرش الكريم» وفى رواية لمسلم ان النبى ﷺ كان حزبه[2] أمر قال ذلك.

عن أنس رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه كان إذا كربه أمر قال: «ياحى يا برحمتك استغيث[3].

عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: دعوات المكروب: ا رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، واصلح لى شأنى كله، لا إل أنت»[4].

عن أسماء بنت عُميس رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ: أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب - أو فى الكرب - الله الله ربى لا أشر شيئا»[5].

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه.

(٢) رواه البخارى ومسلم، وحزبه أمره: أى نزل به أمر مهم، أو صابة غم.

(٣) رواه الترمذى.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه أبو داود وابن ماجة.

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه[1] أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بشىء إذا نزل رجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا ودعا به ربه ففرج عنه؟ فقالوا: بلى قال: دعاء ذى النون (وفى رواية كلمة أخى يونس ﷺ): «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين»[2].

دعاء موسى عليه السلام، ودعاء رسول الله ﷺ يوم حنين، ودعاء كل مكروب: «كنت وتكون وانت حى لايموت، تنام العيون، وتنكدر النجوم، وأنت حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يا حى ياقيوم»[3].

حسبى الرب من العباد، حسبى الخالق من المخلوقين، حسبى الرازق من المرزوقين، حسبى الذى هو حسبى، حسبى الله ونعم الوكيل، حسبى الله لا إله إلا هو عليك توكلت وهو رب العرش العظيم[4].

وأخرج ابن أبى الدنيا عن يحيى بن سليم أنه بلغه أن ملك الموت استأذن ربه أن يسلم على يعقوب عليهما السلام فأذن له فأتاه فقال: ألا أعلمك كلمات لاتسأل الله شيئا إلا أعطاك؟ قال: بلى، قال: قل: ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصيه غيره، فما طلع الفجر حتى أتى بقميص يوسف[5].

وأخرج الخرائطى فى مكارم الأخلاق عن عبد الله بن علقمة الطائى أن جبريل أتى الى يوسف عليه السلام فى السجن فقال: أتيتك أعلمك كلمات لعل الله ينفعك بهن قل: اللهم اجعل لى من كل هم يهمنى فرجا ومخرجا وارزقنى من حيث لا أحتسب.

---

(١) سعد بن أبى وقاص: هو سعد بن مالك أبو اسحاق أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله، مشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، فارس الإسلام، توفى رضى الله عنه سنة (٥٥) هـ، وصُلى عليه بالمدينة، ودُفن بالبقيع رضى الله عنه.

(٢) رواه الترمذى والنسائى وابن الدنيا والحاكم.

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الفرج (٣٥) عن احمد بن عبد الأعلى الشيبانى عن أبى بلال الاشعرى عن محمد بن أبان عن أبى عبد الله القرشى به. وابن أبى الدنيا: هو عبد الله بن محمد بن عبيده (بالفتح) ابن أبى الدنيا البغدادى الحافظ صاحب التصانيف، قال عنه أبو حاتم إنه صدوق، وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائتين.

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الفرج(٣١) عن أبى حفص الصفار أحمد بن حميد عن جعفر بن سليمان عن خليل بن مرة به قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا اصابه غم أو كرب يقول.. وذكره».

(٥) أخرجه ابن ابى الدنيا فى الفرج (٢٧) عن المثنى بن عبد الكريم عن رافر بن سليمان به.

وروى أبو نعيم فى الحلية عن مسعر أن رجلا ركب البحر فكسر به فوقع فى جزيرة، فمكث ثلاثة أيام لم ير أحداً ولم يأكل ولم يشرب فتمثل وقال:

إذا شاب الغراب أتيت أهلى ... وصار القار كاللبن الحليب

فأجابه مجيب لا يراه:

عسـى الكرب الذى أمسيت ... فيه يكون وراءه فرج قريب

فنظر فإذا سفينة قد أقبلت فلوّح إليهم فحملوه فأصاب خيراً كثيراً ومن الأمثال المشهوره: اشتدى أزمةّ تنفرجى[1].

وقال أبو اسحاق ابراهيم بن العباس الصولى:

ولرُبَّ نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعـا وعنـد الـله منهـا المخـرج

ضاقـت فلمـا استحكمـت ... حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تفرج

قال الصلاح الصفدى فى تاريخه: يُقال إنه ما رددهما من نزلت به نازلة إلا فرجت عنه.

ما تقوله إذا راعك شىء أو فزعت:

كان النبى ﷺ إذا راعه شىء قال: «هو الله، الله ربى لاشريك له».

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون».

وفى رواية: «إذا فزع أحدكم من النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» وكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ومن لم يبلغ منهم كتبها فى صك وعلقها فى عنقه.

ما تقوله عند الأرق والرؤى المفزعة:

وعن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه شكى الى النبى ﷺ فقال: يارسول الله،

---

(٦) كنز العمال (٦٥١٧)، وعزاه البرهان فوزى تبعا للسيوطى (للقضاعى والديلمى عن على)، وذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال (٢٠١٣).

ما أنام الليل من الأرق فقال له ﷺ: إذا آويت الى فراشك فقل: «اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لى جاراً من شر خلقك أن يفرط على أحد أو أن يبغى علىّ، عزّ جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت»(١).

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: شكوت الى رسول الله ﷺ أرقا اصابنى فقال قل: «اللهم غارت النجوم، وهدأت العيون وأنت حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، يا حى يا قيوم أهدىء ليلى وأنم عينى» فقلتها فأذهب الله ماكنت أجد»(٢).

ما تقوله إذا أصابك هم أو حزن:

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال: «اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض فى حكمك، عدل فى قضاؤك، اسألك بكل اسم هو لك سميّت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى وذهاب همى، إلا أذهب الله عز وجل همه، وابدله مكان حزنه فرحا، قالوا يارسول الله: ينبغى لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: أجل: ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن»(٤).

ما تقوله إذا وقعت فى هَلَكَة:

عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علىّ ألا أعلمك كلمات إذا وقعت فى ورطة قلتها؟ قلت: بلى، جعلنى الله فداءك.. قال: إذا وقعت فى ورطة فقل: «بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فإن الله تعالى يصرف بها ماشاء من أنواع البلاء»(٥).

---

(١) رواه ابن السنى.

(٢) رواه ابن السنى.

(٣) هو عبد الله بن مسعود الهذلى أبو عبد الرحمن من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً، من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بالقرآن بمكة، وكان قصيراً نحيفًا، ولكنه وعاء مُلئ علمًا، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه، توفى بالمدينة المنورة سنة (٣٢)هـ.

(٤) رواه ابن السنى.

(٥) رواه ابن السنى.

ماتقوله إذا خفت قوما أو عدوا:

عن أبى موسى الأشعرى، رضى الله عنه، أن النبى ﷺ كان إذا خاف قوما قال: اللهم إنا نجعلك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»[1].

ما تقوله إذا خفت سلطانا:

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إذا خفت سلطانا أو غيره فقل: (لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت عز جارك، وجل ثناؤك[2]. ويستحب أن يقول أيضا ما ورد فى صحيح البخارى عن ابن عباس قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: **﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾**.

إذا حضر العدوّ:

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قلنا يوم الخندق يارسول الله: هل من شىء نقول، قد بلغت القلوب الحناجر قال: نعم «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»[3].

ما تقوله إذا نظرت الى العدوّ:

يُذكر عن النبى ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو: «اللهم أنت عضدى، وأنت ناصرى وبك أقاتل».

وعن أنس رضى الله عنه قال: كنا فى غزوة مع النبى ﷺ فلقى العدو فسمعته يقول: «يا مالك يوم الدين إياك أعبدوا وإياك أستعين» قال أنس: فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها»[4].

---

(١) رواه ابن السنى.
(٢) رواه ابن السنى.
(٣) رواه أبو داود والنسائى..
(٤) رواه ابن السنى.

ما تقوله عند كل أمر مخوف:

روى عبد الجبار بن كليب قال: كنا مع ابراهيم بن أدهم[1] فى سفر فعرض لنا الأسد فقال ابراهيم قولوا: «**اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام، واحفظنا بركنك الذى لايرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا تهلك وأنت رجاؤنا يا الله، يا الله، يا الله**» قال: قولى الأسد هاربا، ثم قال: وأنا ادعو بهذا الدعاء عند كل أمر مخوف، فما أرى إلا خيراً.

ما تقوله إذا عرض لك الشيطان أو خفته:

أعوذ بالله منك، ألعنك بلعنة الله (ثلاثا)[2].

ماتقوله إذا استصعب عليك أمر:

اللهم لا سهل إلا ماجعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا[3].

ماتقوله إذا اصابتك مصيبة أو نكبة:

«إنا لله وإنا اليه راجعون، اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً فيها[4]. قال رسول الله ﷺ: ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله.. إلا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيراً منها.

ما تقوله إذا غلبك أمر:

قدّر الله وما شاء فعل[5].

ما تقوله للتعوّذ من شماتة الأعداء:

عن عبد الله بن الزبير أن عمر بن الخطاب أصابته مصيبة فأتى رسول الله ﷺ

---

(١) إبراهيم بن أدهم: صوفى زاهد نشأ فى أفغانستان فى بيت من بيوت المُلْك، ثم ترك الثراء وتصوف وبدأ يعمل ليكسب رزقه، واستُشْهد فى أحد الحروب مع بلاد الروم نحو سنة ١٦١هـ.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن حبان وسنده صحيح.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: المؤمن القوى خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدَر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان.

فشكى اليه وسأله أن يأمر له بوسق من تمر فقال: إن شئت أمرت لك، وإن شئت علمتك كلمات خيراً لك منه أفعل، فقال: علمنيهن، وأمر لى بوسق فإنى ذو حاجة اليه قال افعل، وقال قل: «اللهم احفظنى بالاسلام قائما، واحفظنى بالاسلام قاعداً، واحفظنى بالاسلام راقداً، ولا تشّمت بى عدوّا ولا حاسدا، اللهم إنى اسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك»[1].

ماتقوله للدعاء على الظَّلَمه :

١ - ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[2].

٢- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[3].

٣- ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾[4].

٤- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً ﴿٢٨﴾ ﴾[5].

ماتقوله لطرد الشياطين والغيلان:

١- قراءة آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة.

٢- من قال فى يوم مائة مرة «لا إله رلا الله وحده لاشريك له له المُلْك وله الحمد وهو على كل شىء قدير» كانت له حرزاً من الشيطان يومه كله.

٣- ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[6].

---

(١) اخرجه الحاكم والبيهقى.
(٢) يونس: ٨٦.
(٣) يونس: ٨٩.
(٤) النساء: ٧٥ والتبار: الهلاك.
(٥) نوح: ٢٨ والتبار: الهلاك.
(٦) المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨.

٤- الأذان[١].

ما تقوله إذا غضبت:

١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٢].

٢- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه[٣].

ما تقوله لدفع الآفات :

روى ابن السُّنى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة فى أهل ومال وولد فقال: ماشاء الله لاقوة إلا بالله». . فيرى فيها آفة دون الموت.

ما تقوله إذا تعسرت عليك معيشتك :

روى ابن السُّنى عن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته «بسم الله على نفسى ومالى ودينى، اللهم رضنى بقضائك، وبارك لى فيما قُدرّ لى حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجّلت».

ما تقوله إذا كان عليك دين عجزت عنه :

١- روى الترمذى عن على رضى الله عنه أن مكاتبا جاءه فقال: إنى عجزت عن كتابتى فأعنى، فقال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل أُحد دينا إلا أداه الله عنك، قل: «اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك، وأغننى بفضلك عمن سواك» قال الترمذى: حديث حسن.

٢- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «ألا أُعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أُحد دينا لأدى الله عنك؟ قل يا معاذ: «اللهم مالك الملك، تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة: طرد الشيطان بالآذان وآية الكرسى وقوله ﷺ: «إن الشيطان إذا نودى بالصلاة أدبر» والغيلان جمع غول، جنس من الجن والشياطين وهى تتشكل بصور شتى.

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطنى وصححه هو وابن حبان والذهبى.

(٣) حديث صحيح رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطنى والحاكم وصححه هو وابن حبان والذهبى.

الخير، إنك على كل شيء قدير، رحمن الدنيا والآخرة[1] تعطيهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء، ارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك.

٣ - عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا برجل من الأنصار يُقال له «أبو أمامه» فقال: يا أبا أمامة.. مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمتنى وديون يارسول الله؟ قال: «أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله تعالى همك، وقضى عنك دينك؟ قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت: «اللهم إنى أعوذ بك من الهِّم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»[2] قال: ففعلت فأذهب الله همى، وقضى عنى دينى.

٤- وعن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل علّى أبو بكر رضى الله عنه فقال: سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه، قلت: ماهو؟ قال: كان عيسى ابن مريم يُعلم اصحابه قال: لو كان على أحد جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه: «اللهم فارج الهم وكاشف الغم ومجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة أنت ترحمنى فارحمنى برحمة تغننى بها عن رحمة من سواك».

قال أبو بكر رضى الله عنه: فكنت أدعو الله بذلك فأتانى الله بفائدة فقضى عنى دينى. وقالت عائشة رضى الله عنها: فكنت أدعو بذلك الدعاء فما لبثت إلا يسيراً حتى رزقنى الله رزقا ماهو بصدقة تُصدُق بها علىّ، ولا ميراث ورثته، فقضى الله عنى دينى، وقسمت فى أهلى قسما حسنا، وحلَّيت ابنة عبد الرحمن بثلاث أواق من ورق وفضل لنا فضل حسن»[3].

ماتقوله إذا ابتليت بالوسوسة أو نزل بك شك:

١- قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[4].

(١) رواه الطبرانى فى الصغير.

(٢) أخرجه أبو داود.

(٣) رواه البزار والحاكم والأصبهانى.

(٤) فصلت: ٣٦.

٢- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[١].

٣- آمنت بالله ورسله، الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد[٢].

٤- آمنت بالله ورسله.

٥- هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم[٣].

٦- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[٤].

ماتقوله إذا خشيت فتنة فى دينك:

لا يتمنين أحدم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنيا، فليقل، اللهم أحيينى ما كانت الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى[٥].

ما يقوله من بلى بالوحشه :

روى ابن السُّنى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ رجل يشكو اليه الوحشه، فقال: «أكثر من أن تقول: سبحان الملك القدوس. رب الملائكة والروح، جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت» فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة.

ما يُقرأ على المعتوه والملدوغ:

١- قراءة الفاتحة[٦] على الملدوغ يشفى بإذن الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى أحدكم الشيطان فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك، فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله وليته».

(٢) آمنت بالله ورسله.. وفى رواية لأبى داود والنسائى فقولوا: الله أحد.. إلخ ثم ليتفل وراءه ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان.. ومن فتنته.

(٣) عن ابن عباس: إذا وجدت فى نفسك شيئًا أى من الوسوسة السابقة فقل: هو الأول.. وسنده صحيح.

(٤) أخرجه أبو يعلى عن أبى بكر رضى الله عنه:.. والله لقد اشتكيت إلى رسول الله ﷺ: وسألته: ما الذى يُنجينا من هذا الحديث الذى يلقى الشيطان فى أنفسنا؟ فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «ينجيكم من ذلك أن تقولوا مثل الذى أمرت به عمى (يقصد أبا طالب) يعنى يقول المسلم بالشهادة.

(٥) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٦) رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقد مَر بنا فى الرقيه من العين وذوات السموم.

٢- عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن رجل عن أبيه قال: جاء رجل الى النبى ﷺ فقال: إن أخى وجع، فقال: وما وجع أخيك؟ قال: به لمم قال: فابعث به الى، فجاء فجلس بين يديه، فقرأ عليه النبى ﷺ: فاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة، وآيتين من وسطها:

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1].

حتى فرغ من الآية، وآية الكرسي. وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من أول سورة آل عمران، و﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾[2]. إلى آخر الآية، وآية من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ..﴾[3].

وآية من سورة المؤمنين:

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[4].

وآية من سورة الجن:

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾[5].

وعشر آيات من سورة الصافات من أولها، وثلاثا من آخر سورة الحشر، و﴿**قل هو الله أحد**﴾ والمعوذتين قال أهل اللغة: اللَّمم طرف من الجنون يلم بالإنسان ويعتريه.

٣- قراءة سورة الفاتحة على المجنون يبرأ بإذن الله تعالى[6].

---

(١) البقرة: ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) الأعراف: ٥٤.

(٤) المؤمنون: ١١٦.

(٥) الجن: ٣.

(٦) رواه أبو داود بإسناد صحيح عن خارجة بن الصلت عن عمه قال: أتيت النبى ﷺ فأسلمت، ثم رجعت فمررت على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله: إننا حُدثنا أن صاحبك هذا قد جاء بخير، فهل عندك شىء تداويه، فرقيته بفاتحة الكتاب فبرىء، فأعطونى مائة شاه، فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فقال: «هل إلا هذا؟» وفى رواية: هل قلت غير هذا؟ قلت: لا، قال: خذها فلعمرى لمن آكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق.

٤- وفى رواية أخرى لأبى داود قال فيها عن خارجة عن عمه (قيل اسمه علاقة بن صحار وقيل اسمه عبد الله) قال: أقبلنا من عند النبى ﷺ فأتينا على حى من العرب فقالوا: عندكم دواء، فإن عندنا معتوها فى القيود، فجاءوا بالمعتوه فى القيود، فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية أجمع بزاقى ثم أتفل، فكأنما نشط من عقال، فأعطونى جعلا فقلت: لا فقالوا: سل النبى ﷺ، فسألته فقال: كُل فلعمرى من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق.

٥- وروى ابن السُّنى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ فى أذن مبتلى فأفاق، فقال له رسول الله ﷺ: ما قرأت فى أذنه؟ قال: قرأت (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) حتى فرغ من آخر السورة، فقال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال».

ما تعوذ به الصبيان وغيرهم.

روى البخارى فى صحيحه رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين: أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامّة» ويقول: إن أباكما (يقصد ابراهيم عليه السلام) كان يعوذ بها اسماعيل واسحق صلى الله عليهم اجمعين وسلم[١].

ما تقوله على الخراج والبثرة ونحوهما :

عن بعض ازواج النبى ﷺ قالت: دخل علّى رسول الله ﷺ وقد خرج فى اصبعى بثرة[٢] فقال: عندك ذريرة[٣] فوضعها عليها وقال: «قولى اللهم مصغّر الكبير، ومُكبّر الصغير صغّر مابى فُطفئت».

---

(١) قال العلماء: الهامة: بتشديد الميم، وهى كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها، والجميع الهوام، قالوا: وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان وإن لم يقتل كالحشرات، ومنه حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه «أيوذيك هوامك رأسك؟» أى القمل. أما العين اللامة بتشديد الميم: فهى التى تصيب من نظرت إليه بسوء.

(٢) البثرة: بفتح الباء الموحدة وإسكان الثاء المثلثة وبفتحها أيضًا لغتان: وهو خُراج صغير، ويقل بثر وجهه، وبثر بكسر الثاء وفتحها وضمها ثلاث لغات.

(٣) وأما الذريرة فهى فتات قصب من قصب الطيب يُجاء به الهند.

الفصل الثالث

الحكمة الثالثة

التكافل الاجتماعي

(تعميق المحبة والتعاون فى المجتمع الإسلامى)

الاسلام يعتبر بحق أوفى الديانات السماوية فى تكوين المجتمع المتكامل الذى ينشد السعادة والرفاهية فى ظل أمن قد نشر ألويته، ومحبة قد غمرت سويداء القلوب. فلم يكن الإسلام من دعاة الانطواء والعزلة أو الأنانية بل دعا الى الوحدة بكامل معانيها، وحدة العقيدة والشريعة والسلوك والهدف والكلمة. كل هذا جعله الاسلام موطئا لنيل خيرى الدنيا والآخرة.. لهذا اعتبر المسلمين كالجسد الواحد، واعتبر المسلم جزءا من هذا الجسد، فإذا اشتكى أى عضو من أعضاءه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى. والمسلم لبنة من لبنات ذلك الصرح الشامخ «وهو المجتمع الاسلامى» يسعده مايسعد مجتمعه، ويضره كذلك مايضره.. بهذا المعنى وعلى ضوء هذا المنهج كان المجتمع الاسلامى مغموراً بالفرحة والسرور لما يبذله المجتمع من جهد بغية إسعاد الجميع، وإدخال الرفاهية على كل أفراد المسلمين، حتى الذين يعيشون فى كنفهم وإن لم يكونوا على عقيدتهم. وإن القارىء المتمعن لقوانين وأخلاق الشريعة المحمدية ليجد ذلك واضحا أوضح من الشمس فى رابعة النهار.. يجد الاسلام قد استهدف إسعاد البشرية جسداً وروحاً.

فالصلاة والزكاة والصوم والحج ماشُرعت إلا ليبذل كل واحد من المسلمين قصارى جهده فى اسعاد بنى الاسلام، فتقام الصلوات جماعة ليسأل المسلم عن صديقه فإن كان مريضا زاره، وإن كان محتاجا ساعده.. وكذلك الشأن فى الزكاة لتسمح دموع الفقراء والمساكين، وترد اليهم اعتبارهم كبشر، وكرامتهم كمسلمين. ومجتمع الحجيج ليشهدوا منافع لهم متبادلة ويذكروا اسم الله فرادى وجماعات. والصوم الذى يبث فيهم النظام ووحدة العمل المتحلية فى فطورهم وسحورهم وتراويحهم.

فهذه أركان الاسلام كلها منفردة أو مجتمعة تعلّم المسلمين كيف يحرص الواحد منهم على مصلحة أخيه كحرصه على مصالح نفسه، وتعلمه كيف يحب لأخيه مايحب لنفسه.

ومجالات التعاون وإنماء المحبة بين المسلمين كثيرة جداً. . غير أن البعض منهم للأسف الشديد لا يرونه إلا من خلال المحسوسات وخاصة المال فهم يرون المال عصب الحياة وعليه ينبنى التعاون. . إلا أن الاسلام لم يجعل سعادة البشرية مقصورة على المال بل جعل الله بدائل عدة تقوم مقامه عند فقدانه بل وتزيد. . لهذا نجد الاسلام قد فتح لأبنائه آفاقا جديدة وبدائل عظيمة يستطيعون بها إظهار ما فى قلوبهم لدى مجتمعاتهم من محبة واخلاص حتى ولو كانوا فقراء، فلم يعتبر الاسلام المال كل شىء فى الحياة بل أقام هذه البدائل عوضا عنه تعوض الفقير عن فقره، وتشعره بإنسانيته الكاملة حتى ولو فقد المال الذى يعتبره الكثير من الناس شريان الحياة. . تُشعره هذه البدائل بأنه يستطيع المساهمة فى بناء مجتمعه ولو كان صفر اليدين.

فالكلمة الطيبة، والنظرة الباسمة، واللقاء الباش والنصيحة المخلصة، والأمر بالخير والمساعدات الجسمانية والعقلية، والمشاركات الوجدانية فى الافراح والأتراح، كل هذه بدائل حية إذا بذلها الانسان أو بعضها فانه لا محالة يسهم اسهاما ظاهراً ومفيداً جداً فى بناء مجتمعه على أسس من الإخاء والصفاء والتعاون والوئام.

ومن عظمة الاسلام أنه تبسط مع اتباعه فعرّفهم أن كل فرد من أفراد المسلمين يستطيع أن يُسهم فى إسعاد أمته حتى ولو فقد المال والصحة والعلم والثقافة. . فشرع لهم طريقا لا يقل بحال من الأحوال عن كل هذا. . بل جعله خيراً منها، واعتبره الطريق المأمون الذى لايزل صاحبه ولا يضلّ سالكه، ولا تتخلف نتائجه.

هذا الطريق هو «دعاء الإنسان لأخيه الإنسان» وهو نوعان.

١- دعاء الانسان لأخيه الإنسان فى حضرته.

٢- دعاء الانسان لأخيه الإنسان فى غيبته.

النوع الأول من هذا الدعاء: يكون مستحبا إذا كان المراد به وجه الله تعالى مثل دعاء الوالد لولده فى حضرته، أو المقصود منه ابتغاء مرضاة الله تعالى مثل دعاءك لأخيك المريض بالشفاء فى حضرته عند زيارتك له وغير ذلك ولكنه يبدو غير مستحب فى مواطن أخرى، وذلك إذا قصد به الرياء والسمعة والنفاق والخوف، أو يكون المقصود منه جلب منفعة أو انتظار خير.

أما أن كان الدعاء فى غيبة المدعو له فهو الدعاء المستطاب بل هو أرقى أنواع الود والمحبة بين الناس لأن صاحبه لم يقصد به إلا النفع للمدعو له سواءكان حيا أو ميتا . .

لهذا عظَّم الرسول شأن هذا اللون من الدعاء ورفعه ووضعه فى المكانة العالية اللائقة به، كما رفع من صدر عنه، ومن كان سببا فيه، وبيَّن فى أكثر من حديث نتائجه وثمرته، وما يجنيه صاحبه من فوائد جمّة.

فقد روى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ويوكل الله ملكا يقول آمين ولك مثل ما دعوت».

بل اعتبر الرسول أن من اسرع الأدعية استجابة دعوة الغائب لأخيه الغائب - فقد روى أبو داود والترمذى عن النبى ﷺ أنه قال: «ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة المسافر، ودعوة المظلوم، ودعوة الوالد لولده».

وروى البزار عن النبى ﷺ أنه قال: «دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب: دعوة المظلوم، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب».

كما أثنى القرآن الكريم على هذا الصنف من الناس فى سورة الحشر فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾[1].

فالله تعالى يقول للانسانية إن تعجبتم من شىء فاعجبوا لحال الفقراء المهاجرين، واعجبوا للذين تبوءوا الدار من قبلهم وهم الأنصار، واعجبوا من حال الذين جاءوا من بعد المهاجرين والانصار، وانظروا كيف دفعهم إيمانهم وحبهم لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان ولم يلتقوا بهم؛ كيف دفعهم هذا الحب إلى الدعاء لهم وطلب المغفرة لهم من الله تعالى . . وهذه الصورة من الدعاء هى أعلى درجات الدعاء.

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٠.

الفصل الرابع
الحكمة الرابعة

كشف اللثام عن رحمة الله الواسعة

الناظر بدقه فى آيات الأمر بالدعاء يجدها حاملة لمعانى الرحمة الإلهية لبنى الانسان خصوصا إذا جال ببصيرته ما سبقها ولحقها من آيات، وهذا من أقوى الأدلة والشواهد على أن الله تعالى ما أمر عباده بالدعاء إلا رحمة بهم وشفقة عليهم.. وكما أن المنكوب المصاب يدير قرص التليفون ليطلب لنجدة الشرطية أو الطبية فكذلك المظلوم يدير قرص الدعاء ليتصل بخالق الكون، ولكن شتان ما بين الإثنين من بون شاسع وفرق كبير فالمصاب حين يتصل بالنجدة البشرية شُرطية كانت أو علاجية ربما تكون الحرارة مقطوعة أو الاتصال رديئا، أو تكون النجدة مشغولة بما هو أهم أو يكون الطريق الى المستنجد غير مذلل - وهذه أمور كلها خارجة عن إرادة المتلهف وما صح دخوله، وما جاز دخوله فى دائرة طلعته من حركة ومال لإدارة القرص قد بذله. أما المستغيث بربه فلا حاجة له بهذه الأمور، فاتصاله بربه لايكلفه جهداً ولا مالا وما عليه إلا أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويتوجه الى القبلة، متضرعا الى الله وخاشعا وموقنا بأنه تعالى سميع لدعائه، مجيب له، ثم يقدم الثناء الواجب اللائق بذاته تعالى، ثم يمزج دعائه بالصلاة على النبى ﷺ بداية ونهاية، فإن الله تعالى أكرم من أن يرد دعاءه الذى ابتدأه وختمه بالصلاة على النبى ﷺ فهو عند اتصاله بربه لكشف ضره لم يضطر لمغادرة منزله لأجل التليفون كما أنه لم يدفع رسما للاتصال، كما أنه لم ير عطلا لأن الطريق الى الله تعالى مفتوح دائما.

والأوامر الإلهية كلها تحمل الخير والسعادة للبشرية فى الدارين سواءكانت متصلة بالعقيدة أو التشريع أو الاخلاق أو الاستنجاد وإننا فى هذا المقام سنستعرض آيات الأمر بالدعاء سالفة الذكر لنبين الرحمة التى تجلت فيها وفى البيئة القرآنية التى أحاطت بها.

١- ففى سورة الفاتحة يقول الله فى مستهلها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ فحمد نفسه واثبت له الرحمة الكاملة بالعباد ثم أخبر أنه مالك يوم الجزاء وأمر بأن تخصه الخلائق بالعبادة والاستعانة بعد هذا كله أمرهم بأن يتوسلوا اليه ضارعين داعين، وهذا يفيد أن أمر الله تعالى عباده بالدعاء إنما هو رحمة منه بهم كما يفيد أن الدعاء هو العبادة لوروده بعد إثبات الرحمة له وقصر العبادة عليه والاستعانة به وسورة الفاتحة التى اشتملت على معنى القرآن إجمالا لم يرد فيها إلا هذا الأمر الداعى إلى طلب الهداية الى الصراط المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. وهذا دليل واضح وحجة عظيمة على أن هذا الأمر من أعظم الأوامر الآلهية التى تعبَّد الله بها عبادة.

٢- وفى سورة الاعراف نجد أن آيات الأمر بالدعاء قد أحيطت بما يفيد قدرة الله وسعة ملكوته وعظيم رحمته كما يفيد امتنانه على خلقه بتصريفه الرياح التى ساقت أمامها السحاب فأنزلته ماء على أرض موات فحيت وأخرجت من كل الثمرات وما ذلك إلا - منتهى الرحمة التى شمل الله بها كل مخلوقاتـه اقـرأ أن شئت قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

واستمر فى القراءة حتى نهاية قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

فسياق الأمر بالدعاء ضمن هذه المجموعة من الايات الكريمة لدليل على أن الأمر بالدعاء يحصل للخلق فى طياته كل رحمة وشفقه وإحسان.

٣- وكذلك الأمر فى آية الدعاء الوسيطة بين مشروعية الصوم وأحكامه فى سورة البقرة حيث سبقت بفريضة الصوم ولا يخفى على أحد كون الصوم رحمة بالعباد حتى من لايدينون بالاسلام ولا يعترفون بعقيدة السماء يقرون بأن للصوم فوائد جمة

---

(١) الأعراف: ٤٧.

(٢) الأعراف: ٥٧.

ومنافع عديدة من صحية وخلقية واجتماعية وماتلكم الفوائد إلا الرحمة بعينها. كما أن ما يلى آية الدعاء هذه من تخفيف وقبول توبة ومشروعية اعتكاف لاكتساب الثواب لهو الرحمة بذاتها واقرأ إن شئت من أول قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٨٣﴾ ﴾[1].

الى نهاية قوله تعالى:

﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾[2].

تجد أن آية الدعاء وهى ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى.. إلخ** ﴾ قد وقعت بين هذه الرحمات فكان الأمر بالدعاء وسطها امتداد لرحمة الله تعالى.

٤- وآية الأنعام التى استشهدنا بها على أن الله تعالى يغضب إذا لم يُسأل وهى قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا.. إلخ** ﴾[3].

الآية تظهر رحمة الله بالعباد لأن معناها يؤدى الى أن الله يحث عباده على الاتصال به دائما فكأنه جل شأنه يقول لبنى آدم اطلبوا منى حوائجكم فليس لكم رب سواى يجيب دعاءكم ويحقق أمانيكم وإن لم تستنجدوا بى غضبت عليكم لأنكم بتمردكم عن الاستغاثة بى حرمتم أنفسكم من نعمى وأبيتم رحمتى وتكبرتم على أمرى كما أن هذه الآية الكريمة أحيطت بآيات تشعر الإنسان بهذه الرحمة حيث سبقت ولحقت بما يحمل المرء على الانتفاع برحمة الله تعالى لأن من اتعظ بآيات الله تعالى أصبح فى رحمة الله وهذه الآيات هى قوله تعالى:

﴿ **قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ..** ﴾[4].

إلى قوله تعالى ﴿ **فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ** ﴾[5].

ومثل هذا الأسلوب من التخويف والترهيب لا يتأتى إلا فى مقام الرحمة، فالأب

---

(١) البقرة: ١٨٣.
(٢) البقرة: ١٨٧.
(٣) الأنعام: ٤٣.
(٤) الأنعام: ٤٠.
(٥) الأنعام: ٤٢.

الرءوف بأولاده، والرئيس الرحيم بمرءوسيه هو الذى ينصحهم إذا انحرفوا ويعظهم إذا غفلوا، ويخوفهم مغبة ما يئول اليه أمرهم إذا تمادوا، ويهدّدهم بالعقوبة إذا لم ينتهوا فنصحهم وتخويفهم وتهديدهم هو عين الرحمة وحقيقة الشفقة فإذا خوف الله عباده وذكرهم بما أخذ به الأمم السابقة الفاسدة من بأساء وضراء دل ذلك على أن الله بهم رحيم.

٥- وآيتا الدعاء فى سورة غافر وهما: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١) ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(٢) قد احيطتا أيضا بما يشعر المرء بنعم الله تعالى للناس، وهذه النعم ماهى إلا الرحمة والشفقة بالخلق إقرأ إن شئت من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾(٣).

الى نهاية قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾(٤).

وقد اشتملت هذه الآيات التى من بينها آية الدعاء على التهديد الذى يحمل العاقل على اتباع طريق الله تعالى واشتملت على نعمة الليل والنهار وجعل الأرض قرارا والسماء بناء، وتطور خلق الانسان من بدايته الترابية الى بلوغه الأجل المضروب لنهايته. فالتهديد والنعم والطيبات من الرزق التى ساقها الله للانسان لدليل ظاهر على أن ذلككله من باب الرحمة بالإنسان وتطعيم هذه الآيات بأيتى الدعاء دليل آخر على أن الأمر بالدعاء هو نفسه من أعظم الرحمات التى اختص الله بها بنى الإنسان.

فكل الآيات الآمرة بالتوجه الى الله والاستغاثة به دلَّت على أنها رحمة من الله لظهور تلك الصفة فيها ووضوح ذلك المعنى فى البيئة القرآنية المحيطة بها. ومما يوضح ذلك جليا أن آيات الأمر بالدعاء أكثرها عام يشمل المسلمين وغيرهم لأنها رحمة، ورحمة الله وسعت الخلائق جميعا من مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم ومنكرهم كما شملت سائر الكائنات من طير وحيوان وحشرات ومما يدل على أن الخلق كله هدف

(١) غافر: ٦٠.
(٢) غافر: ٦٥.
(٣) غافر: ٥٩.
(٤) غافر: ٦٧.

رحمة الله تعالى قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(١).

فالمسبح مشمول برحمته ورعايته والخلق جميعا مشمولون برحمة الله تعالى ورعايته لذلك نجد المشرك إذا أحاطه الكرب التجأ الى الله عز وجل وفزع إليه لعلمه بأنه تعالى وحده الذى يستطيع أن يفرج كربه وأن يزيل همه أما ما عبده من أصنام بشرية وغير بشرية فهو منها براء وخصوصا فى هذه اللحظات التى أحاطته فيها الخطوب من كل مكان وانتابته البلايا حيثما كان.

٥- ومن رحمة الله الواسعة بعباده أنهم أرشدهم إلى أحب الأسماء اليه والتى يستجاب بها الدعاء عنده فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾(٣).

وقد اهتم كثير من الصالحين بمعرفة ما يناسب مطالب العباد من الأسماء الحسنى حتى يكون ذكرهم لهذا الاسم دعاء يرجون به إجابة مطلبهم، ودعاؤهم به ذكر يرجون به المثوبة وتحقيق مصالحهم، وكان من هؤلاء العلماء الإمام جعفر الصادق(٤) الذى يقدم لنا فى هذا الأمر نصيحته خالصة فيقول: عجبت لمن ابتلى بأربع كيف يغفل عن أربع؟!

* عجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن ﴿رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وهى دعوة نبى الله أيوب عليه السلام لما فقد ماله وولده وصحبه، فاستجاب له ربه، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٤].

---

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) غافر: ٦٥.

(٤) جعفر الصادق بن محمد بن على زين العابدين بن الإمام الحسين، وهو الإمام السادس عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، اشتهر بالصدق والعلوم الدينية والطبيعية، وتتلمذ عليه جابر بن حيان عالم الكيمياء. وُلد الصادق بالمدينة المنورة سنة (٨٠) هـ ومات بها سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م.

* من ابتلى بالغم كيف يغفل عن ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وهى دعوة نبى الله يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت، فاستجاب له ربه قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

* من ابتلى بموجبات الخوف كيف يغفل عن ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. جاءت على لسان المؤمنين عندما أراد الناس تخويفهم حتى لا يخرجوا فى أثر قريش عقب غزوة أُحُد. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

* ومن ابتلى بالمكر كيف يغفل عن ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

وهذه الدعوة حكاها القرآن على لسان مؤمن يدعو الناس إلى النجاة ويعود بها إلى النار، ودّبروا لقتله، ولكن الله نجّاه من شرهم ومكائدهم، قال تعالى: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) ﴾ [غافر: ٤٥].

ولله تعالى فى كل اسم من أسمائه كلمات، ينفد البحر دون نفاذها وليس لنا من الأسماء إلا الدعاء ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾.

الفصل الخامس

الحكمة الخامسة

إنشاء التوحيد وتعميقه فى قلوب البشر

التوحيد هو أسمى ما تضمنته الكتب السماوية وأفضل ما حمله الرسل إلى البشرية لأنه الهدف الحقيقى لكل الديانات بل هو الهدف الأسمى من خلق هذه الأكوان وتلكم الكائنات من عاقله وغير عاقله يدعم ذلك قوله الله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾[١].

وسواء فسرت العبادة هنا بمعنى التوحيد أو أداء الفرائض والعبادات فالحال واحد لان كلا منهما مستلزم للاخر فالتوحيد يقتضى اتباع أوامر الموحد التوحيد واجتناب نواهيه والتزام طاعته كما أن أداء الفرائض والعبادات متضمن لمعنى التوحيد لأنها تنفيذ لأمر الموحد كما أنها اجتناب لكل ما نهى الله تعالى عنه ولذلك أمر الله تعالى المصطفى والمسلمين أن يقولوا: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ (٤) ﴾[٢].

وقبل ذلك أنشأهم على التوحيد الخالص، أمرهم أن يقولوا «لا إله إلا الله». اخرج البخار ومسلم فى الصحيحين عن أنس[٣] رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ راكبا ومعاذ[٤].

---

(١) الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨.

(٢) الإخلاص: ١ ـ ٤.

(٣) هو الصحابى الجليل أبو حمزة أنس بن مالك الأنصارى.. وقد تقدمت ترجمته.

(٤) هو سلطان العلماء وأعلم الأمة بالحلال والحرام الصحابى الجليل معاذ بن جبل الأنصارى الخزرجى، وقدورد أن العلماء تأتى تحت رايته يوم القيامة، وقال له الرسول ﷺ: إنى احبك يامعاذ، وهو من فضلاء الصحابة وفقهائهم، وممن شهدوا بدراً، وحسبك بها منقبه، وكان ممن جمع القرآن وقد أرسله الرسول واليا على جانب من اليمن سنة عشر، وقيل انه هو الذى بنى مسجد الجند باليمن، وظل هناك حتى توفى رسول الله ﷺ وقد شهد له الرسول بأنه أعلم أمته بالحلال والحرام، وقال فيه حسب رواية الترمذى: «نعم الرجل معاذ بن جبل» واستشهد رضى الله عنه فى طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة هجرية.

رديفه[1] على الرحل، فقال يا معاذ! قال: لبيك يارسول الله وسعديك[2] قال: يامعاذ! قال: لبيك يارسول الله وسعديك! قال: ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا حرّمه الله على النار! قال: يارسول الله، ألا أخبر بها الناس؟ قال: اذا يتكلوا عليها. فأخبر بها معاذ عند موته تأثما.

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن هاهنا استقصاؤها، فلنذكر بعض ما ورد فيها، فهى كلمة التقوى كما قال عمر رضى الله عليه وغيره، وهى كلمة الاخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر، ولأجلها خلق الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُول إلاَّ نُوحى إلَيْه أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون ﴿٢٥﴾﴾[3] وقال تعالى ﴿يُنَزّلُ الْمَلائكَةَ بالرُّوح منْ أَمْره عَلَىٰ مَن يَشَاءُ منْ عبَاده أَنْ أَنذرُوا أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ أَنَا فَاتَّقُون ﴿٢﴾﴾[4] وهى مفتاح الجنة، ومفتاح دعوة الرسل وبها كلّم الله موسى مواجهة، وهى توجب المغفرة، ونجاة من النار، وهى أحسن الحسنات، وهى تمحو الذنوب والخطايا، وهى تجدد مادرس من الايمان فى القلب وفى المسند أن النبى ﷺ قال لأصحابه: جددوا إيمانكم قالوا: كيف نجدد إيماننا؟ قال: قولوا: لا إله إلا الله، وهى التى لايعد لها شىء فى الوزن، فلو وزنت بالسموات والأرض لوجحت بهن، وليس لها من دون الله حجاب، وقال أبو أمامة[5] «ما من عبد يهلل تهليلة فينهنها شىء دون العرش، وهى التى ينظر الله إلى

---

(١) الرديف: الذى يركب خلف الراكب وهو المناسب هنا، وهو المرتدف والردافى كحبارى، وله معانى أخرى لغوية: فالرديف أيضا كل ما تبع شيئا، وجليس الملك عن يمينه يشرب بعده، ويخلنه إذا غزا، والموضوع الذى يركب فيه الرديف يسمى الرداف بوزن الكتاب.

(٢) لبيك مأخوذ من لب بمعنى أقام، والمعنى: أنا مقيم على طاعتك البابا بعد انباب، أى اقامة بعد اقامة، واجابة بعد اجابة، أو معناه اتجاهى اليك وقصدى لك، وذلك من قولهم: دارى تلب داره، أى تواجهها، أو معناه محبتى لك من قولهم امرأة لبة، بوزن حبة، أى محبة لزوجها، أو معناه اخلاصى لك، من قولهم: حُبّ لباب أى خالص. . وسعديك أى اسعاداً لك بعد اسعاد! (وتأثما)(فى آخر الحديث أى تخلصا من الإثم (أى مخافة أن يأثم لعدم تبليغه حديث رسول الله ﷺ للمسلمين وتعليمهم (إياه).

(٣) الأنبياء: ٢٥ (٤) النحل: ٣.

(٥) هو الصحابى الجليل أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلى نزيل حمص، وقد قال عن نفسه، كنت يوم حجة الوداع ابن ثلاثين سنة، وقد توفى رضى الله عنه سنة ست وثمانين، وذلك لأن حجة الوداع كانت فى السنة العاشرة.

قائلها، ويجيب دعواه، أخرجه النسائى فى كتاب اليوم الليله من حديث رجلين من أصحابه عن النبى ﷺ «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، مخلصا بها قلبه، يصدق بها لسانه، إلا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله.

وهى الكلمة التى يصذق الله قائلها، كما خرَّجه النسائى والترمذى وابن حبان من حديث أبى هريره وابى سعيد رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: اذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر صدَّقه ربه، وقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذال قال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا، لى الملك ولى الحمد. وإذا قال العبد: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله: لا إله إلا أنا ولا حول ولاقوة إلا بى.

وكان يقول: من قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار، وهى أفضل ما قاله النبيون، كما ورد ذلك فى دعاء عرفه وهى أفضل الذكر، كما ورد فى حديث جابر المرفوع: أفضل الذكر لا إله إلا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أحب كلمة إلى الله لا إله إلا الله لايقبل الله عملا إلا بها.

وهى أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفا»[1] وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان، كما فى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه من قال: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير» فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحى عنه مائة سيئة ولم يأت أحد بأفضل مما جاد به إلا واحد عمل أكثر من ذلك.

وفى الصحيحين عن عبادة بن الصامت[2] رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: من شهد أن لا أله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد

---

(١) تضعيفًا: أى تكثيرًا للثواب ومضاعفة له، وتعدل: تساوى.

(٢) عبادة بن الصامت: هو الصحابى النقيب عباده بن الصامت، شهد بدرًا وما بعدها، ووجهه عمر إلى الشام قاضيًا ومعلمًا، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، ومات بها سنة خمس وثلاثين للهجرة، وقيل مات بالرملة، ودُفن ببيت المقدس رضى الله عنه.

الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يَبْعث من فى القبور، فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء.

تبارك ذو الجلال والإكرام	ومن شهد أن لا إله إلا هو
من يغفر الذنوب ومن يمحصها	غيرك يا من لا إله إلا هو
جنان خلده لمن يوحده	أشهد أن لا إله إلا هو
ناره لا تحرق من	يشهد أن لا إله إلا هو
أقولها مخلصًا بلا بخل	أشهد أن لا إله إلا هو

قيل للحسن: ان ناسا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال: من قال لا إله إلا الله ، فأدى حقها وفَرْضها دخل الجنة

ومن كمال التوحيد أمر الله المسلمين ان يبدأوا أقوالهم وأفعالهم بالبسملة فقد قال ﷺ: كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع أو أبتر أو أجذم».

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجدها تعالج قضية التوحيد بأساليب متفاوته حسب ثقافة المخاطب وحصيلته العلمية كما فهمه الأعرابى القائل: «إن العبرة تدل على البعيرة».

فإنه يخاطب أيضًا كل امرئ بحسب ما وعى من علم وثقافة وفن ليستنتج دليل عجزه من ذات نفسه وما أحاط به علما حتى يصل الى دليل وحدانيته تعالى واضحا جليا وصدق القائل اللعظيم: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾[1].

فالآيات الكونية والآيات الآفاقية والأنفسية[2] كلها علامات صدق على طريق

---

(١) الذاريات: ٢١.

(٢) جرت عادة القرآن الكريم إذا أمر العباد بالدعاء أو العبادة أن يقرنهما بأحد دليلى وجود الله تعالى وإثبات وحدانيته هذان النوعان من الأدلة هما: الأدلة الأفاقية والمراد بها كل ما عدا الإنسان وهى أقسام كثيرة، والأدلة الأنفسية والمراد بها الأدلة الخاصة ببنى الإنسان أى أحوال بدنه ونفسه.

وحدانية الله تعالى وبراهين حق على كمال ذاته وصفاته وأفعاله- ففى سورة النمل يقول الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(١).

والآيات الخمس التى وردت فى نفس السورة خير مثال على ذلك وانظر معى الآيات الواردة فى سورة الروم.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾(٢). والآيات الست التى بعدها فى نفس السورة أيضا.

وفى سورة العنكبوت يقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(٣).

والآيات الثلاث التى بعدها.. كلها تحمل أقوى الأدلة على أن الدعاء من أقوى الأدلة المعمقة لمعانى التوحيد لدى المسلمين وغير المسلمين لأن المؤمن الداعى يحمل فى طيات دعائه وأسبابه التوحيد جليا فاذا استجاب العبد لأمر مولاه فالتجأ إليه بالدعاء فهو حينئذ لا يدعوه إلا لأسباب حدت به الى الدعاء وحملته عليه وهذه الأسباب حينما نستعرضها نجدها كلها توحيد وكلها تمجيد وكلها تقديس لله تعالى لأن من أهم هذه الأسباب الحاجة والاحتياج. فالمحتاج قد يندفع فور إحساسه بما يحتاج اليه مع شعوره أيضا بالعجز عن تحقيقه الى العليم بحاجته والقادر على انجازها وللإنسان حاجات وحاجات قد تكون ضرورية بالنسبة له وقد تكون كمالية والأولى هى المحددة بقانون النمو النمائى، والثانية هى التى لاحد لها ولانهاية لغايتها لان الحياة دائما فى تقدم وتغير وازدهار من حال إلى حال والله تعالى بهذه التطلعات البشرية والأمانى الإنسانية كلها كفيل، وعلى تحقيقها قادر ومعين بحيث لو أعطى كل طالب طلباته وحقق لكل راغب متمنياته ما نقص ذلك من ملكه شيئا إلا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر. فالمحتاج الذى هو فى أمس الحاجة الى تحقيق مابه تبقى

---

(١) النمل: ٦٠.
(٢) الروم: ٢٠.
(٣) العنكبوت: ٦١.

حياته وتصبح مطردة النمو قد يكون الموجه له الى الله تعالى شعوره النفسى بأن الله مصدر كل خير وأنه الكفيل بتحقيق كل متطلباته وتكون الحاجة والشعور بها والجزم بأن منجزها ومحققها هو الله تعالى هى أقرب الطرق الموصلة الى الله تعالى فيتجه هذا العبد الى مولاه طالبا وسائلا وخاشعا ومتضرعا رافعا أكفه مناديا ربه ذليل النفس له منكسر الفؤاد يرجو رحمته ويخشى عقابه.

وقد يكون المحتاج لضروريات الحياة وكمالاتها من متوسطى الثقافة أو ممن ضربوا بسهم وافر فيها فيندفع الى الله لانه يراه أهلا لتحقيقها لا بشعوره وفطرته فحسب بل بعلمه وثقافته حيث أعمل فكره وجهده وقلب النظر فى أموره وشئونه ومن خلال ذلك أصاب كبد الحقيقة فولى وجهه الى الله بعد ان تبين الطريق اليه يجأر اليه مستنجدا ومستعطفا ليقينه بأن من سواه لايحقق عملا ولا ينجز طلبا.

وكما يكون صاحب الحاجة مسلما يكون مشركا أو كافرا أو عاصيا فتدفعه حاجته الى الالتجاء الى الله تعالى فيقبل عليه داعيا لتحقيق أمله ودفع ضره وبقاء خيره وقد يكون هذا الألتجاء إلى الله تعالى سببا من أسباب التوبة والعودة بصاحبها إلى رحاب الله فيصبح مقرا بوحدانيته ومعترفا بأنه ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير.

وهكذا يتضح أن استجابة العبد لأمر مولاه له بالدعاء يفتح له باب التوبة والانابة ويعمق فى قلبه توحيده ويوفقه إلى أقرب الطرق وأسرعها وأضمنها وصولا إلى خالقه وهذا هو الطريق المضىء الذى لايتكبد فيه سالكه عناء ولاشقاء ولا وحشه ولا يضل فيه ولاينحرف.

والفضل ما شهدت به الأعداء، يقول المستر «سشتدريك» فى أول محاضرة عن الإسلام فى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة «أحب أن أفتتح كلامى بالكلمة الطيبة، لا إله إلا الله محمد رسول الله، إن القرآن ليس كتاب دين فحسب، بل هو أعظم هاد إلى سعادة الفرد والمجتمع، وقد وقر ذلك فى نفسى من أول ما أطلعت عليه، وبالرغم من أنى قرأته مشوّها محرّفا بترجمته، فليس كالإسلام دين أخلص العبادة لله وقرر عقيدة التوحيد الخالصة».

إن التوحيد هو جوهر الرسالات السماوية، وعليه قامت دعوة الأنبياء والمرسلين على توالى القرون والعصور، يدعون الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له،

ويبينون لهم سبل الرشاد، ويمدونهم بالتعاليم التى تقوّى عزيمتهم، ويزودونهم بالأفكار الصالحة التى يستطيعون أن يهتدوا بهديها، والتى تساعدهم على التمييز بين الظلام والنور، وبين الهدى والضلال، وبين الطريق المستقيم المعوج الذى يؤدى إلى الهلاك والفشل والدمار. والإسلام يدعو أتباعه إلى التوحيد الخالص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ والإسلام يثبت أن الدين كله واحد هو الإسلام لله، وإن تعددت الأسماء، وأن الإيمان بالله يستتبع الإيمان بجميع رسله وكتبه، وهذا الإيمان وحدة كاملة وحقيقية، وغير قابلة للتجزئة ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

هذا هو الإسلام بمعناه الواسع الذى يشمل سائر الأديان، وهذا هو الإسلام الذى أُوحى إلى محمد ﷺ فى القرآن، والإسلام يدعو أتباعه إلى التفاهم حتى فى المسائل الدينية فهو يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦].

والإسلام نفسه يقول ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. والبيان لا يكون إلا بالإدراك أى بالعقل.

وقد بشرت الكتب السماوية؛ التوراة والإنجيل ببعثة نبى الإسلام محمد ﷺ، وظلت هذه البشارة قائمة إلى الآن بالرغم مما أُدخِل عليها من التحريف، ففى التوراة

ودرت البشارة بالرسول محمد ﷺ فى سفر التثنية (٣٣: ٣) «جاء الرب من سنياء، أشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران). وتلك هى الرسالات الثلاث: لموسى، وللمسين ولمحمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم.. وهذا مصداق قوله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١ - ٣].

لأن منبت التين والزيتون مهجر إبراهيم، ومولد عيسى عليهما السلام، وطور سيناء، مكان مناجاة الله تعالى لموسى عليه السلام، وفاران فى مكة: مولد الرسول محمد ﷺ.

وجاء فى أسفار الأنبياء عليهم السلام: أنه ﷺ روح الحق، والفاراقليط، وهو تعريب للفظ اليونانى الموجود فى الإنجيل (بيريكلتوس) أى (الذى له حمد كثير) ويوافق أفعل التفضيل من (حمد) أى (أحمد) وهذا ما يؤيد القرآن ﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وأنه لا يتكلم إلا بما يسمع من الله تعالى، وأنه أساس الحق ورأس زاويته، وهو البار الذى تنبأت به زوجة الوالى الرومانى.

والمخطوطات والآثار القديمة اليت عُثِر عليها بجوار البيت، تثبت بشرية المسيح ووحدانية الله وبعثة محمد عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد صّرح إنجيل بْرنابا بذلك كله.

وكان عيسى عليه السلام قد عبّر المُبشّربه بلفظ (النبى) وبلفظ (مسيا)، وكلمة (مسيا) آرامية معناها (رسول).. وعند مجئ الرسول عليه الصلاة والسلام يسجد العلم شكرًا وسيجعل كل سنة هذا اليوبيل بدل كل مائة سنة، وهذا الذى قاله برنابا فيه إشارة واضحة إلى الحج وهو الركن الخامس فى الإسلام وكلمة (إنجيل) معناها: بشرى، لأن المسيح عليه السلام جاء مبشراً بقدوم محمد عليه السلام ونحن المسلمين - غير مسئولين - عن الطريقة الدامية التى سارت فيها العلاقات العالمية بين الإسلام والصليبية.

لكن المواريث السماوية بين أيدى القوم تحتاج إلى تأمل وطول نظر.

ففيها كلام حسن عن الله الواحد وعن وصاياه للعالمين بالاستقامة والتقوى، وهذا الكلام يستحق القبول والعناية.

بيد أن هناك كلامًا آخر يشعر الإنسان الحصيف بقلق عندما يتلوه، ذاك الذى ينسب إلى الله الكبير صفات تتنزه عنها ذاته العليا.. ثم ذاك الذى يؤرخ للأنبياء وهم قمم الإنسانية من أزلها إلى أبدها - فيبرزهم بصورة لا تتفق مع ما وسمهم الله من كمال النبوة وعصمتهم من المعاصى، صلوات الله وسلامه عليهم[1].

وشيء آخر لا يعود إلى هذه الكتب قدر ما يعود إلى أصحابها وهو تواطؤهم على جحد العروبة ونبيها الخاتم لما سبق، صاحب الرسالة التى قدّر الله أن تصحب العالم فى مراحل وجوده حتى الحصاد الأخير للنشاط الإنسانى فوق الأرض.

إن إنكار نبوّة محمد ﷺ وتناسى دلائلها الثابتة فى الكتب المقدسة عند القوم شيء مستغرب. ومن حق الباحث المسلم أن يجلو غوامضه.

يقول الدكتور بوكاى[2]: «إنه من المؤسف حقا أن نجد الآن كثيرًا من الناس من أوربا يتحدثون عن المسلمين على أنهم «المحمديون» لتأكيد الأدعاء الباطل، والإشارة المقصودة بأنهم أناس يتبعون دينًا قام بتأليفه رجل عادى، وبالتالى فالإسلام فى نظرهم دين عديم القيمة عند الله».

ويقول الدكتور بوكاى فى هذا الصدد «كان يمكن أن أظل محتفظًا بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام تمامًا مثل كثيرين فى الغرب، لأن هذه الأفكار الخاطئة للأسف على درجة كبيرة من الإنتشار بحيث إننى أندهش الآن حين ألتقى نادرًا (وخارج المتخصصين) بشخص يعرف حقيقة الإسلام، واعترف بأننى كنت جاهلاً مثل غيرى، وقيل أن تعطى لى عن الإسلام صورة تختلف عن تلك التى تلقيتها فى الغرب».

يدحض تمامًا خر من هؤلاء الذين يرون فى محمد ﷺ مؤلفًا للقرآن!.

(١) طالع قصة لوط فى سفر التكوين وسفر نشيد الإنشاد.

(٢) جراح فرنسى شهير أسلم حديثًا وأصدر مؤلفه القيم القرآن والتوراة والإنجيل والعلم.

فكيف يمكن لإنسان أُميّ أن يصرّح بحقائق ذات طابع علمى لم يكن فى مقدور أى بشر فى ذلك العصر أن يؤلفها دون أن يقع فى خطأ علمى خلال تصريحه؟!

حقًا إن محمد ﷺ نبى ورسول، والقرآن الكريم تعبير صادق للوحى الإلهى ويجب على البشرية كلها منح القرآن منزلة خاصة لصدقه ونقاء روايته.

ويقول الدكتور بوكاى: «إذا أخذنا فى اعتبارنا الحقائق الموضوعية لتاريخ الأديان، ودون تعديلات البشر للكتب المقدسة، عندئذ يجب علينا أن نضع التوراة والإنجيل والقرآن على مستوى واحد من حيث إنها مجموعات للوحى المكتوب الأديان التوحيد الثلاثة، غير أن هذا الموقف الذى يعترف به المسلمون مبدئيًا ليس هو نفس الموقف الذى يقبله للأسف فى الغرب تحت تأثير الدعايات اليهودية والمسيحية التى ترفض للأسف إعطاء القرآن الكريم صفة الكتاب المنزّل! ولا يملك الإنسان سوى أن يأسف لمثل هذه المواقف التى تحتفظ بالأفكار الخاطئة والإدعاءات الباطلة عن الإسلام والنبى محمد ﷺ والقرآن الكريم[1].

بيد أن من الأمور التى يجهلها الكثيرون أن الإسلام خص النصارى من بين جميع الأديان بالود، فهو وإن أنكر ألوهية المسيح والصلب والتثليث إلا أنه من جهة أخرى أعلن أن النصرانية أقرب الأديان مودة إلى الإسلام، وهذا ما صرّح به القرآن: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ وتخلقوا بأخلاقه «وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة».

وتعاليم المسيح عليه السلام تهدم التعصب الطائفى والعنصرى كما جاء فى قصة الكاهن مع الجريح الذى مر عليه وتركه، ولقد صرح الأسقف الإسكندرى (آريوس) بأن المسيحية قد حُرِّفت بما دخل عليها من المبادىء الفلسفية المستوردة من الهند والصين وفارس ومصر الفرعونية، فلم يبق إذن غير الرجوع للحق ولدين الحق الذى تكفّل الله بحفظه.

---

(١) كتاب من دلائل الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة النبوية د. موسى الخطيب.

«إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

وليس أجمل من هذا ولا أحسن «ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلاً».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه

خـاتمـة

اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الشكر ولك الحمد بما فضلتنا وبما خلقتنا، ورزقتنا، وأعطيتنا، وهديتنا، وعلمتنا وجعلتنا من أتباع أكرم نبى، وأكمل صفى، وخير رسول وأصدق شفيع محمد عبدك ورسولك النبى الأمى الرحيم عليه صلواتك وسلامك يارب العالمين.

اللهم لك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالإسلام والإيمان، ولك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا فى قديم أو حديث أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حى أو ميت أو شاهد أو غائب، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، وأنت أهل الفضل والعطاء والعفو والرضا.

اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى، إلى الفقراء وأنت الغنى الكريم. أم الى السفهاء وأنت الحليم الحكيم، أم الى الجهلاء، وأنت العليم الخبير، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، لكن عافيتك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك، أنت ولينا فى الدنيا والآخرة توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

اللهم إنى عبدك وابن عبدك وأمتك ناصيتى بيدك ماض فىَّ حكمك عَدْل فى قضاؤك أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميَّت به نفسك أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى وغمى، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما

استطعت، أعوذ بك من شر ماصنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبى فأغفر لى فأنه لايعفر الذنوب إلا أنت يارب العالمين.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزِّينه فى قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

اللهم ارزقنا حبك، وحب من أحبك، وحب ما يقرِّبنا إلى حبك، ياودود ويا مقصود، وياذا الكرم والجود.

اللهم ارزقنا حب نبيك وصفيِّك وخليلك محمد ﷺ وحبّ ما يقرِّبنا الى حبه وأتباعه والشوق الى لقائه وورود الحوض معه. واسقنا من حوضه شربة لانظمأ بعدها أبدا وأنت الكريم العظيم، ياخير من سئل وأكرم من أعطى.

اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، وأجعل الموت راحة لى من كل شر.

اللهم لايهزم جندك، ولا يخلف وعدك، سبحانك وبحمدك، تحصَّنت بالله الذى لا إله إلا هو، الهى وإله كل شىء، واعتصمت بربى ورب كل شىء، وتوكلت على الحى الذى لايموت، واستدفعت الشر كله بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، حسبى الله ونعم الوكيل، حسبى الرب من العباد، حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، وهو الذى يكشف المأثم والمغرم، لاشريك ولاند له، وهو خالق كل شىء وهو على كل شىء قدير وبكل شىء عليم.

وصلى الله وسلم على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه آجمعين.

ثبت المراجع

القرآن الكريم وتفسيره

١ - القرآن الكريم كتاب الله تعالى.

٢ - الأصفهانى: الراغب الأصفهانى

المفردات فى غريب القرآن - ط الحلبى ١٣٨١هـ.

٣ - ابن عربى: محمد بن على الطائى المتوفى سنة ٦٣٨هـ

- تفسير القرآن لكريم - ط. دار اليقظة بيروت ١٣٧٨هـ.

٤ - ابن العربى: الإمام أبو بكر بن العربى المعافرى المتوفى سنة ٥٤٣هـ.

أحكام القرآن - ط. دار الفكر.

٥ - ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ.

- الفسير القيِّم لابن القيّم.

٦ - ابن كثير: الإمام الجليل، الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة سنة ٧٧٤هـ.

- تفسير القرآن العظيم. ط المكتبة التوفيقية - القاهرة.

٧ - أحمد: الشيخ محمد محمود أحمد.

آيات الدعاء فى القرآن الكريم

رسالة دكتوراه ١٩٧٩م - مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة.

٨ - الجزائرى: أبى بكر الجزائرى ـ أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير ـ ط مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة.

٩ - الجمل: الإمام العالم سليمان بن عمر الجيلى الشافعى الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٢٠٤هـ.

- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية وبهامشه خمسة كتب: الأول تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى، والثانى لأبى البقاء عبد الله بن الحسين الكعبرى فى وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن. والثالث: مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن. والرابع: لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى، والخامس: فى معرفة الناسخ والمنسوخ لأبى عبد الله محمد بن حزم. طبع بمطبعة عيسى اليابى الحلبى وشركاه بمصر.

١٠ - الحمصى: محمد حسن الحمصى.

تفسير وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول للسيوطى ط. دار الرشيد - بيروت.

١١ - الرازى: الإمام الفخر محمد بن عمر التيمى القرشى المتوفى سنة ٦٠٤هـ.

التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» - ط. الخيرية - القاهرة ١٣٠٨هـ.

١٢ - رضا: السيد محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٣)

تفسير القرآن الحكيم المشتهر «بتفسير المنار» - ط. المنار ١٣٢٥هـ.

١٣ - الزمخشرى: محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٢٨هـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل - ط. الحلبى ١٣٥٤هـ. القاهرة.

١٤ - السيوطى: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد المتوفى سنة ٨٤٩هـ / ٩١١م.

١٥ - شلتوت: فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر السابق رحمه الله تعالى.

تفسير القرآن الكريم - ط دار القلم ١٩٦٦م - القاهرة.

١٦ - الصابونى: محمد على الصابونى

صفوة التفاسير - دار القرآن الكريم، بيروت، ط أولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٧ - الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ

جامع البيان عن تأويل آى القرآن - ط الحلبى ٣٨٣هـ القاهرة.

١٨ - عبد الباقى: الأستاد محمد فؤاد عبد الباقى

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - ط الشعب ١٣٧٨هـ.

١٩ - عبده: فضيلة الأستاذ الإمام محمد عبده.

تفسير سورة الفاتحة - ط. الشعب.

٢٠ - القرطبى: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن بكر بن فرج الأنصارى القرطبى.

الجامع لأحكام القرآن. ط. دار الكتب المصرية ١٣٥٤هـ.

٢١ - مجمع اللغة العربية:

- معجم ألفاظ القرآن الكريم - ط الهيئة المصرية العامة.

السُّنة وشروحها:

١ - ابن حجر العسقلانى: أبو الفضل أحمد بن على الكتابى المتوفى سنة ٨٥٢هـ

- فتح البارى شرح صحيح البخارى - ط. الريان - القاهرة.

- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية.

٢ - ابن حجر الهيثمى: على بن أبى بكر (٧٣٥ - ٨٠٧).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - دار إحياء التراث العربى - بيروت.

٣ - ابن السنى: أحمد بن محمد (نحو ٢٨٠ - ٣٦٤).

عمل اليوم والليلة. ط. دائرة المعارف بالهند سنة ١٣٢٥هـ.

٤ - ابن ماجه: الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (٢٠٧ - ٢٨٥هـ).

سنن ابن ماجه - ط. دار الفكر العربى.

٥ - أبو داود: الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى.

سنن أبى داود، ط. أولى. الحلبى بمصر ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٦ - أبو الشيخ: ابن حبان: عبد الله بن محمد (٢٧٤ - ٣٦٩).

أخلاق النبى ﷺ وآدابه. ط. السعادة بمصر.

٧ - الألبانى: محمد ناصر الألبانى.

سلسلة الأحاديث الصحيحة - ط. المكتب الإسلامى.

- التعليق على «مسند الإمام أحمد بن حنبل». ط. المكتب الإسلامى.

٨ - البخارى: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٤ - ٢٥٦هـ).

- الأدب المفرد ـ ط. بيروت.

- صحيح البخارى - طبعة دار مطابع الشعب.

٩ - البيهقى: الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ.

- السنن الكبرى - ط. أولى. مطبعة مجلس دائرة المعار النظامية الكائنة بالهند ببلدة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٤هـ .

١٠ - الترمذى: محمد بن عيسى (٢٠٩ - ٢٧٩)

«سنن الترمذى» بشرح «تحفة الأحوذى» طبع دهلى - الهند.

١١ - الحاكم: محمد بن عبد الله الينابورى (٣٢١ - ٤٠٥).

المستدرك. ط. دائرة المعارف بحيدر آباد الهند سنة ١٣٤٥هـ.

١٢ - الحكيم الترمذى: أبو عبد الله محمد بن على المتوفى سنة ٣٢٠هـ.

- نوادر الأصول فى معرفة أحاديث الرسول.

- تحقيق وتعليق د. أحمد عبد الرحيم السايح ود. السيد الجميلى ط. الريان ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - القاهرة.

١٣ - الدارقطنى: الإمام على بن عمر الدارقطنى (٣٠٦ - ٣٨٥)

سنن الدارقطنى - ط. عالم لكتب بيروت.

١٤ - السيوطى: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد المتوفى سنة ٨٤٩هـ/ ٩١١م.

- جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير - ط مجمع البحوث الإسلامية القاهرة.

١٥ - الشوكانى: محمد بن على المتوفى سنة ١٢٥٠هـ.

- نيل الأمطار شرح متقى الأخبار من حديث سيد الأخبار. ط. الحلبى ١٣٤٧هـ.

- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين - مكتبة المتنبى.

١٦ - القسطلانى: أحمد بن محمد بن أبى بكر القاهرى، من علماء الحديث، توفى سنة ٩٤٣هـ - ١٥١٧م.

- المواهب اللدنية.

١٧ - مالك: أبو عبد الله مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩)

الموطأ: تحقيق وتعليق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف - ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. سنة ١٣٨٧هـ القاهرة.

١٨ - مسلم: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٠٦ - ٢٦١هـ)

- صحيح مسلم. تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ط. دار إحياء التراث العربى - بيروت.

١٩ - منسنك: الدكتور أ. ى. منسنك أستاذ اللغات السامية بجامعة ليدن.

- مفتاح كنوز السُّنة - نقله من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى. ط. أولى. مطبعة مصر؛ شركة مساهمة مصرية سنة ١٣٥٣هـ.

٢٠ - المناوى: عبد الرءوف المناوى (٩٥٢ - ١٠٣١).

- فيض القدير شرح الجامع الصغير. ط. المكتبة التجارية الكبرى.

٢١ - المنذرى: عبد العظيم بن عبد القوى (٥٨١ - ٦٥٦).

- الترغيب والترهيب - تحقيق وتعليق الأستاذ محمد سعيد العريان. ط. مكتبة الحديث - القاهرة.

٢٢ - النازلى: السيد محمد حقى النازلى.

- خزينة الأسرار جليلة الأفكار وبهامشه كتاب الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين - ط. دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

٢٣ - النسائى: الحافظ أبو عبد الرحمن بن على بن شعيب النسائى (٢١٥ - ٣٠٣هـ).

سنن النسائى بشرح السيوطى - ط. المطبعة الأزهرية - القاهرة.

٢٤ - الهندى: علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى المتوفى سنة ٩٧٥هـ.

- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال - ط. دار المعارف النظامية سنة ١٣١٣هـ - الهند.

٢٥ - النووى: يحى بن شرف (٥٧٦ - ٦٣١).

- شرح «صحيح مسلم» - طبع وبنشر المطبعة المصرية ومكتبتها.

- الأذكار من كلام سيد الأبرار. ط. المكتبة العصرية بيروت.

- رياض الصالحين - ط. القاهرة.

- الأحاديث القدسية، ط. مكتبة الاعتصام.

مراجع الفقه:

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (٦٦١ - ٧٢٨)

- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

- التحفة العراقية فى الأعمال القلبية.

٢ - ابن الحاج: المدخل إلى تنمية الأعمال.../ دار الحديث.

٣ - ابن المطهر: الإمام المهدى محمد بن المطهر.

- الرياض الندية.

٤ - ابن رجب: الحافظ بن زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥هـ.

٥ - ابن قيم الجوزية: الإمام شمس الدين محمد بن بكر.

- إغاثة اللهفان عن مصائد الشيطان.

- مدارج السالكين.

٦ - الحليمى: أبو عبد الله الحليمى.

- المنهاج.

٧ - الدهلوى: الشيخ أحمد المعروف بشاه ولى الله بن عبد الرحيم حجة الله البالغة - تحقيق ومراجعة الشيخ سيد سابق - ط. دار الكتب الحديثة - القاهرة.

٨ - السبكى: تاج الدين عبد الوهاب بن على المتوفى سنة ٧٧١هـ

- طبقات الشافعية الكبرى - ط. البابى الحلبى.

٩ - السمرقندى: أبى الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الفقيه السمرقندى الحنفى المتوفى سنة ٣٧٣هـ.

- تنبيه الغافلين فى الموعظة بأحاديث سيد المرسلين ويليه كتاب بستان العارفين للمؤلف - ط. دار إحياء الكتب العربية.

١٠ - الكردى: الشيخ محمد أمين الكردى المتوفى سنة ١٣٣٢هـ.

- تنوير القلوب فى معاملة علاّم الغيوب.

١١ - مكى: الشيخ حسن عبد الرحيم مكى.

- مذكرات التوحيد.

السِّيرة والتراجم:

١ - ابن العماد الحنبلى

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - ط. بيروت.

٢ - ابن حجر العسقلانى: أبو الفضل أحمد بن على الكتانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

- الإصابة فى تمييز الصحابة - مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨هـ.

- تقريب التهذيب - طبع الهند - دهلى سنة ١٣٢٠هـ.

٣ - ابن سعد: محمد بن سعد كاتب الواقدى (١٦٧ - ٢٣٠).

- الطبقات الكبرى - ط. دار التحرير.

٤ - ابن عساكر: (٤٩٩ - ٥٧١) «تاريخ دمشق» (١ - ٢) تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٥١ - ١٩٥٤.

٥ - ابن عياض: الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى

- الشفا بتعريف حققو المصطفى - ط. مكتبة دار التراث. القاهرة.

٦ - ابن قتيبه: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦هـ.

- عيون الأخبار - ط. هيئة الكتاب.

٧ - ابن قيم الجوزية: محمد بن أبى بكر (٦٩١ - ٧٥١).

- زاد المعاد فى هدى خير العباد. طبع محمد على صبيح سنة ١٣٥٣هـ.

٨ - أبو نعيم: الحافظ أبو نعيم الأصبهانى (٣٣٦ - ٤٣٠هـ).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩هـ.

٩ - الذهبى: محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٧٤٨).

- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال - بيروت.

- سير أعلام النبلاء (محفوظة أحمد الثالث ٢٨٧ تاريخ بمعهد المخطوطات).

١٠ - الذركلى: خير الدين الزركلى.

- الأعلام - ط. ثانية - بيروت.

١١ - الشهرستانى: محمد بن عبد الكريم بن أحمد المعروف بالشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

- الملل والنِّحَل - ط. القاهرة.

١٢ - الطبرى: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٥ - ٣١٠هـ).

- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى) (١ - ١٥) صورة عن الطبعة الأوربية - مصر.

١٣ - طبارة: الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة.

مع الأنبياء فى القرآن الكريم. ط. ثالثة. دار العلم للملايين بيروت.

١٤ - النجار: فضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار.

- قصص الأنبياء - ط. ثانية. الحلبى ١٣٨٦هـ القاهرة.

١٥ - وصفى: الدكتور محمد وصفى.

- مع الأنبياء - ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة.

مراجع اللغة:

١ - الأزهرى: تهذيب اللغة: الجزء الأول تحقيق عبد السلام هارون، دار القومية العربية ١٣٧٤.

٢ - ابن منظور: محمد بن مكرم (٦٣٠ - ٧١١).

لسان العرب - ط. دار صادر بيروت سنة ١٩٥٥م.

٣ - الجوهرى: الصحاح (١ - ٦) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٩٦٥.

٤ - الفيروز أبادى: محمد بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٧).

القاموس المحيط - ط. ثانية سنة ١٣٥٣هـ.

مراجع عامة:

١ - ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة من كلام الإمام على الميمنية بمصر المحمية سنة ١٣٢٩هـ.

٢ - ابن الشريف: الأستاذ محمود بن الشريف.

الدعاء فى القرآن - ط. دار المعارف بمصر.

٣ - ابن القيّم: محمد بن أبى بكر (٦٩١ - ٧٥١).

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - ط. العلمية بيروت.

- الوابل الصيّب من الكلم الطيب - جدة.

- كتاب القضاء والقدر.

- كتاب الداء والدواء (الجواب الكافى) - مكتبة المدنى - جدة.

٤ - ابن عربى الحاتمى: الفتوحات المكية/ دار صادر ومصر.

٥ - أبو الخشب: الأستاذ الدكتور إبراهيم على أبو الخشب.

- أولياء الله الصالحون - الناشر مكتبة القاهرة.

٦ - أبو طالب المكى: محمد بن على بن عطية المتوفى سنة ٣٨٦هـ.

- قوت القلوب فى معاملة المحبوب - ط. دار صادر بيروت.

٧ - بدوى: الأستاذ عبد الليطف بدوى.

- يوميات مفتش تعليم - ط. مكتبة الأنجلو المصرية.

٨ - بوكاى: د. موريس بوكاى.

- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم - ط الفتح للإعلام العربى القاهرة.

٩ - أحمد: الأستاذ إبراهيم خليل أحمد.

- محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن - ط: مكتبة الوعى العربى القاهرة.

١٠ - البيهقى: الأسماء والصفات/ ط. الهند ١٢١٣هـ.

١١ - الجمل: د. حسن عز الدين الجمل.

الأسماء الحسنى - ط. دار الشعب.

١٢ - الخرائطى: أبى بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سنبل العامرى

- مكارم الأخلاق ومعاليها/ مكتبة السلام العالمية.

١٣ - الخطيب: الأستاذ عبد الكريم الخطيب.

- القضاء والقدر بين الفلسفة والدين.

١٤ - الخطيب: الشيخ محمد خليل الخطيب.

- من أسرار الذكر.

١٥ - الخطيب: الدكتور موسى الخطيب.

- الدعاء والعمل - ط. دار الجيل بيروت.

- من دلائل الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم فى السنة النبوية - ط مؤسسة الخليج العربى.

١٦ - الدرينى: الأستاذ عبد العزيز الدرينى.

- المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى - ط. القاهرة.

١٧ - الربعى: الحافظ أبى سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد الربعى المتوفى سنة ٣٧٩هـ: وصايا العلماء عند حضور الموت تحقيق صلاح محمد الخيمى والشيخ

عبد القادر الأوناؤوط - ط. دار ابن كثير. ١٤٠٦هـ دمشق - بيروت.

١٨ - سعودى: شبل محمد سعودى.

- عظة الموت - دار الثقافة العربية للطباعة.

١٩ - السيوطى: الأرج فى الفرج. مكتبة الثقافة الدينية.

- المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى - ط. القاهرة.

٢٠ - الصواف: الشيخ محمد محمود الصواف.

- دعاء السَّحر - ط. دار الاعتصام.

٢١ - طنطاوى: فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ محمد السيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر الحالى.

- كتاب الدعاء - ط. مجمع البحوث الإسلامية.

٢٢ - عاشور: الأستاذ سعيد هارون عاشور.

- شروط صحة الدعاء وآدابه - ط. القاهرة الحديثة.

٢٣ - عنبر: الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر.

- بين عيسى ومحمد ط. ثانية - دار الكتب الإسلامية - القاهرة.

٢٤ - الغزالى: الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ.

- إحياء علوم الدين ملحق بذيله كتاب المغنى عن حمل الأسفار فى تخريج ما فى الأحياء من الأخبار لزين الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦هـ، وبآخره تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، والإملاء عن إشكالات الأحياء «عوارف المعارف»، الملحق، ط. المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٩٦٤ - القاهرة.

٢٥ - القشيرى: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن المتوفى سنة ٤٦٥هـ.

- الرسالة القشيرية - تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف - ط. القاهرة.

- لطائف الإشارات - ط. هيئة الكتاب.

٢٦ - محمود: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر السابق رحمه الله تعالى.

- فاذكرونى أذكركم. ط. دار الشعب.

٢٧ - مخلوف: فضيلة الشيخ حسنين مخلوف العدوى مفتى الديار المصرية السابق رحمه الله تعالى.

- كتاب أسماء الله الحسنى.

٢٨ - نجيب: الأستاذ سامى نجيب محمد.

- طريق الجنة فى ترك البدعة وإحياء السُّنة - ط. دار الصفوة - القاهرة.

فهرس الكتاب

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع **صفحة**

١٥

الموضـــــوع	صفحة